



www.
www.
www.
www.

Ghaemiyeh

.com
.org
.net
.ir

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ
فِيْيٰ حِلَالٍ لِّلّٰهِ وَلِرَسُوْلِهِ وَلِلْمُحَمَّدِ



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلي الله عليه وآلـه وسلم

كاتب:

السيد جعفر مرتضى حسيني العاملي

نشرت في الطباعة:

سحرگاهان

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
17	الصحيح من سيرة النبي الأعظم المجلد 1
17	هوية الكتاب
17	اشارة
21	تقديم الكتاب
21	اشارة
21	و تمتاز هذه الطبعة عن سابقاتها بأمور أساسية ثلاثة، هي التالية:
23	وفي الختام أقول:
24	تبيه:
25	تقديم.
25	بداية:
26	مهمة التاريخ:
26	ونحن هل نملك تاريخا:
27	وبكلمة أوضح وأصرح:
27	دراسة التاريخ:
28	ماذا نريد:
28	ميزات أساسية في تاريخ الإسلام المدون:
29	البداية الطبيعية لتاريخ الإسلام:
31	القسم الأول: مدخل إلى دراسة السيرة
31	اشارة
33	الباب الأول: تموين التاريخ بين الدوافع والأهداف
33	اشارة
35	الفصل الأول: صفات النبي صلى الله عليه وآل

37	صفات النبي صلى الله عليه وآله:
37	أترى هذا هو الرسول؟ ! :
42	الخطة الخبيثة:
43	سياسات ضد نبى الإسلام صلى الله عليه وآله:
47	ما أشيبه الليلة بالبارحة:
48	سنة النبي صلى الله عليه وآله أم سنة غيره؟ ! :
50	بغض قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله:
51	ال الخليفة الأموي أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله:
53	على خطى الحجاج:
54	نظرة الأميين إلى الحرم و الكعبة:
55	مقام إبراهيم عليه السلام:
56	زمزم أم الخنافس:
56	بين الخليفة الأموي وإبراهيم الخليل:
57	الحج إلى صخرة بيت المقدس:
58	تحويل القبلة:
60	تأويلات سقية:
61	كعبة المتكفل في سامراء:
61	الحجاج و القرآن:
62	خلينة أموي ينتقم من المصحف:
63	لا يجرؤ الناس على الصلاة:
63	ما هو إلا ملك! :
64	التحالف على هدم الإسلام:
64	غيسن من فيض:
65	الد الواقع والأهداف:

الفصل الثاني: سياسات تستهدف الجذور	69
إشارة	69
الأسوة والقلوة:	71
الحث على كتابة الحديث:	72
الصحابة وغيرهم يكتبون الحديث:	73
عمر و أبو بكر كتبوا الحديث:	75
علي عليه السلام ولده و شيعته:	76
ملاحظة هامة:	78
في الاتجاه المضاد:	79
المنع من الحديث في عهد الرسول صلى الله عليه و آله:	80
دافع هذه السياسة:	81
المنع عن الحديث بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله:	81
أهداف هذه السياسة:	82
البادرة الأولى: حسبنا كتاب الله:	82
البادرة الثانية:	83
ذروة هذه السياسة:	83
حرق حديث رسول الله صلى الله عليه و آله:	84
الصلبيون والتراث العلمي الإسلامي:	87
حججة عمر تصبح حديثا نويا! :	88
التقليد والمحاكاة:	90
المنع من العمل بالسنة أيضا:	91
حبس كبار الصحابة في المدينة:	93
الخلف عن السلف:	94
لا قرآن، ولا سنة:	95
قراءة القرآن أيضا مرفوضة:	96

97	الدقة في التنفيذ:
99	إلى متى؟!
103	الفصل الثالث: أين.. وما هو البديل؟
103	إشارة
105	من الذي يفتي الناس؟!
106	حضر الفتوى في نوعين من الناس:
107	أولاً: النساء:
108	ثانياً: المسموح لهم بالفتوى من غير النساء:
109	1- عاشرة:
110	منافسون لعاشرة:
110	2- زيد بن ثابت:
111	3- عبد الرحمن بن عوف:
111	4- أبو موسى الأشعري:
113	5- السماح لأبي هريرة بعد المنع:
114	محاولة فاشلة لهم مع علي عليه السلام:
114	من له الفتوى بعد عهد الخلفاء الثلاثة:
115	حظر الرواية على ابن عمر، و ابن عمرو:
116	أسباب المنع:
117	شواهد أخرى:
118	و خلاصة الأمر:
119	لابد من أساليب أخرى:
120	تشجيع الشعر و الشعراء:
121	تعلم الأنساب:
123	أسرار الأعذار:
124	المدلل الأكثر نجاحاً والأمثل:

125	نظرة العرب إلى أهل الكتاب:
126	الإسلام يرفض هيمنة أهل الكتاب:
128	مدارس «ماسكة» :
129	الإصرار إلى حد الاغتصاب:
130	كل ذلك لم ينفع:
131	عود على بدء:
131	المرسوم العام:
133	أصل الحديث:
133	خطوة أخرى على الطريق:
134	افتراض لا يجدى:
134	شيوخ الأخذ عن أهل الكتاب:
136	الإرجاعات الصريحة:
136	زاملنا عبد الله بن عمرو بن العاص:
137	لماذا كثرة تلامذة كعب الأحبار:
138	أبو هريرة يروي عن كعب:
139	كعب الأحبار حكما:
140	بردة كعب:
141	رشوات كعب:
141	ألف: كعب و خلافة علي عليه السلام:
142	ب: لقب الفاروق:
143	ج: كعب يقرض أبي هريرة:
143	د: محاولة رشوة ابن عباس:
144	ه : كعب يقرض ابن عمرو بن العاص:
144	سحرة بني إسرائيل يركزون على التوراة:
146	تعظيم و تقديس التوراة:

147	إصرار مسلمة أهل الكتاب على العمل بالتوراة:
149	الفصل الرابع: القصاصون يتفقون الناس رسميا
149	إشارة
151	القصص الحق:
152	الطريقة الذكية:
153	اعطاء الشرعية:
157	حتى النساء:
157	اهتمام الحكام بالقصاصين:
160	القصاصون في خدمة سياسات الحكام:
160	ويكفي أن نذكر هنا:
162	جرأة القصاصين وسيطرتهم:
164	القصاصون على حقيقتهم:
166	مع تفاصيل أخرى:
167	موقف علي عليه السلام من القصاصين:
168	السازرون على نهج علي عليه السلام:
171	الباب الثاني: تدوين التاريخ: الآثار و النتائج
171	إشارة
173	الفصل الأول: بين الدوافع والأهداف والآثار و النتائج.
173	إشارة
175	آثار و نتائج:
177	نصوص و شواهد:
180	الهاشميون في زمن السجاد:
180	لا مبالغة ولا تهويل:
181	فضائح لا تطاق:
185	ومما يضحك التكلي:

187	التركة الموروثة:
189	نظريّة التطور عند أهل الحديث:
192	الوضع والوضاعون:
193	الحاجة أم الاختراع:
194	الفقه و الفقهاء:
195	يعترفون .. ثم يتهمون:
196	التجمي على العراقيين:
197	السبب هو السياسة والانحراف عن علي عليه السلام:
198	فشل المحاولات:
199	خلاصات لا بد من قرأتها:
200	لامعاير ولا ضوابط:
200	إنفلات الزمام:
200	أهل الكتاب يمارسون دورهم:
200	ابعاد أهل البيت عليهم السلام عن المساحة:
202	الاتجاه المبكر إلى الرأي والقياس:
204	أصدق الحديث:
204	الدوافع والأهداف:
205	1-للخليفة مقام الرسول:
207	2-إحراجات لا بد من الخروج منها:
212	3-التأثير بأهل الكتاب:
215	بعضهم لعلي عليه السلام سبب آخر:
217	الفصل الثاني: لا بد من إمام
217	إشارة
219	ضرورة وجود الإمام:
220	موقف الأئمة عليهم السلام من رواية الحديث وكتابته:

222	موقف الأئمة عليهم السلام من الإسرائييليات ورواتها:
223	الشيعة في مواجهة الفكر الإسرائيلي:
225	علي عليه السلام يواجه القصاصين بالحقيقة:
227	علي عليه السلام يضرب القصاصين ويطردتهم:
229	ويوضح هذين الأمرين النصوص التالية:
231	موقف سائر الأئمة عليهم السلام من القصاصين:
232	شرط الإجازة للقصاصين:
233	الفصل الثالث: إجراءات وضوابط مشبوبة
233	إشارة
235	معايير لحفظ الإنحراف:
236	نماذج يسيرة:
236	1- الصحابة كلهم عدول:
236	إشارة
237	وكان هذا الأكسير هو دعوى:
238	لقت نظر:
238	2- من هو الصحابي؟ :
239	3- صحابية المرتد:
240	4- السكوت عما شجر بين الصحابة:
241	5- من ينتقد الصحابة زنديق:
242	6- لا يفسق الصحابي بما يفسق به غيره:
242	7- حتمية توبة الصحابي:
243	8- ذنب البدرى يقع مغفورة:
243	9- الصحابة مجتهدون:
243	إشارة

245	و الملفت للنظر هنا:
246	10-إجماع الأئمة المهددين:
247	11-رأي الصحابي حيث لا نص:
248	12-الاجتهاد في مقابل النص كرامة للصحابة:
248	13-الصحاباة يشرعون و فتاواهم سنة:
248	اشاره
248	ويتضح ذلك بمراجعة النصوص التالية:
249	لقت نظر:
249	14-سنة الشيوخين والخلفاء سوى علي عليه السلام:
252	15-سنة كل امام عادل:
252	16-سنة وفتوى كل أمير:
253	17-رأي الصحابي أقرى في رأي غيره:
254	18-قول الصحابي يعارض الحديث الصحيح:
255	19-عمل الصحابي يوجب ضعف الحديث:
256	20-مراسيل الصحابة:
257	21-تصويب الصحابة وغيرهم في اجتهاد الرأي:
257	اشاره
258	و قال حول حجية الإجماع:
259	22-النبي صلى الله عليه و آله يجتهد و يخطئ:
260	23-سهو النبي صلى الله عليه و آله و نسيانه:
260	24-عصمة الأمة عن الخطأ:
261	25-الإجماع: نبوة بعد نبوة:
262	26-ظن المعصوم لا يخطئ:
263	27-اجتهاد الفقهاء يقدم على النص:
264	28-القياس، و الرأي، و الاستحسان:

266	29-ما دل عليه القياس ينسب للنبي صلى الله عليه وآله:
266	30-لا اجتهاد بعد اليوم:
266	اشاره
268	من ترك التقليد خرج من الإسلام:
269	تكريس المذاهب بالأموال:
270	التمهيد للتقليد:
271	مع تبريرات وجدي:
272	لا اجتهاد عند الفرسين في اليهود:
272	31-القدس الأعمى حتى للحديث المكذوب:
273	32-أصح الكتب بعد القرآن:
274	33-هذا الإجماع ظن لا يخطئ:
274	اشاره
275	رواية الصاحب عن الخوارج و المبتدةعة:
276	الرواية عن الرافضة و الشيعة:
277	التناقض في الموقف:
277	اشاره
277	ألف: الخوارج:
278	ب: أهل البدع:
278	ج: الشيعة و الرافضة:
280	العلاج المتطرور:
280	34-روايات الشيعة في المطاعن و الفضائل:
280	35-الرافضة لا إسناد لهم:
282	36-رواية ما لا يضر:
282	37-حديث الداعية إلى البدعة يرد:
283	38-حجم البدعة:

283	من روى له الشیخان، جاز القنطرة:
284	الخوارج صادقون:
286	الاعتزال، والعداء لأهل الحديث:
287	خذوا نصف دينكم عن هذه الحميرة:
287	أبو هريرة راوية الإسلام:
289	لا يعرض الحديث على القرآن:
290	موافقة أهل الكتب:
290	حدثوا عنبني إسرائيل ولا حرج:
291	الحسن والقبح شرعيان لا عقليان:
292	صوافي الأمراء:
292	الفتوى لأشخاص بأعيانهم:
292	المنع من الحديث، من روایته، و من كتابته:
292	المنع من السؤال عن معاني القرآن:
293	الفصل الرابع:
293	إشارة
295	لا بد من معايير وضوابط:
295	أدوات البحث الموضوعي والعلمي:
297	مما سبق:
300	1- دراسة حال الناقلين:
301	2- التزام النهج البياني الصحيح:
302	3- الانسجام مع الأطروحة والنهج:
302	4- الشخصية في خصائصها ومميزاتها:
303	5- عدم التناقض بين النصوص:
303	6- أن لا يخالف الواقع المحسوس:
304	7- أن لا يخالف البدويات:

305	8-أن لا يخالف الحقائق الثابتة:
305	9-الإمكانية التاريخية:
306	10-موافقة الأحكام العقلية و الفطرية:
306	11-الانسجام مع الأجراء و المناخات:
307	12-المعيار الأعظم و الأقوم:
307	اشرارة
310	هل السنة قاضية على الكتاب؟ ! :
311	الأدلة الواهية:
312	المناقشة:
315	دليل آخر على عدم العرض على القرآن!! :
318	ماذا جرى للقرآن؟ ! ..
319	قبل الختام:
320	خاتمة المطاف:
321	و حينئذ فقط نستطيع أن ندعى:
323	كلمة أخيرة:
325	الفهارس
325	1-الفهرس الإجمالي
325	2-الفهرس التفصيلي
327	1-الفهرس الإجمالي
329	2-الفهرس التفصيلي
343	تعريف مركز

الصحيح من سيرة النبي الأعظم المجلد 1

هوية الكتاب

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سیره النبی الاعظم (ص) / جعفر مرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان ، 1419ق . = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 35

شابک : 130000ريال (دوره کامل) ; 130000ريال (دوره کامل) ; 130000ريال (دوره کامل) ;
130000ريال (دوره کامل) ; 130000ريال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیبا

یادداشت : عربی .

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است .

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت : دار السیره

یادداشت : جلد دهم : الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص) ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتname

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9 ع 2 ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

محرر الرقمي : میثم حیدری

ص: 1

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 2

الصحيح من سيرة النبي الأعظم

تأليف: جعفر مرتضى عامرى

ص: 3

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ط - جديد)

تأليف: جعفر مرتضى عامرى

الناشر: موسسه علمی فرهنگی دارالحدیث، سازمان چاپ و نشر

سال انتشار: 1426ق/1385هـ.

ص: 4

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطاهرين، ونبراً من أعدائهم ومخالفـيـهم إلى يوم الدين.
وبعد.. فـهـذـهـ هيـ الطـبـعـةـ الرابـعـةـ لـكـتـابـ: «الـصـحـيـحـ منـ سـيـرـةـ النـبـيـ الـأـعـظـمـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ» . نـقـدـمـهـاـ إـلـىـ القرـاءـ الـكـرـامـ، بـعـدـ بدـءـ صـدـورـ
هـذـاـ الـكـتـابـ بـحـوـالـيـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ عـامـاـ خـلـتـ.

و تمتاز هذه الطبعة عن سابقاتها بأمور أساسية ثلاثة، هي التالية:

1- إن هذه الطبعة تأتي بعد حصول هذا الكتاب على جائزة الجمهورية الإسلامية في إيران لعام 1413 هـ قـ. باعتباره الكتاب الأول في
مجال كتابة السيرة النبوية المباركة.

و طبيعـيـ أنـ يـشـرـ هـذـاـ الـأـمـرـ شـعـورـاـ لـدـىـ الـكـثـيرـينـ بـضـرـورـةـ نـشـرـ هـذـاـ الـكـتـابـ بـصـورـةـ أـتـمـ وـأـفـضـلـ، وـعـلـىـ نـطـاقـ أـوـسـعـ وـأـشـمـلـ.

كـمـاـ إـنـ يـمـنـحـهـمـ مـبـرـراـ لـتـأـكـيدـ إـصـرـارـهـمـ عـلـىـ مـؤـلـفـهـ لـمـتـابـعـةـ جـهـودـهـ التـحـقـيقـيـةـ، فـيـ نـطـاقـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ الـمـبـارـكـةـ، لـسدـ الفـرـاغـ الـمـوـجـودـ فـيـ هـذـاـ
المـجـالـ.

ثم هو يذكر في شعوراً لدى مؤلفه، بأن جهده الذي يبذله لن يكون بدون جدوى، بل ربما يكون ضرورياً و لازماً، الأمر الذي يمنحه فرصة للتفكير في الرجوع عن قراره السابق بعدم الاستمرار في كتابة فصول هذا الكتاب، بسبب ما يواجهه من صعوبات، وما يتحمله من مشاق في هذا السبيل.

2- إن هذه الطبعة تمتاز عن سابقاتها، بأنها قد جاءت أكثر دقة وصفاء، وصحة ونقائص منها، حيث قد أعيد النظر في كثير من النقاط التي كان هذا الكتاب قد أثارها، وحصلت فيها تصحيحات وإضافات، وتغييرات كثيرة، إما تأييداً وتأكيداً، أو تنتقلاً وتصحيحاً.

كما وحصلت إضافات كثيرة في هوامش الكتاب، بالإضافة إلى بعض التصحيحات فيها.

وقد كانت هذه التغييرات والإضافات من الكثرة، بحيث أصبحت أجزاء الكتاب أكثر مما كانت عليه في طبعته السابقة.

3- لقد أعدنا النظر في تمهيد الكتاب، وتوسعنا في مطالبه، إلى حد أنها أصبحت تشكل واحداً من أجزاء الكتاب المستقلة، فاعتبرناه مدخلاً لدراسة السيرة النبوية المباركة، وكان هو أول أجزائها في هذه الطبعة، وأصبح الجزء الأول هو الثاني والثاني هو الثالث، وهكذا.

ولم نكن لنصنع ذلك لو لا أتنا رأينا: أن من المهم جداً تعريف القارئ والباحث على قضايا وسياسات كانت ولا تزال تخفي تارة وتطهر أخرى، ولم تستطع حتى الآن أن تتحل مكانتها الحقيقة في التكوين الفكري في المجال الثقافي العام.

وفي الختام أقول:

لقد كنت أتمنى لو تنسنح لي الفرصة لإعادة كتابة هذا الكتاب، وصياغته من جديد؛ لصلاح تعابيره وتراتكبيه، وإعادة النظر في تبويبه وترتيبه وقد تنشأ عن ذلك إضافات كثيرة، وتصحيحات هنا وهناك كبيرة أو صغيرة.

ولكن الفرصة-للأسف- كانت ولا تزال محدودة، بل هي مفقودة من الأساس.

حتى إنني لا-أبعد إذا قلت بمرارة: إن معظم ما أكتبه يقدم إلىطبع وهو في مسودته الأولى، فلا غرو إذا ظهرت فيه أحياناً أغلاط كثيرة، وفي جوات كبيرة.

ولكننا عملاً بقاعدة: «ما لا يدرك كله، لا يترك كله» نقبل بتحمل وزر ذلك على أمل أن يأتي الآخرون، ويقوموا بدورهم في تنفيذ هذه البحوث والتوسع فيها، وعرضها بالشكل اللائق والمقبول.

فها أنا أقدم هذا الكتاب إلى القراء الكرام بانتظار توفر الوقت، وصحة العزم، وبذل الجهد في التنقيح والتصحيح، أو إكمال الطريق، رغم ما فيها من أشواك وأدغال، ومن مصاعب ومشقات وأهوال.

وأخيراً وليس آخرًا.. نسأل الله سبحانه أن ينفع بما كتبته، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ومنه تعالى نستمد العون والقوة، ونسأله التأييد والتسلية. والحمد لله، والصلوة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآلـه الطاهرين.

22/2/1414 . ق.

جعفر مرتضى الحسيني العاملـي

ص: 7

- يرجى ملاحظة ما يلي:
- 1- هناك مصادر كثيرة اعتمدنا عليها من طبعات مختلفة ولم يتيسر لنا التنبيه على ذلك في موارد她的 المختلفة.
 - 2- هناك طبعات لم نشر إليها في الفهرس الموضوع في آخر الكتاب، لعدم إمكان الوصول إليها حين إعداده.
 - 3- اعتمدنا في هذه الطبعة عبارة «صلى الله عليه وآله» في جميع الكتاب، حتى في الموارد التي ليس فيها إضافة «الآل» في المصدر الأساس، فليلاحظ ذلك.
 - 4- هناك بعض المواضع فيها الكثير من التعديل، والإضافة، والحذف، مثل موضوع إيمان أبي طالب وغيره.

بداية:

(1) تقديم

إن حياة المجتمعات ليست أحداثاً متباعدة و منفصلة عن بعضها البعض، وإنما هي استمرار، يضع الماضي كل ما حصل عليه من عمله الدائب، و جهاده المستمر في صميم هذا الحاضر، ليستمد منه الكثير من عناصر قوته و حركته، ووسائل تطوره، ثم تقدمه بخطى ثابتة و مطمئنة نحو المستقبل الذي يطمح له، ويصبو إليه.

فمن الطبيعي إذن، أن نجد لكثير من الأحداث التاريخية، حتى تلك التي توغلت في أعماق التاريخ، حتى لا يكاد يظهر لنا منها شيء -نجد لها- آثاراً بارزة، حتى في واقع حياتنا اليومية الحاضرة، بل تظهر آثارها في حياة الشعوب، وفي تصرفاتها، بل وفي مفاهيمها وعواطفها، فضلاً عن تأثيرها على الحالة الدينية، والأدبية، والعلمية، والسياسية والاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية، وغير ذلك.

وإن كان تأثير هذه الأحداث يختلف شمولاً وعمقاً من أمّة لأخرى،

ص: 9

1- هذا التقديم عبارة عن ملامح من تقديم كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام» ، ونوردها هنا لصلتها المباشرة بموضوع بحثنا هذا، وحتى لا نضطر إلى إحالة القارئ على ذلك الكتاب.

ومن شعب لآخر أيضا.

مهمة التاريخ:

أما مهمة التاريخ، فهي أن يعكس بدقة وأمانة حياة الأمة في الماضي، وما مرت به من أوضاع وأحوال، وما تعرضت له من هزات فكرية، وأزمات اقتصادية واجتماعية وغيرها.

وهذا يؤكد لنا أهمية التاريخ، ويزع مدئ تأثيره في الحياة، ويعرفنا سر اهتمام الأمم على اختلافها به تدوينا، ودرسا، وبحثا، وتمحيصا، وتعليلا. فهي تريد أن تعرف من خلال ذلك على بعض الملامح الخفية لواقعها الذي تعشه.

ولتستفيد منه كلبنة قوية وصلبة لمستقبلها الذي تقدم عليه، ولتكشف منه أيضا بعض عوامل رقيها وانحطاطها، ليكون ذلك معينا لها على بناء نفسها بناء قويا وسلاميا، والإعداد لمستقبلها على أساس متينة وقوية وراسخة.

ونحن هل نملك تاريخا:

ونحن أمة تريد أن تحيا الحياة بكل قوتها وحيويتها، وفاعليتها، ولكننا في الوقت الذي نملك فيه أغنى تاريخ عرفته أمة، لا نملك من كتب التاريخ والتراث ما نستطيع أن نعول عليه في إعطاء صورة كاملة وشاملة ودقيقة عن كل ما سلف من أحداث؛ لأن أكثر ما كتب منه تحكم فيه النظرة الضيقية، ويهيمن عليه التعصب والهوى المذهبى، ويسير في اتجاه التزلف للحكام.

وأقصد بـ«النَّظِيرَةُ الضَّيْقَةُ» عملية ملاحظة الحدث منفصلًا عن جذوره وأسبابه، ثم عن نتائجه وآثاره.

وبكلمة أوضح وأصرّح:

إن ما لدينا هو—في الأكثر—تاريخ الحكماء والسلطين، وحتى تاريخ الحكماء هذا، فإنه قد جاء مشوّهاً ومسوخاً، ولا يستطيع أن يعكس بأمانة وحيدة الصورة الحقيقة لحياتهم ولتصرفاتهم ومواقوفهم؛ لأن المؤرخ كان لا يسجل إلا ما يتواافق مع هوى الحكماء، وينسجم مع ميله، ويخدم مصالحه، مهما كان ذلك مخالفًا للواقع، ولما يعتقد المؤرخ نفسه ويميل إليه.

ومن هنا، فإننا لا نفاجأ إذا رأينا المؤرخ يهتم بأمور تافهة وحقيرة، فيسيه布 القول في وصف مجلس شراب، أو منادمة لأمير أو حاكم، أو يختلق أحداثاً، أو شخصيات لا وجود لها، ثم يهمل أحداً خطيراً، أو يتتجاهل شخصيات لها مكانتها وأثرها العميق في التاريخ، وفي الأمة، أو يشوه أموراً صدرت من الحكم نفسه، أو من غيره، أو يحيطها—لسبب أو لآخر— بالكتمان، ويشير حولها حالة من الإبهام والغموض.

دراسة التاريخ:

إذن، فلا بد لمن يريد دراسة التاريخ والاستفادة من الكتب التاريخية والتراثية، من أن يقرأها بحذر ووعي، وبدقّة وتأمل، حتى لا يقع في فخ التضليل والتجهيل.

فلا بد له من أن يفتح عينيه وقلبه على كل كلمة تمر به، ويحاول قدر المستطاع أن يستطعها، ويستخلص منها ما ينسجم مع الواقع، مما تؤيده الدلائل والشاهد المتصارفة، ويرفض أو يتوقف في كل ما تلاعبت به

الأهواء، وأثرت عليه الميول والعصبيات.

وليس ذلك بالأمر اليسير والسهل، ولا سيما فيما يرتبط بتاريخ الإسلام الأول الذي هبت عليه رياح الأهواء الرخيبة والعصبيات الظالمة، وعبثت به أيدي الحاقدين، وابتزت منه رواهـ وصفاءـ إلى حد كبير وخطير.

ماذا نريد:

ونحن بدورنا في كتابنا هذا سوف نحاول استخلاص صورة نقية واضحة قدر الإمكان عن تاريخ نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله».

ولسوف ينصب اهتمامنا بصورة أكثر وأوفر على إبعاد كل ذلك الجانب المريض من النصوص، المجعلة تاريخـاً، مع أن الكثير منها لا يعدو أن يكون أوهامـ وخيالـاتـ، ابـدعـهاـ المـحدثـونـ المـغـرـضـونـ وـالـقـصـاصـونـ الـأـفـاكـونـ، وـأـصـاحـابـ الـأـهـواـءـ وـالـمـتـزـلـفـونـ.

ميزات أساسية في تاريخ الإسلام المدون:

نقول ما تقدم بالرغم من أننا قد قلنا آنفاً: إننا على قناعة من أن تاريخ الإسلام المدون -على ما فيه من هنات ونقص- أغني تاريخ مكتوب لأية أمة من الأمم، وهو يمتاز عن كل ما عداه بدقته وشموله، حتى إنك لتجده كثيراً ما يسجل لك الحركات، واللفتات، واللمحات، فضلاً عن الكلمات والموافق والحوادث، بدقة متناهية واستيعاب لا نظير له.

أضف إلى ذلك: أنه يملك من الآيات القرآنية، ثم من النصوص الصحيحة والصريحة الشيء الكثير، مما لا تجده في أي تاريخ آخر على الإطلاق.

هذا إن لم نقل إن هذا الأمر من مختصات تاريخ الإسلام، إذا تأكدنا أنه ليس بإمكان أي تاريخ أن يثبت من مقولاته إلا النزد اليسير، ولا سيما في جزئيات الأمور، وفي التفاصيل والخصوصيات.

وميزة أخرى يمتاز بها تاريخ الإسلام، وهي أنه يمتلك قواعد ومنظفات تستطيع أن توفر للباحث السبل المأمونة، التي يستطيع من خلال سلوكها أن يصل إلى الحقائق التي يريدها، دقت، أو جلت.

ولسوف يأتي الحديث عن بعض من ذلك في بعض فصول ما اصطلحنا عليه أنه «المدخل لدراسة السيرة النبوية الشريفة» .

البداية الطبيعية لتاريخ الإسلام:

و واضح: أن البداية الطبيعية لتاريخ الإسلام، وأعظم وأهم ما فيه هو سيرة سيد المرسلين محمد «صلى الله عليه و آله الطاهرين» .

فلا بد من البدء بها، ولو ببحث قضایا وأحداث رئيسة فيها، ليكون ذلك بمثابة خطوة أولى على طريق التصدي لبحوث مستوعبة و شاملة، من قبل المتخصصين والباحثين، من ذوي الكفاءات والهمم العالية.

ولكن ذلك يحتاج إلى تقديم مدخل، من شأنه أن يعطي انطباعا عاما عن أجواء و مناخات البحث، فإلى هذا المدخل الذي يشتمل على عدة فصول. .

والله هو الموفق والمسدد، وهو المستعان، وعليه التكلال.

القسم الأول: مدخل إلى دراسة السيرة

اشارة

الباب الأول: تدوين التاريخ بين الدوافع والأهداف

الباب الثاني: تدوين التاريخ .. الآثار والنتائج

ص: 15

الباب الأول: تدوين التاريخ بين الدوافع والأهداف

اشاره

الفصل الأول: صفات النبي صلى الله عليه و آله

الفصل الثاني: سياسات تستهدف الجذور

الفصل الثالث: أين . . و ما هو البديل؟

الفصل الرابع: القصاصون يثقفون الناس رسميا

ص: 17

صفات النبي صلى الله عليه و آله:

المفروض بالنبي -أي نبي كان- أن يمثل النموذج الفذ الذي يريده الله تعالى على الأرض وهو الإنسان، بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

فهو رجل الفضل، والعقل، والكمال، ومثال الحكمة، والوقار والجلال. عالم، حكيم، تقي، شجاع، حازم، إلى غير ذلك من صفات إنسانية فاضلة، وكمالات رفيعة. لا ترى في أعماله أي خلل أو ضعف، أو ضعوة، ولا في تصرفاته أي تشتت أو تناقض.

وبكلمة: إنه الرجل المعصوم من الخطأ، المべأ من الزلل، أكمل الخلق وأفضليهم؛ ولأجل ذلك جعل الله تعالى نبينا محمدا «صلى الله عليه و آله» أسوة لبني الإنسان مدى الدهر، وفرض عليهم أن يقتدوا به في كل شيء حتى في جزئيات أفعالهم، فقال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ⁽¹⁾.

أترى هذا هو الرسول؟ ! :

ولكننا لو راجعنا الروايات التي يدعى: أنها تسجل لنا تاريخ نبي الإسلام «صلى الله عليه و آله» .

ص: 21

1- الآية 21 من سورة الأحزاب.

لوجدنا هذا النبي-الذي اصطفاه الله، و اختاره من بين جميع خلقه، و وصفه جل وعلا في القرآن الكريم بأنه لعلى خلقٍ عظيمٍ [\(1\)](#) و الذي هو أشرف الأنبياء والمرسلين، وأعظم وأكمل رجل وجده على وجه الأرض، وهو عقل الكل، و مدبِّر الكل، و إمام الكل -لوجدناه رجلا عاجزا، و متناقضا، يتصرف كطفل، و يتكلم كجاهل، يرضي فيكون رضاه ميوعة و سخفا، و يغضب فيكون غضبه عجزا و اضطرابا، يحتاج دائما إلى من يعلمها، و يلبي أمورها، و يأخذ بيده، و يشرف على شؤونه، و يحل له مشاكله. الكل أعرف، وأقوى، وأعقل منه، كما أثبتته الواقع المختلفة المزعومة تاريخا و سيرة لحياته «صلى الله عليه و آله» .

وبماذا؟ وكيف تفسر حمل هذا النبي زوجته على عاتقه لتتظر إلى لعب السودان و خده على خدها؟! أو أنها وضعت ذقنهما على يده، و صارت تنظر إلى لعب السودان يوم عاشوراء؟! [\(2\)](#)

ص: 22

1- الآية 4 من سورة القلم. يحتمل بعض العلماء أن يكون المراد بالخلق: الدين، أو العادة و السنة العظيمة، ولكن خلاف المتأخر من هذه العبارة و صرف المعنى إليه يحتاج إلى قرينة كما هو معلوم.

2- راجع: صحيح البخاري ج 1 ص 111 و ج 2 ص 100 و 172، و راجع: مسنن أحمد ج 6 ص 56 و 57 و 83 و 85 و 166 و 186 و 242 و 247 و 270 و راجع: سنن النسائي ج 3 ص 197 و 195 و صحيح مسلم ج 3 ص 21 و 22 و راجع: تاريخ عمر بن الخطاب ص 35 و إحياء علوم الدين ج 2 ص 44 و راجع هوامشه، والتراطيب الإدارية ج 2 ص 121 و 122 و الرياض النصرة ج 2 ص 300 و الفتوات الإسلامية لدحlan: ج 2 ص 463.

ثم هو يترك جيشه ليفرد بزوجته عائشة، ليسابقها في قلب الصحراء أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة، فتسقطه مرة، ويسبقها أخرى، فيقول لها: هذه بتلك [\(1\)](#).

أضف إلى ذلك: أنه يهوى زوجة ابنه بالتبني، بعد أن رآها في حالة مثيرة [\(2\)](#) إلى غير ذلك من المرويات الكثيرة جدا التي تتحدث عن تفاصيل في حياته الزوجية، مما نربأ نحن بأنفسنا عن التفوّه به، وذكره، فكيف بممارسته و فعله!

ص: 23

1- راجع: صفة الصفوة ج 1 ص 176 و 177 و سنن أبي داود ج 3 ص 29 و المغازى للواقدي ج 2 ص 427 و سنن ابن ماجة ج 1 ص 636 وإحياء علوم الدين ج 2 ص 44 و مسند أحمد ج 6 ص 264 و 182 و 39 و 129 و 261 و 280، و السيرة الحلبية ج 2 ص 290 و عيون الأخبار لابن قتيبة ج 1 ص 315 و حياة الصحابة ج 2 ص 634 و التراطيب الإدارية ج 2 ص 146 عن المواهب و تلبيس إبليس، وأحمد و النسائي.

2- الجامع لأحكام القرآن ج 14 ص 190 و تاريخ الخميس ج 1 ص 501 و تفسير البرهان ج 3 ص 325 و 326، و مجمع البيان ج 8 ص 359 والإسرائيليات و أثراها في كتب التفسير ص 396 و تفسير القمي ج 2 ص 172-173 و السيرة الحلبية ج 2 ص 214 و تفسير غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج 21 ص 12 و 13 و الدر المنشور ج 4 ص 202 و فتح القدير ج 4 ص 284 و 286 و الكشاف ج 3 ص 540 و 541 و الطبقات لابن سعد ط صادر ج 8 ص 101 و مجمع الزوائد ج 9 ص 247 و لباب التأويل للخازن ج 3 ص 468 و مدارك التنزيل (مطبوع بهامش الخازن) ج 3 ص 468 و التبيان ج 3 ص 312 و نور التقلين ج 4 ص 280 و 281-282 و جامع البيان ج 21 ص 10-11.

وبماذا و كيف نفسر أيضاً: أن يرى هذا النبي الرأي، فتنزل الآيات القرآنية مفندة لرأيه، و مصوبة لرأي غيره، فيقعد ليكفي و ينوح على ما فرط منه؟!![\(1\)](#).

و كيف نفسر أيضاً ما يروونه عنه، من أنه مر على سباته [\(2\)](#) قوم، فيبول و هو قائم؟ [\(3\)](#) ثم يكون له شيطان يعتريه-كما هو لغيره من الناس- و كان يأتيه في صورة جبرئيل، وقد أعاذه الله على شيطانه هذا فأسلم [\(4\)](#). وأن شيطانه خير الشياطين؟ [\(5\)](#).

ثم شربه للنبيذ و الفضيخت؟ [\(6\)](#).

ص: 24

-
- 1- ستأتي مصادر ذلك في غزوة بدر، فصل الغنائم والأسرى، حين الحديث حول موضوع: لو نزل العذاب ما نجا إلا ابن الخطاب.
 - 2- السبات: المزبلة.
 - 3- راجع: المصنف ج 1 ص 193 و صحيح البخاري ج 1 ص 34 و 35 و سنن ابن ماجة ج 1 ص 111 و 112 و سنن الدارمي ج 1 ص 171 و مسند أحمد ج 4 ص 246 و ج 5 ص 402 و 382 و 394 و المعجم الصغير ج 1 ص 229 و ج 2 ص 266.
 - 4- كشف الأستار عن مسند البزار ج 3 ص 146 و راجع: مشكل الآثار ج 1 ص 30 و المواهب اللدنية ج 1 ص 202 و المعجم الصغير ج 1 ص 71 و مجمع الزوائد ج 8 ص 269 و 225 و راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 169 و حياة الصحابة ج 2 ص 712 عن مسلم.
 - 5- الالائى المصنوعة ج 1 ص 360.
 - 6- (الفضيخت: عصير العنب وكذلك هو شراب يتخذ من التمر من غير أن تمسه النار) راجع: مسند أبي يعلى ج 4 ص 418 و نقله في هامشه عن مصادر كثيرة و مسند أحمد ج 2 ص 106 و التراطيب الإدارية ج 1 ص 102 عن مسلم و وفاء الوفاء ج 3 ص 822 عن أحمد و أبي يعلى و راجع: صحيح مسلم ج 6 ص 105 و سنن النسائي ج 8 ص 333 و سنن ابن ماجة ج 2 ص 1126 و سنن أبي داود ج 2 ص 213 و المصنف للصناعي ج 9 ص 226 و تيسير الوصول ج 1 ص 275، و مجمع الزوائد ج 5 ص 64 و 66 و 67 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 44 و البداية والنهاية ج 5 ص 331.

وكونه أحق بالشك من إبراهيم «عليه السلام»؟[\(1\)](#)

ثم إنه ينسى ما هو من مهماته وشئونه، مثل ليلة القدر، وحين يعجز عن تذكرها يأمر الناس بأن يتلمسوها في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك[\(2\)](#).

كما أنه لا يحفظ سورة الروم جيداً[\(3\)](#).

وينسى أيضاً أنه جنب[\(4\)](#) إلى غير ذلك مما لا يمكن تتبعه ولا الإحاطة به لكثرته، مما يزيد في قبحه أضعافاً على ما ذكرناه، مما زخرت به المجاميع الحديثية والتاريخية لدى بعض المذاهب الإسلامية المنتشرة في طول البلاد وعرضها.

ص: 25

-
- 1- صحيح البخاري ج 3 ص 71 و مسند الإمام أحمد ج 1 ص 326 و سنن ابن ماجة ج 2 ص 1335 و تأويل مختلف الحديث ص 97 و صحيح مسلم ج 7 ص 98 والهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 79 وج 2 ص 91.
 - 2- كشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 485 و 484 و مجمع الزوائد ج 3 ص 176 و 175 وج 7 ص 348.
 - 3- الدر المنشور ج 5 ص 150 عن ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن قانع، وراجع: مناهل العرفان ج 1 ص 360 عن البخاري، و مسلم. و راجع: حول نسيانه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بعض الآيات في كنز العمال ج 1 ص 538.
 - 4- المعجم الصغير ج 2 ص 16. و راجع: ج 1 ص 130 حول نسيانه بعض الأسماء.

نعم.. هكذا تشاء الروايات- وكثير منها مدون في الكتب التي يدعى البعض: أنها أصح شيء بعد القرآن- أن تصور لنا أعظم رجل، وأكرم وأفضل نبي على وجه الأرض!!

و هذه هي الصورة التي يستطيع أن يستخلصها من يراجع هذا الركام الهائل من المجموعات، إذا كان خالي الذهن من الضوابط والمعايير الحقيقة، والمنطلقات الأساسية، التي لا بد من التوفيق إليها في دراسة التاريخ. وكذلك إذا كان لا يعرف شيئاً مما يجب أن يتتوفر في الشخصية التي يفترض أن تمثل النموذج الفذ لإرادة الله تعالى على الأرض.

وكذلك إذا كان خالي النفس عن تقديس النص تقديساً ساذجاً وعشوايياً.

هذا التقديس الذي ربما يرفع هذه المنقولات عن مستواها الحقيقي، ويمنع- ولو جزئياً- من تقييمها تقريباً واقعياً وسليناً، يعطيها حجمها الطبيعي في ميزان الاعتبار والواقع.

وما هو المبرر لتقديس كهذا ما دام لم يثبت بعد أن هذا هو كلام النبي «صلى الله عليه وآله» أو موقفه، أو من صفاته وشئونه، وما إلى ذلك؟! إن إعطاء هذه الصورة عن النبي الإسلام الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وهو القدوة والأسوة، لهو الخيانة العظمى للتاريخ، وللأمة، وللإنسانية جموعاً، ولا زلنا نتجرع غصص هذه الخيانة، ونهيئ في ظلماتها.

الخطة الخبيثة:

وأما لماذا كل هذا الافتراء على الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»؟ فنعتقد: أن الأمر لم يكن عفوياً، بل كانت ثمة خطة مرسومة تهدف إلى

طمس معالم الشخصية النبوية، والتعميم على خصائصها الرسالية الفذة، ليكون ذلك مقدمة لهدم الإسلام من الأساس، خصوصاً من قبل الحكم الاموي البغيض وأعوانه.

ونذكر هنا: بعض الأمثلة التي تظهر بعض فصول هذه الخطة التي تستهدف الإسلام ورموزه، وشخصية النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» بالذات، وهي التالية:

سياسات ضدّ النبي صلّى الله عليه و آله :

1- إنهم يذكرون عن زيد بن علي بن الحسين «عليهما السلام» ، أنه قال: إنه شهد هشام بن عبد الملك، والنبي يسبّ عنده؛ فلم ينكر ذلك هشام، ولم يغیره [\(1\)](#).

2- ذكروا في ترجمة خالد بن سلمة المخزومي المعروف بـ «الفأفاء» : أنه كان مرجياً، ويبغض علیاً، وأنه كان ينشد بنی مروان الأشعار التي هجى بها المصطفى «صلى الله عليه و آله» .

و خالد هذا يروي عنه أصحاب الصحاح السنت ما عدا البخاري! [\(2\)](#).

3- إن عمرو بن العاص لم يرض بضرب نصراني يشتم النبي الأعظم

ص: 27

1- كشف الغمة للإربلي ج 2 ص 352 عن دلائل الحميري، والكافي ج 8 ص 395 و تيسير المطالب في أمالى الإمام أبي طالب ص 108 وقاموس الرجال ج 4 ص 270.

2- راجع: بحوث مع أهل السنة والسلفية ص 101 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 96 و دلائل الصدق ج 1 ص 29. وللعلامة المظفر تعليق هنا لا بأس بمراجعته.

«صلى الله عليه وآلـه» (١).

4- وقد ذكر الكميـتـ: أنه كان إذا مدح النبي «صلـى الله عـلـيـه وآلـه» اعـتـرـضـ علىـه جـمـاعـةـ، وـلـمـ يـرـضـواـ بـذـلـكـ، فـهـوـ يـقـولـ:

إـلـىـ السـرـاجـ الـمـنـيرـ أـحـمـدـ لـاـ يـعـ *** دـلـنـيـ عـنـهـ رـغـبـةـ، وـلـاـ رـهـبـ

عـنـهـ إـلـىـ غـيـرـهـ، وـلـوـ رـفـعـ النـاـ *** سـ إـلـىـ العـيـونـ، وـارـتـقـبـواـ

وـقـيلـ: أـفـرـطـتـ بـلـ قـصـدـتـ وـلـوـ *** عـنـفـنـيـ الـقـائـلـوـنـ، أـوـ ثـلـبـواـ

إـلـيـكـ يـاـ خـيـرـ مـنـ تـضـمـنـتـ الـأـرـ *** ضـ، وـإـنـ عـابـ قـوليـ الـعـيـبـ

لـجـ بـتـفـضـيـلـكـ الـلـسـانـ وـلـوـ *** أـكـثـرـ فـيـكـ الضـبـاجـ وـالـلـجـبـ

وـلـعـلـ الـكمـيـتـ رـحـمـهـ اللـهـ قـدـ أـحـسـ أـنـ وـرـاءـ هـذـهـ السـيـاسـةـ أـمـرـاـ عـظـيمـاـ، حـيـثـ يـقـولـ:

رـضـواـ بـخـلـافـ الـمـهـتـدـيـنـ وـفـيـهـمـ مـخـبـأـةـ أـخـرـىـ تـصـانـ وـتـحـجـبـ

وـلـاـ يـمـكـنـ تـقـسـيـرـ «ـالـمـخـبـأـةـ»ـ الـتـيـ تـصـانـ وـتـحـجـبـ بـأـنـهـاـ تـفـضـيـلـ الـخـلـيـفـةـ عـلـىـ الرـسـوـلـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ؛ـ لـأـنـ ذـلـكـ لـمـ يـكـنـ مـخـبـأـ،ـ بـلـ صـرـحـ بـهـ وـلـاـ وـأـعـوـانـ الـأـمـوـيـنـ،ـ كـالـحـجـاجـ بـنـ يـوسـفـ،ـ وـخـالـدـ الـقـسـريـ،ـ كـمـاـ سـنـرـيـ.

فـلـاـ بـدـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ «ـالـمـخـبـأـةـ»ـ هـيـ طـمـسـ دـيـنـ اللـهـ،ـ وـإـزـالـةـ مـعـالـمـهـ،ـ وـتـشـوـيـهـ الصـورـةـ الـحـقـيقـيـةـ لـنـبـيـ الرـحـمـةـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ،ـ وـإـزـالـةـ مـعـالـمـ الـشـخـصـيـةـ النـبـوـيـةـ بـصـورـةـ نـهـائـيـةـ مـنـ أـذـهـانـ النـاسـ.

صـ: 28

1- الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج 3 ص 193 والإصابة ج 3 ص 195 عن البخاري في تاريخه.

5- حدث مطرّف بن المغيرة: أن معاوية قال للّمغيرة في سياق حديث ذكر فيه معاوية ملك أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأنهم هلكوا فهلك ذكرهم:

«وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمدا رسول الله، فأي عمل يبقى مع هذا لا ألم لك؟ لا والله، إلا دفنا دفنا»
[\(1\)](#).

ويقال: إن هذه القضية بالذات هي السبب في إقدام المأمون في سنة 212هـ على النداء بلعن معاوية، لو لا أنهم أقنعواه بالعدول عن ذلك
[\(2\)](#). فراجع.

ونقول:

إن المغيرة الذي ضرب الزهراء حتى أدمها، كما عن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يكن ذلك الرجل الذي يرجع إلى دين، أو يهمه أمر ذكر النبي «صلى الله عليه وآله»؛ فإن حال المغيرة في قلة الدين ومجانبة الحق معلوم [\(3\)](#).

ولكن «ويل لمن كفره نمرود»، فإن المغيرة الرجل الدهاهية لم يستطع تحمل جهر معاوية بهذا الأمر، ورأى فيه مجازفة خطيرة، تجر معاوية، وكل من يسير في ركابه إلى أخطار جسام، لا يمكن التكهن بعواقبها، فأحب

ص: 29

1- المواقفيات ص 577 وشرح النهج للمعتزمي ج 5 ص 129 و 130 و مروج الذهب ج 3 ص 454 و كشف الغمة للإربيلي ج 2 ص 44 و كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ص 474 و قاموس الرجال ج 9 ص 20 وبهج الصباغة ج 3 ص 193.

2- مروج الذهب ج 3 ص 454 و 455.

3- راجع: قاموس الرجال ج 9 ص 84-90 لتقف على بعض حالات المغيرة.

المغيرة أن ينسحب بنفسه ليسلم بجلده، لو كان ثمة ما يخاف منه، أو لعله أحس في ولده «مطرب» بعض الإيمان فاتقاه، وذكر له هذا الأمر بصورة تشنيعية ظاهرة.

و خلاصة الأمر: أن المغيرة إنما يهتم بمصلحته الشخصية بالدرجة الأولى، لا بمصلحة معاوية.

و قد يكون أحسن من معاوية: أنه يريد عزله، وتولية غيره، أو أنه كانت في نفسه موجدة عليه، بسبب عزله إياه، فذكر عنه ما كان أسره إليه، أو أن ذلك قد كان منه قبل أن يوليه معاوية الكوفة!

6- روى أحمد بن أبي طاهر في كتاب «أخبار الملوك» : أن معاوية سمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمدا رسول الله» فقال:

«لله أبوك يابن عبد الله، لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين» [\(1\)](#).

فهذا النص يؤيد النص السابق، ويوضح لنا مدى تبرم معاوية بهذا الأمر، وأنه يعتبر ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الأذان إنما هو من صنيع رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه.

أما أن يكون ذلك بمحض ذاته فذلك آخر ما يفكر أو يعترف به معاوية.

7- ثم هناك محاولاتهم الجادة للمنع من التسمي باسم رسول الله «صلى الله

ص: 30

1- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 10 ص 101.

عليه وآلـه» ، وقد نجحوا في ذلك بعض الشيء كما يعلم بالمراجعة [\(1\)](#).

8- يقول العنزي «سمعت أبا بربعة وقد خرج من عند عبيد الله بن زياد، وهو مغضب فقال:

ما كنت أظن أن أعيش حتى أخلف في قوم يعيروني بصحبة محمد «صلى الله عليه وآلـه» .

قالوا: إن محمديكم هذا الدخان الخ.. [\(2\)](#)

9- وقد رأى مروان أباً أئوب الأنباري واضعاً وجهه على قبر النبي «صلى الله عليه وآلـه» ، فقال له: أتدرى ما تصنع؟ !

فقال أبو أئوب: نعم، جئت رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» ولم آت الحجر [\(3\)](#).

ما أشبه الليلة بالبارحة:

و ها نحن نجد نفس هذا الاتجاه الأموي يتبلور بصورة أصرح وأقبح في نهج بعض الفرق التي تدعى لنفسها قيمومة على الإسلام وعلى مقدساته ورموزه، حيث إنها ما فتئت تعمل على المنع من التبرك بآثار النبي الأكرم «صلى الله عليه وآلـه» ، وتجهد في طمس كل الآثار والمعالم الإسلامية،

ص: 31

1- راجع: الغدير ج 6 ص 309 عن عمدة القاري ج 7 ص 143.

2- مسنـد أـحمد بن حـنـبل ج 4 ص 421.

3- مسنـد أـحمد ج 5 ص 422 و مـسـتـدـرـكـ الـحاـكـمـ ج 4 ص 515 و تلـخـيـصـهـ لـلـذـهـبـيـ مـطـبـوـعـ بـهـامـشـهـ، وـصـحـحـاـهـ. وـمـجـمـعـ الزـوـائـدـ ج 4 ص 2 وـوفـاءـ الـوـفـاءـ ج 4 ص 1359 وـشـفـاءـ السـقـامـ ص 126 وـالـمـنـتـقـىـ لـابـنـ تـيـمـيـةـ ج 2 ص 261-263.

وإزالتها بطريقة أو بأخرى، وبمبرر مهما كان سخيفاً، وبلا مبرر.

وتحكم بالكفر على هذا الفريق، وبالشرك على ذاك، لا شيء إلا لأنهم لا يوافقونهم في المعتقد، وفي الرأي. وأمر هذه الفرقـة أشهر من أن يذكر.

سنة النبي صلى الله عليه وآله أم سنة غيره؟ :

أما قيمة سنة النبي «صلى الله عليه وآله» لديهم فيوضحها:

1- أنه حينما أنكر أبو الدرداء على معاوية أكله الربا، أو شربه بآنية الذهب والفضة، واحتج عليه بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أجابه معاوية بقوله: أما أنا فلا أرى به بأساً.

فأخذ أبو الدرداء على نفسه أن لا يساكن معاوية في أرض هو فيها.

وكان ذلك في زمن عمر بن الخطاب، فلما بلغه ذلك لم يزد على أن أرسل إلى معاوية ينهاه عن فعل ذلك، ولكنه لم يعنـه على ما صدر منه، ولا عاقبـه، ولا عزلـه عن عملـه [\(1\)](#).

وبالمناسبة فإنـنا نشير هنا إلى أنـ أبي الدرداء لم يلتزم بما قطـعه على نفسه، حيثـ إنه قد ساـكن معاـوية بعد ذلك، وصارـ منـ أـعـوانـه لـمـ تـسلـطـ عـلـىـ النـاسـ، وـابـتـزـهـمـ أـمـرـهـ.

ص: 32

1- موطأ مالك ج 2 ص 135-136 (المطبوع مع تنوير الحوالك) وسنن البيهقي ج 5 ص 280 وراجع ص 278 و 277. وراجع:
المصادر التالية: شرح النهج للمعتزلي ج 5 ص 130 وسنن النسائي ج 1 ص 279 و 277 و اختلاف الحديث للشافعي (مطبوع بها مشـ الأمـمـ) ج 7 ص 23 و مـسـندـ أـحـمـدـ ج 5 ص 319 و صحيح مسلم ج 5 ص 43 و الجامـعـ لأـحكـامـ القرآنـ ج 3 ص 350.

2- وكان عثمان قد أحدث الصلاة: في منى أربعاً، ولم يقصرها كما كان يفعل رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، فاعتزل عثمان مرتين، فطلبوه من علي «عَلَيْهِ السَّلَامُ» أن يصلّي بالناس، فقال «عَلَيْهِ السَّلَامُ» : إن شئتم صلّيت لكم صلاة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، يعني ركعتين.

قالوا: لا، إلا صلاة أمير المؤمنين-يعنون عثمان-أربعاً. فأبى [\(1\)](#).

3- وقال البعض عن الشافعية: والعجب، منهم من يستجيز مخالففة الشافعي لنص له آخر، في مسألة بخلافه، ثم لا يرون مخالفته لأجل نص رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» [\(2\)](#).

و ما ذلك إلا لأن شأن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لم يكن لدى هؤلاء في المستوى اللائق به، كما هو ظاهر.

يقول أبو زهرة: «وجدنا مالكا يأخذ بفتواهم (أي الصحابة) على أنها من السنة، ويوازن بينها وبين الأخبار المروية إن تعارض الخبر مع فتوى صحابي وهذا ينسحب على كل حديث عنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، حتى ولو كان صحيحًا» [\(3\)](#).

و إجراء حكم المتعارضين من قبل مالك بين فتوى الصحابي، وبين الحديث عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» هو الذي دفع الشوكاني إلى مهاجمة كل من يعتبر أقوال الصحابة حجة كقول النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»

ص: 33

1- المحلى ج 4 ص 270 وراجع: ذيل سنن البيهقي لابن التركماني ج 3 ص 144.

2- مجموعة الرسائل المنيرية ص 32.

3- ابن حنبل لأبي زهرة ص 251-255 وكتاب مالك لأبي زهرة أيضًا ص 290.

وآله» ، فراجع ما قاله في هذا المورد إن شئت [\(1\)](#).

وقد ذكرنا في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام» ، طائفة من النصوص الدالة على أنهم يرون للصحابة حق التشريع.

ويرى بعض الصحابة أن هذا حق لهم [\(2\)](#).

وسيأتي بعض من ذلك في فصل: معايير لحفظ الانحراف.

بعض قريش لرسول الله صلى الله عليه و آله:

وقد رأينا قريشا، رغم تظاهرها بالإسلام، لم تزل تكن الحقد والبغض لرسول الله «صلى الله عليه و آله» ؛ باستثناء أفراد قليلين منهم.

وقد ظهر ذلك جليا واضحا حينما حاول «صلى الله عليه و آله» أن ينصّب عليا إماما في حجة الوداع، في منى أو في عرفات.

وقد روی بأسانيد صحيحة: أن الناس قد تركوه بسبب ذلك، وصار حبهم بقوله: ما بال شق الشجرة التي تلی رسول الله «صلى الله عليه و آله» أبغض إليکم من الشق الآخر [\(3\)](#).

ص: 34

1- ابن حنبل لأبي زهرة ص 254-255 عن إرشاد الفحول للشوکاني ص 214.

2- راجع: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص 86-90.

3- راجع على سبيل المثال: الإحسان في تعریف صحيح ابن حبان (ط مؤسسة الرسالة) ج 1 ص 444 و مسند أحمد ج 4 ص 16 و المعجم الكبير للطبراني ج 5 ص 50-52 و كشف الأستار عن مسند البزار ج 4 ص 206 و مجمع الزوائد ج 10 ص 408 عن أحمد عن ابن ماجة بعضاً، وكتنز العمال ج 10 ص 305 عن الدارمي، وابن خزيمة، وابن حبان، ومسند الطیالسي ص 182 وحياة الصحابة ج 3 ص 9 عن أحمد.

وقد حصل ذلك و النبی «صلی اللہ علیہ وآلہ وآلہ» راجع من مکہ إلى المدينة؛ فراجع ذلك في كتابنا: «الغدیر والمعارضون» إن شئت.

الخليفة الأموي أفضـل من رسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـآلـهـ وـآلـهـ:

وكان من سياسات الأمويين تفضيل الخليفة الأموي على رسول الله «صلـى الله عـلـيـه وـآلـهـ وـآلـهـ» ، يقول الجاحظ:

1- «فاحسب أن تحويل القبلة كان غلطا، و هدم البيت كان تأيلا، و احسب ما روي من كل وجه: أنهم كانوا يزعمون: أن خليفة المرء في أهلـه أرفع عنده من رسوله إليـهـ» [\(1\)](#).

2- ويقول أيضا عن بنـيـ هـاشـمـ: «ولـمـ يـجـعـلـوـ الرـسـوـلـ دـوـنـ الـخـلـيـفـةـ» [\(2\)](#). أي كما فعلـهـ الأـمـوـيـوـنـ.

3- قال الجاحظ: خطـبـ الحـجـاجـ بالـكـوـفـةـ، فـذـكـرـ الـذـيـنـ يـزـوـرـوـنـ قـبـرـ رـسـوـلـ اللـهـ «صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـآلـهـ» بـالـمـدـيـنـةـ، فـقـالـ: تـبـاـ لـهـمـ، إـنـمـاـ يـطـوـفـوـنـ بـأـعـوـادـ وـرـمـةـ بـالـبـالـيـةـ. هـلـاـ طـافـوـاـ بـقـصـرـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ؟

أـلـاـ يـعـلـمـوـنـ: أـنـ خـلـيـفـةـ الـمـرـءـ خـيـرـ مـنـ رـسـوـلـهـ؟ .

يـقـوـلـ المـبـرـدـ: إـنـ ذـلـكـ مـاـ كـفـرـتـ بـهـ الـفـقـهـاءـ الـحـجـاجـ.

وـأـنـ إـنـمـاـ قـالـ ذـلـكـ وـالـنـاسـ يـطـوـفـوـنـ بـالـقـبـرـ. وـهـذـهـ الـقـضـيـةـ مـعـرـوـفـةـ وـمـشـهـورـةـ [\(3\)](#).

ص: 35

1- رسائل الجاحظ ج 2 ص 16.

2- آثار الجاحظ ص 205.

3- راجع: النصائح الكافية ص 81 عن الجاحظ، والكامـلـ فـيـ الـأـدـبـ جـ 1ـ صـ 222ـ طـ النـهـضةـ بـمـصـرـ، وـشـرـحـ النـهـجـ لـلـمـعـتـزـلـيـ جـ 15ـ صـ 242ـ وـ الـبـداـيـةـ وـ الـنـهـاـيـةـ جـ 9ـ صـ 131ـ وـ سـنـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ جـ 4ـ صـ 209ـ وـ الـعـقـدـ الـفـرـيدـ جـ 5ـ صـ 51ـ وـ الـاشـفـاقـ صـ 188ـ وـ وـفـيـاتـ الـأـعـيـانـ جـ 2ـ صـ 7ـ وـ الـإـلـمـامـ جـ 4ـ صـ 313ـ ـ314ـ وـ فـيـهـ أـنـ ذـلـكـ هوـ سـبـبـ خـروـجـهـمـ معـ اـبـنـ الـأـشـعـثـ، وـ رـاجـعـ تـهـذـيـبـ تـارـيـخـ دـمـشـقـ جـ 4ـ صـ 72ـ وـ بـهـجـ الصـبـاغـةـ جـ 5ـ صـ 291ـ ـ319ـ وـ 338ـ عنـ الـعـقـدـ الـفـرـيدـ، وـ عـنـ كـتـابـ اـفـتـرـاقـ بـنـيـ هـاشـمـ وـ عـبـدـ شـمـسـ لـلـجـاحـظـ.

4- وكتب الحجاج إلى عبد الملك: «إن خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين» [\(1\)](#).

5- قال خالد بن عبد الله القسري، وذكر النبي «صلى الله عليه وآله» : أيهما أكرم رسول الرجل في حاجته، أو خليفته في أهله، يعرض: أن هشاما خيرا من النبي «صلى الله عليه وآله» [\(2\)](#).

6- ويقول خالد القسري أيضا: والله لأمير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه «عليهم السلام» [\(3\)](#).

7- ورغم خالد القسري أيضا: أن عبد الله بن صيفي سأله هشاما، فقال: يا أمير المؤمنين، أخليفتك في أهلك أحب إليك وآثر عننك، ألم رسولك؟!

ص: 36

-
- 1- العقد الفريد ج 2 ص 354 وج 5 ص 51 وراجع ص 52 وراجع: البداية والنهاية ج 19 ص 131 وتهذيب تاريخ دمشق ج 4 ص 72 وبهج الصباغة ج 5 ص 317.
 - 2- الأغاني ج 19 ص 60.
 - 3- الأغاني ج 19 ص 60 وراجع: تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 82.

قال هشام: بل خليفتي في أهلي.

قال: فانت خليفة الله في أرضه و خلقه، و محمد رسول الله «صلى الله عليه و آله» إليهم؟ فانت أكرم على الله منه.

فلم ينكر هذه المقالة من عبد الله بن صيفي، وهي تضارع الكفر. انتهى كلام خالد [\(1\)](#).

8- وقد ادعى الحجاج: «أن خبر السماء لم ينقطع عن الخليفة الأموي» [\(2\)](#).

و كان الحجاج بري: أن عبد الملك بن مروان معصوم [\(3\)](#)، بل كان يرى نفسه: أنه لا يعمل إلا بوحى من السماء و ذلك حينما أخبروه: أن أم أيمن تبكي لانقطاع الوحي بموت رسول الله «صلى الله عليه و آله» [\(4\)](#).

ولما عجب بعد هذا إذا عرفنا أن البعض يقول: إن من خالف الحجاج فقد خالف الإسلام [\(5\)](#).

على خطى الحجاج:

والذى يلفت نظرنا هنا: أننا نجد الوهابيين ينفذون السياسات الأموية

ص: 37

1- الأخبار الطوال ص 346.

2- تهذيب تاريخ دمشق ج 4 ص 72.

3- العقد الفريد ج 5 ص 25.

4- تهذيب تاريخ دمشق ج 4 ص 73، وراجع: الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ج 1 ص 115.

5- لسان الميزان ج 6 ص 89.

هذه بأمانة ودقة حتى إن زعيمهم محمد بن عبد الوهاب يقول عن النبي «صلى الله عليه وآله» : «إنه طارش» .

وبعض أتباعه يقول بحضرته، أو يبلغه فيرضي: عصاًي هذه خير من محمد، لأنَّه ينتفع بها في قتل الحية والعقرب، ونحوها، ومحمد قد مات، ولم يبق فيه نفع، وإنما هو طارش [\(1\)](#).

نظرة الأمويين إلى الحرم والكعبة:

أما بالنسبة إلى رأيهم في الكعبة، وزرم، ومقام إبراهيم وغيرها من المقدسات، فذلك أوضح من الشمس وأين من الأمس، ويتبين ذلك من النصوص التالية:

1- كان خالد القسري قد أخذ بعض التابعين، فحبسه في دور آل الحضرمي بمكة، فأعظم الناس ذلك وأنكروه، فخطب، فقال: قد بلغني ما أنكرتم من أخذني عدو أمير المؤمنين ومن حاربه.

وَاللَّهُ، لَوْ أَمْرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَقْضِي هَذِهِ الْكَعْبَةَ حَجْرًا لِنَقْضِهَا.

وَاللَّهُ، لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» [\(2\)](#).

2- قال المدائني: كان خالد يقول: لو أمرني أمير المؤمنين لنقضت

ص: 38

1- كشف الارتياب ص 139 عن خلاصة الكلام ص 230 و الطارش هو: الرسول في الحاجة.

2- الأغاني ج 19 ص 20 وراجع: تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 82.

الكعبة حجراً حجراً، ونقلتها إلى الشام [\(1\)](#).

3- وأعظم من ذلك وأشد خطراً، وأعظم جرأة على الله عز وجل: أن الحجاج لم يكتف في حربه لابن الزبير برمي الكعبة بأحجار المنجنيق، حتى رماها -والعياذ بالله- بالعذرة أيضاً لعنه الله وأخذه [\(2\)](#).

4- كما أن الوليد بن يزيد الأموي قد أنفذ مجوسيًا ليبني على الكعبة مشربة للخمر.

كما وذهب في عهد هشام إلى مكة و معه خمر، وقبة ديباج على قدر الكعبة، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة، ويجلس فيها، فخوفه أصحابه من ثورة الناس، حتى امتنع [\(3\)](#).

5- وتقديم قول الجاحظ: أن هاشما تختر على بنى أمية بأنهم لم يهدموا الكعبة [\(4\)](#).

وأنهم: «أعادوا على بيت الله بالهدم، وعلى حرم المدينة بالغزو، فهدموا الكعبة، واستباحوا الحرمة.. الخ..» [\(5\)](#).

مقام إبراهيم عليه السلام:

وقد روى عبد الرزاق عن الثوري، عن مغيرة، عن أبيه، قال: رأيت

ص: 39

1- الأغاني ج 19 ص 59.

2- عقلاء المجانين ص 178 والفتح لابن أثيم ج 2 ص 486.

3- بهج الصباغة ج 5 ص 340 عن الطبرى والأغاني.

4- آثار الجاحظ ص 205.

5- رسائل الجاحظ ج 2 ص 16.

الحجاج أراد أن يضع رجله على المقام- مقام إبراهيم- فiz جره عن ذلك محمد بن الحنفية، وينهاء عن ذلك.

أضاف الزمخشري: أن ابن الحنفية قال: «وَاللَّهُ، لَقَدْ كُنْتَ عَزِمْتَ إِنْ أَرَادَنِي أَنْ أَجْتَذِبَ عَنْهُ فَأَقْطَعُهَا» [\(1\)](#).

زمزم أم الخنافس:

قال الأصمسي: قال أبو عاصم النبيل: ساق خالد (أبي القسري) ماء إلى الكعبة؛ فنصب طستاً إلى جانب زمم، ثم خطب، فقال: قد جئتكم بماء العادية، وهو لا يشبه أم الخنافس، يعني زمم [\(2\)](#).

وقال خالد القسري لعامله ابن أمي: أيما أعظم، ركبتنا أم زمم؟

فقال له: أيها الأمير، من يجعل الماء العذب النقاچ مثل الملح الأجاج؟!

وكان يسمى زمم: أم الجعلان [\(3\)](#).

بين الخليفة الأموي وإبراهيم الخليل:

وقال أبو عبيدة: خطب خالد (أبي القسري) يوماً، فقال: إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء فسقاء الله ملحاً أجاجاً.

وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماء فسقاء عذباً تقاخاً [\(4\)](#).

ص: 40

1- المصنف للصنعاني ج 5 ص 49 وربيع الأول 843 ص 1 وطبقات ابن سعد ج 5 ص 84.

2- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 82.

3- الأغانى ج 19 ص 59.

4- الأغانى ج 19 ص 60.

ويذكر المؤرخون أنه: حين استولى ابن الزبير على مكة والهجاز بادر عبد الملك بن مروان إلى: «منع الناس من الحج، فضج الناس، فبني القبة على الصخرة، والجامع الأقصى؛ ليشغلهم بذلك عن الحج، ويستعطف قلوبهم، وكانوا يقرون عند الصخرة، ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة، وينحررون يوم العيد، ويحلقون رؤوسهم» [\(1\)](#).

وقد قال عبد الملك عن الصخرة: هذه صخرة الرحمن التي وضع عليها رجله [\(2\)](#).

وكان ابن مسعود، وعائشة، وعروة بن الزبير، وابن الحنفية، وابن عمر، ينكرون ما ي قوله أهل الشام عن الصخرة، من أن الله وضع قدمه عليها [\(3\)](#).

فذكر ابن مسعود هنا وهو إنما توفي في خلافة عثمان، يشير إلى أن أهل الشام الذين رباهم معاوية، كانوا يقولون بهذه المقالة في وقت متقدم جداً، حتى اضطر هؤلاء الأعلام إلى الإعلان عن إنكارهم لهذا الأمر، بما فيهم ابن مسعود.

ص: 41

-
- 1- البداية والنهاية ج 8 ص 280 و 281 و راجع: الأنس الجليل ج 1 ص 272 و تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 161 و مآثر الأنافة ج 1 ص 129 و حياة الحيوان الكبرى ج 1 ص 66 والسنة قبل التدوين ص 502-506.
 - 2- التوحيد وإثبات صفات الرب ص 108.
 - 3- الأباضية، عقيدة و مذهبها ص 98.

وقد اعترف البعض ببناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة، لكنه زعم: أن ذلك قد كان لأجل أنه رأى عظم قبة القمامنة و هيئتها، فخشى أن تعظم في قلوب المسلمين [\(1\)](#).

ولكنه كما ترى تأويل بارد، و تخيل فاسد، إذ لما ذا اختار قبلة اليهود لإزالة ذلك من قلوب المسلمين؟!

ولماذا لا يختص ذلك ببيت المقدس دون سواه؟

ولماذا منع الناس من الحج إلى الكعبة؟

ولماذا الطواف، والنحر، والحلق، والوقوف، الخ؟!

ثم لماذا تحويل القبلة عن الكعبة إلى بيت المقدس على الظاهر، كما سرني؟! ولماذا؟ ولماذا؟

تحويل القبلة:

ثم إنهم قد حولوا قبلة المسلمين، كما ينص عليه الجاحظ.

والظاهر هو: أنهم قد حولوها إلى بيت المقدس تجاه الصخرة، التي هي قبلة اليهود، كما ربما يقتضيه ما تقدم.

قال الجاحظ: «.. حتى قام عبد الملك بن مروان، وابنه الوليد، وعاملهما الحجاج، ومولاهما يزيد بن أبي مسلم، فأعادوا على البيت بالهدم، وعلى حرم المدينة بالغزو، فهدموا الكعبة، واستباحوا الحرمة، و حولوا قبلة واسط».

ص: 42

1- أحسن التقسيم ص 159.

إلى أن قال: «.. فاحسب: أن تحويل القبلة كان غلطا، و هدم البيت كان تأويلا، و احسب ما رروا من كل وجه: أنهم كانوا يزعمون.. الخ»

(1) ..

و يقول الجاحظ أيضا: «و تخر هاشم بأنهم لم يهدموا الكعبة، ولم يحولوا القبلة، ولم يجعلوا.. الخ..» (2).

و مما يدل على تحويل قبلة واسط أيضا: أن أسد بن عمرو بن جاني، قاضي واسط، (قد رأى قبلة واسط رديئة، فتحرف فيها، فاتهم بالرفض) (3)، فأخبرهم أنه رجل مرسلا من قبل الحكم ليتولى قضاء بلدتهم.

ونقول:

أولا: إن الظاهر هو أن تحويل القبلة كان إلى صخرة بيت المقدس، التي جعل الحج أولا إليها، بعد أن منع الحج إلى مكة والكعبة. كما تقدم.

بل لقد أدعى البعض: أن القبلة أساسا قد كانت قبل الهجرة إلى الصخرة (4).

و ثانيا: إنه يظهر من قصة قاضي واسط: أن غير الشيعة قد قبلوا بالأمر الواقع، و جروا على ما يريد الحكم، و الشيعة وحدهم هم الذين رفضوا

ص: 43

1- رسائل الجاحظ ج 2 ص 16.

2- آثار الجاحظ ص 205.

3- نشوار المحاضرات ج 6 ص 36 و تاريخ بغداد ج 7 ص 16.

4- راجع: الكشكوك للبهائي ط مصر ص 98 و تاريخ الخميس ج 1 ص 367 و السيرة الحلية ج 2 ص 130.

ذلك، حتى أصبح تحري القبلة مساوياً لاتهام بالرفض.

وثالثاً: لعل تحويل القبلة إلى بيت المقدس يفسر لنا ما ورد من استحباب التيسير لأهل العراق خاصة، وهم الذين كان الحجاج يحكمهم من قبل بنى أمية. أي ليكونوا أقرب إلى الكعبة حينئذ.

غير أن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» لم يتمكنوا من الجهر والتصريح بهذا الأمر، فأشاروا إليهم باستحباب التيسير، ثم لما كانوا يسألونهم عن السبب في ذلك تراهم يبرونه بما يبعد الشبهات عنهم [\(1\)](#).

ولكن ذلك، فيما يظهر لم يدم طويلاً، فقد التفت خصوم الشيعة إلى ذلك، ولذا تراهم يتهمون كل من يتحرى القبلة بالرفض، كما تقدم.

تأويلاً سقراطياً:

يقول البعض: إن السر في استحباب التيسير هو أن علامات القبلة لأهل العراق لم تكن كافية لتعيينها بدقة، بحيث يجعل التوجه إلى سمت شخص الكعبة، فكان استحباب التيسير مكملاً لتلك العلامات.

ولكن هذا مرفوض، ولا يمكن قبوله، إذ إنه لو صح هذا لوجب الحكم بوجوب التيسير لا استحبابه.

وقال بعض آخر: إن السر في ذلك هو أن سعة الحرم من أحد جوانبه أزيد من الجوانب الأخرى.

ونقول:

ص: 44

1- راجع: *وسائل الشيعة* كتاب الصلاة، أبواب القبلة.

أولاً: إنه إذا كان اللازم هو التوجّه إلى شخص الكعبة، فإن سعة الحرم وضيقه لا أثر له في شيء من ذلك.

ثانياً: ولو سلمنا أن المطلوب هو التوجّه إلى الحرم، فإن سعته من أحد الجوانب ليست بمقدار يستحب معه التيسير الموجب للابتعاد عنه مئات الأميال أو أكثر أو أقل.

كعبـة المـتوـكـل فـي سـامـرـاء:

و بالمناسبة فيها هو الخلف العباسـي يقتـدـي بـذـلـكـ السـلـفـ الأـمـويـ، فإنـ الخليـفةـ المـتـوـكـلـ، الـذـيـ استـحـقـ منـ الـبعـضـ لـقـبـ «ـمـحـيـ السـنـةـ»ـ قدـ اـقـتـدـىـ بـسـلـفـهـ الأـمـويـ، فـبـنـىـ فـيـ سـامـرـاءـ كـعـبـةـ، وـجـعـلـ طـوـافـ، وـاتـخـذـ مـنـىـ وـعـرـفـاتـ، حـتـىـ يـحـجـ إـلـيـهاـ أـمـرـاءـ جـيـشـهـ، وـلـاـ يـفـارـقـهـ[\(1\)](#).

الـحـجـاجـ وـ الـقـرـآنـ:

عنـ سـلـمـةـ بـنـ كـهـيـلـ قـالـ: «ـاـخـتـلـفـتـ أـنـاـ وـ ذـرـ المـرـهـبـيـ (ـمـنـ عـبـادـ أـهـلـ الـكـوـفـةـ، وـمـنـ رـجـالـ الصـحـاحـ السـتـ)ـ فـقـالـ: مـؤـمـنـ، وـقـلـتـ: كـافـرـ.

قـالـ الـحـاـكـمـ: وـبـيـانـ حـجـتـهـ مـاـ أـطـلـقـ فـيـ مـجـاهـدـ بـنـ جـبـيرـ فـيـماـ حـدـثـنـاهـ مـنـ طـرـيقـ أـبـيـ سـهـلـ أـحـمـدـ الـقطـانـ، عـنـ الـأـعـمـشـ قـالـ: وـالـلـهـ، لـقـدـ سـمـعـتـ الـحـجـاجـ بـنـ يـوسـفـ يـقـولـ: يـاـ عـجـبـاـ مـنـ عـبـدـ هـذـيـلـ (ـيـعـنـيـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـسـعـودـ)ـ يـزـعـمـ

صـ: 45

1- راجـعـ: أـحـسـنـ التـقـاسـيمـ صـ122ـ123ـ وـلـكـنـ يـحـتـمـلـ أـنـ يـكـونـ المـقصـودـ هوـ المـعـتـصـمـ العـبـاسـيـ، فـإـنـ فـيـ عـبـارـةـ المـقـدـسـيـ بـعـضـاـ مـنـ الإـبـهـامـ. وـسـوـاءـ كـانـ المـتـوـكـلـ هوـ الـذـيـ فعلـ ذـلـكـ أوـ الـمـعـتـصـمـ، فـإـنـ النـتـيـجـةـ وـاحـدةـ.

أنه يقرأ قرآننا (أو قال: يزعم أن قرآننا) من عند الله.

والله، ما هو إلا رجز من رجز الأعراب، والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه» .

وزاد ابن عساكر وغيره: «ولأخلين منها (أي من قراءة ابن مسعود) المصحف وبصلع خنزير، أو لأحكنها من المصحف، ولو بصلع خنزير» .

وقد استفطع ابن كثير هذا الكلام من الحجاج، فراجع البداية والنهاية [\(1\)](#).

الخليفة أموي ينتقم من المصحف:

ويذكر المؤرخون: أن الخليفة الأموي الوليد بن يزيد لعنه الله، قرأ ذات يوم: وَاسْتَنْقَتُهُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيهِ، مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ . [\(2\)](#) فرمى المصحف بالنشاب، وهو يقول:

تهددني بجبار عنيد *** فيها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر *** فقل يا رب خرقني الوليد [\(3\)](#)

ص: 46

1- البداية والنهاية ج 9 ص 128 عن أبي داود و ابن أبي خيثمة و مستدرک الحاکم ج 3 ص 656 و تلخيص المستدرک للذهبی (مطبوع بهامشه) نفس الجلد والصفحة و تهذیب تاریخ دمشق ج 4 ص 72 و الغدیر ج 10 ص 51 عنهم، وراجع: بهج الصباغة ج 5 ص 317 .
2- الآیات 15 و 16 من سورة إبراهیم .

3- راجع: بهج الصباغة ج 5 ص 339 وج 3 ص 193 و الحور العین ص 190 و مروج الذهب ج 3 ص 226، والأغاني ط دار إحياء التراث ج 7 ص 49 .

ولَا نجائز إِذَا قلنا: إِنَّهُ فِي عَهْدِ الْخَلْفَاءِ الَّذِينَ سَبَقُوا خَلْفَةً عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ، قَدْ كَانَتِ السُّلْطَةُ وَالْهِيَمَةُ لِتَلْكَ الْفَتَنَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَقِيمُ لِلَّدِينِ وَزَناً.

وأصبح الجو العام هو جو الاستهزاء والسخرية بالدين والمتدينين، مع عدم اهتمام ظاهر من السلطات برد هذا الفريق من الناس، ومكافحتهم لأسباب مختلفة.

وكشاهد على ذلك نذكر: أن حذيفة بن اليمان، يقول: «ابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلني إلا سرا» [\(1\)](#).

مع أن حذيفة كان صحابياً جليلاً، وكان من كبار القواد الذين كان لهم دور هام في فتوحات بلاد فارس، وقد توفي في أوائل خلافة الإمام علي، أمير المؤمنين «عليه السلام»، أي بعد البيعة له «عليه السلام» بالخلافة بأربعين يوماً على ما قيل.

فإذا كان أمثال حذيفة لا يستطيعون الإعلان بصلاتهم، فما ظنك بالأعم الأغلب من الناس الذين لم يكن لهم مقام ولا مكانة حذيفة ونفوذه؟ ! .

ما هو إلا ملك! :

ويذكر ابن شبة: «أن شريح بن الحارث النميري، الذي كان عامل

ص: 47

1- صحيح مسلم ج 1 ص 91 و صحيح البخاري ج 2 ص 116.

رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» على قومه، ثم عامل أئبي بكر، فلما قام عمر (رض) أتاه بكتاب رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، فأخذه ووضعه تحت قدمه، وقال: لا، ما هو إلا ملك، انصرف» [\(1\)](#).

التحالف على هدم الإسلام:

وآخر نص نذكره في هذا السياق: هو ما ذكره الزمخشري، من أن أمويا وأنصاريا تفاحرا؛ فذكر له الأموي الأمويين الذين توفي النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وهم عمال له.

قال الأنصاري: صدقت، ولكنهم حالفوا أهل الردة على هدم الإسلام.

فكأنما ألقمه حجرا [\(2\)](#).

غيب من فيض:

كان ما تقدم من النصوص غيبا من فيض، مما يدل على رأي و اعتقاد و سياسة الحكماء تجاه الإسلام، و رموزه، و مقدساته. و تجاه الرسول الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» .

ولكنه ليس هو كل شيء، فشمة نصوص باللغة الكثرة تدل على ذلك أو تشير إليه.

و حيث إن استيعابها خارج عن حدود الطاقة، فإننا نكتفي بما أوردناه

ص: 48

1- تاريخ المدينة لابن شبة، المجلد الأول ص 596.

2- ربيع الأبرار ج 1 ص 708-709.

لنتنقل في بحثنا إلى ما يزيد الحقيقة وضوحاً، ويستكمل ملامح الصورة التي أريد طمسها، بطريقة أو أخرى، ولسبب أو آخر.

فنقول:

الدّوافع والأهداف:

وأما لماذا يحاولون النيل من المقدسات الإسلامية، وبالأخص من شخصية الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، والحط من كرامته، فلعل ذلك يعود إلى الأمور التالية:

1- الكيد السياسي الأموي ضد الهاشميين، خصومهم قديماً وحديثاً، بما فيهم النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، والذى أصبح هو مصدر العزة والشرف والمجد لكل أحد، ولا سيما الهاشميين.

2- تبرير كل انحرافات وتقاهات الهيئة الحاكمة، والتقليل من بشاعة ما يرتكبونه من موبقات في أعين الناس.

على اعتبار: أنه ليس ثمة فواصل كبيرة بين مواقف وتصرفات هؤلاء، وبين تصرفات ومواقف الرجل الأول والمثال، فهي وإن اختلفت كمية وشكلًا، ولكنها لا تختلفمضمونها و هدفا.

3- إرادة دفن هذا الدين، والقضاء عليه نهائياً، ما دام أنه يضر بمصالحهم، ويقف في وجه شهواتهم، وأهواهم وماربهم، إلا في الحدود التي لا تضر في ذلك كله، بل تبرره وتقويه، وترفله وتنمييه.

4- الحصول على بعض ما يرضي غرورهم، ويؤكد شوكتهم وعزتهم، ويظهر قوتهم وجبروتهم.

ص: 49

5- عدم وجود قناعة كافية لدى الكثرين منهم بأنّ محمداً «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» نبي مرسلاً حقاً، وقد صرّح بذلك أمير المؤمنين «عليه السلام» في بعض كلامه، حيث يقول:

«.. إن العرب كرهت أمر محمد «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» و حسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسم يمنه عندها، وأجمعوا مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته، ولو لا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلّماً إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولا رتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكرأ، ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمحنة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً..»⁽¹⁾.

وهو أيضاً ما عبر عنه يزيد الفجور والخمور صراحة بقوله، حين تمثل بـ شعر ابن الزبيري:

لعبت هاشم بالملك فلا *** خبر جاء ولا وحي نزل

وقد غنى ابن عائشة هذه الأبيات أمام الوليد، فقال له:

أحسنت والله، إني لعلى دين ابن الزبيري يوم قال هذا الشعر⁽²⁾.

وقال الوليد بن يزيد:

ص: 50

1- راجع: شرح النهج للمعتلي ج 20 ص 299.

2- تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 337 وبهجم الصباغة ج 3 ص 194.

تلعّب بالخلافة هاشمي *** بلا وحي أتاه ولا كتاب

فقل لله يمنعني طعامي *** وقل لله يمنعني شرابي [\(1\)](#)

وقال بعد أن ذكر الخمر:

فلقد أيقنت أني *** غير مخلوق لنار

سأروض الناس حتى *** يركبوا (...) [\(2\)](#) الحمار

ذروا من يطلب الج *** نة يسعى لتبار [\(3\)](#)

6- هذا كلّه، بالإضافة إلى حقد دفين على الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وبغضّ حقيقي له، بسبب ما فعله بآبائهم، وإخوانهم، وعشائرهم، الذين حاربوا الإسلام وقادوه بكل ما قدروا عليه.

وقد ظهر ذلك منهم بصورة واضحة حينما أراد «صلى الله عليه وآله» أن يصرح بإمامته أخيه، ووصيه، وابن عمه علي «عليه السلام»، وأن يأخذ البيعة له منهم، فقال لهم «صلى الله عليه وآله» حينئذ:

«ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله أبغض إليكم من الشق الآخر». حسبما قدمناه عن قريب في الصفحة 34 من هذا الكتاب.

ص: 51

1- الحور العين ص 190 و مروج الذهب ج 3 ص 216 و بهج الصباغة ج 5 ص 339 وج 3 ص 194 و البيت الثاني مقتبس من بيت قاله أبو بكر بن أبي قحافة، و ستائي الإشارة إليه إن شاء الله في فصل ما بين بدر وأحد.

2- هناك كلمة يقبح التصريح بها، وهي اسم ذكر الرجل.

3- الحور العين ص 190-191 والأغاني ط دار إحياء التراث ج 7 ص 46.

إن من المقبول وال المسلم به لدى الجميع، نظرياً على الأقل: أن قول النبي «صلى الله عليه و آله»؛ و فعله، و تصريره حجة، و دليل على الحكم الشرعي، وقد قال تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ](#) ⁽¹⁾.

وقال: [وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُهُوا](#) ⁽²⁾.

و ذلك يعني: أنه لا بد من تتبع أقواله، وأفعاله و مواقفه «صلى الله عليه و آله» ، لمعرفة ما يتوجب على المكلفين معرفته في نطاق التزامهم بالحكم الشرعي، و التأسي بالرسول الأكرم «صلى الله عليه و آله» .

كما أن ذلك يعني: أن النبي «صلى الله عليه و آله» معصوم في كل قول أو فعل، أو موقف يصدر عنه، و لا تختص عصمته بمقام التبليغ القولي للأحكام، كما ربما يوهمه بعض ما يزعمونه في هذا المقام.

ولأجل ذلك فإن من المفترض أن يتناقل الناس كل ما يصدر عن النبي «صلى الله عليه و آله» من قول و فعل عبر الأجيال، وأن يدونوه و يحفظوه،

ص: 55

- الآية 21 من سورة الأحزاب.

- الآية 7 من سورة الحشر.

وأن يجمعوه ويفسروه، لا سيما وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه قد ذكر: أنه قد أُوتِي القرآن و مثله معه.

وكان جبرائيل «عليه السلام» ينزل عليه «صلى الله عليه وآله» ، فيعلمه السنة كما يعلمه القرآن [\(1\)](#).

ولَا نرِى أَنَا بِحَاجَةٍ إِلَى ذَكْرٍ مَا يَدْلِي عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحْاطَ بِهِ.

الحث على كتابة الحديث:

هذا، وقد حث «صلى الله عليه وآله» على كتابة ورواية ما يصدر عنه من علوم و معارف، وقد وصل إلينا من ذلك الشيء الكثير، مما هو مثبت في عشرات المصادر والمراجع [\(2\)](#).

ص: 56

1- راجع الزهد والرقائق (قسم ما رواه نعم بن حماد) ص 23 والكافية في علم الرواية ص 12.

2- راجع على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: جامع بيان العلم ج 1 ص 76 و 34 و 85 و 84 و 72 وج 2 ص 34 و كشف الأستار ج 1 ص 109 و تيسير المطالب في أمالى الإمام أبي طالب ص 44 و الغدير ج 8 ص 154 و تحفة الأحوذى (المقدمة) ج 1 ص 34 و 35 و مروج الذهب ج 2 ص 294 و البحارج 2 ص 144 و 152 و 47 وج 71 ص 139 و 130 و البداية والنهاية ج 1 ص 6 وج 5 ص 194 و تقيد العلم ص 65-70 و 72 و 85 و 86 و 88 و 89 و ميزان الاعتدال ج 1 ص 653 و لسان الميزان ج 2 ص 298 وج 4 ص 21 وج 1 ص 172 و وفاء الوفاء ج 2 ص 487 و مسنند أحمد ج 1 ص 100 و 238 وج 2 ص 248-249 و 403 و 162 و 192 و 215 و 4 ص 334 وج 5 ص 183 و المعجم الصغير ج 1 ص 162 و 114 و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج 4 ص 106 و فتح الباري ج 1 ص 184 و 182 و 199 و 203 و 246 و 247 و العقد الفريد ج 2 ص 219 و البيان والتبيين ج 2 ص 38 و سنن الدارمي ج 1 ص 125-127 و ذكر أخبار أصحابهان ج 2 ص 228 و حسن التبييه ص 194 و مجمع الزوائد ج 1 ص 151 و 152 و 139 و المنار ج 1 ص 763 و الترتيب الإدارية ج 2 ص 249-244 و 250 و 199 و 225 و 223 و 227 و 316 و 317 و الثقات ج 1 ص 10 و تدريب الراوي ج 2 ص 66 و الأدب المفرد ص 129 و المصنف للصنعاني ج 11 ص 254 و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 42 و تأويل مختلف الحديث ص 93 و أدب الإملاء والاستملاء ص 5 و المعرف ص 200 و كنز العمال ج 10 ص 157 و من ص 75 حتى ص 195 وج 4 ص 100 والإسرائييليات وأثرها في كتب التفسير ص 145 و شرح معاني الآثار ج 4 ص 318-320 و الضعفاء الكبير للعقيلي ج 3 ص 83 و تهذيب تاريخ دمشق ج 7 ص 377 و حياة الصحابة ج 3 ص 268 و 273 و 442 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 37 وعن البخاري ج 1 ص 148 و الباعث الحيث شرح اختصار علوم الحديث ص 132 و 133 و علوم الحديث لأبي الصلاح ص 161 و شرف أصحاب الحديث ص 35 و 14-23 و 31 و 80 و بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 219 و 220 و صحيح البخاري ج 1 ص 15 و 18 و 20 و 21 ط سنة 1309.

الصحابة و غيرهم يكتبون الحديث:

وقد كتب الصحابة، وكتب غيرهم، ممن عاش في القرن الأول الهجري الكثير الكثير عنه «صلى الله عليه و آله» ، و كانوا يأمرؤن و يحثون غيرهم على الكتابة أيضاً، و كان كثير منهم يملك صحفاً و كتاباً يجمع فيها طائفة من

ص: 57

1- إن كل ما تقدم يمكن مراجعته في عدد من المصادر التي ذكرناها في الهاشم المتقدم، ونزيد على ذلك ما يلي: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 222-229 عن مصادر كثيرة مورداً فهراً للصحف والكتب للصحابه والتبعين، وراجع: الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الأحكام باب اليمين مع الشاهد وعلوم الحديث ومصطلحه ص 22 و 23 وجامع العلم ج 1 ص 84 و 75 وج 2 ص 34 و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 23 و 42 و 123 و الممحجة البيضاء ج 5 ص 302 والمصنف للصنعاني ج 11 ص 183 و 425 و 259 وج 8 ص 41 و التراتيب الإدارية ج 2 ص 246 و 247 و 319 و 258 و 259 و 256 و 260-262 و 277 و 312 و أدب الإملاء والاستملاء ص 12-18 وإحياء علوم الدين ج 3 ص 171 و العلل و معرفة الرجال ج 1 ص 104 و مجمع الزوائد ج 1 ص 151 و 152 و السنن الكبرى ج 10 ص 324 وج 4 ص 85-90 و مشكل الآثار ج 1 ص 40 و 41 و الغدير ج 8 ص 156 و البحار ج 12 ص 152 و سنن الدارمي ج 1 ص 128 و 127 و 124 و المعرفة والتاريخ ج 2 ص 279 و 142 و 143 و 661 و ربيع الأبرار ج 3 ص 236 و تأويل مختلف الحديث ص 286 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 599 و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبة) ج 3 ص 179 و لسان الميزان ج 6 ص 22 و الكفاية في علم الرواية ص 82 و علوم الحديث ص 13 و 14 و 25-22 و تقيد العلم ص 96 و 60-63 و 90 و 92 و 136 و 39 و 72-89 و 91 و 115 و شرف أصحاب الحديث ص 97 و تهذيب التهذيب ج 4 ص 236 وج 7 ص 180 و مستدرك الحاكم ج 1 ص 390-398 و الطبقات الكبرى ج 5 ص 371 و 367 و 179 وج 2 ص 371 وج 6 ص 371 و 179 ط صادر. وفي ط ليدن ج 4 قسم 2 ص 8 و 9 وج 7 ص 14 و ط مؤسسة دار التحرير للطباعة والنشر ج 6 ص 179 و 174 و الأسماء والصفات ص 30 و أضواء على السنة المحمدية ص 50 و صحيح البخاري ط سنة 1309 هـ ج 4 ص 124 و 121 وج 1 ص 21 و الزهد والرقة ص 351 و 549 وفيه في جزء نعيم بن حماد ص 117 و شرح معاني الآثار ج 4 ص 318-320 و تهذيب تاريخ دمشق ج 7 ص 178 وج 5 ص 451 و 452 و كنز العمال ج 10 ص 145 و 178 و 189 و الضعفاء الكبير ج 3 ص 83 و 314 و مختصر تاريخ دمشق ج 17 ص 10 و علوم الحديث لابن الصلاح ص 161 و اختصار علوم الحديث (الباعث الحديث) ص 132 و 133 و عن المصنف لابن أبي شيبة ج 2 ص 390 وعن تاريخ المذاهب الفقهية ص 24 وعن السير الحديث ص 9.

وقد سافر كثير منهم و من التابعين إلى الأقطار المختلفة في طلب حديث الرسول الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»[\(1\)](#).

عمر و أبو بكر كتابة الحديث:

و حتى الخليفة أبو بكر، فإنه قد كتب عن الرسول الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» خمس مئة حديث، لكنه عاد فمحاها فور وفاته «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»[\(2\)](#).

وقد كان الصحابة يعقدون حلقات المذاكرة لحديث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في المسجد، وقد يصل عدد بعض الحلقات إلى أكثر من

ص: 59

1- راجع: الرحلة في طلب الحديث ص 110 و ما بعدها إلى آخر الكتاب وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 208-210 عن العديد من المصادر و حياة الصحابة ج 3 ص 223 حتى ص 226 عن العديد من المصادر.

2- راجع: تذكرة الحفاظ ج 1 ص 5 و كنز العمال ج 10 ص 174 عن مسنن الصديق لعماد الدين ابن كثير، عن الحاكم. و راجع: النص و الاجتهاد ص 151 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 61 الطبعة الأولى و بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 221.

ثلاثين رجلاً، وذلك في أول إمرة عمر بن الخطاب [\(1\)](#).

بل إن عمر بن الخطاب نفسه قد كتب -فيما يروى عنه- لعتبة بن فرقد بعض السنن [\(2\)](#)، ووجد في قائم سيفه صحفة فيها صدقة السوائم [\(3\)](#).

وإن كنا نعتقد: أن هذا النص يهدف إلى مساواته برسول الله «صلى الله عليه وآله» ، حيث قد رواه: أنه قد وجد في قائم سيف رسول الله «صلى الله عليه وآله» صحفة مشابهة [\(4\)](#).

علي عليه السلام و ولده و شيعته:

أما أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ، الذي لم يكن يفارق رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سفر ولا حضر، إلا في غزوة تبوك، فقد كان مهتماً برواية و تدوين حديث رسول الله «صلى الله عليه و آله» اهتماماً بالغاً حتى لقد قيل له:

ما بالك أكثر أصحاب رسول الله «صلى الله عليه و آله» حديثاً !

فقال: كنت إذا سأله أبنائي، وإذا سكت ابتدأني [\(5\)](#).

وقد كتب عليه الصلاة والسلام عن النبي «صلى الله عليه و آله» كتاباً

ص: 60

1- راجع: حلية الأولياء ج 1 ص 331 و حياة الصحابة ج 2 ص 710.

2- مسنن أحمد ج 1 ص 16.

3- (السوائم: المواشي والإبل الراعية) الكفاية في علم الرواية ص 354.

4- راجع مکاتیب الرسول.

5- أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج 2 ص 98 و ترجمة الإمام علي «عليه السلام» ، لابن عساكر (بتحقيق المحمودي أيضاً) ج 2 ص 456.

كثيرة، وقد توارثها عن الأئمة من ولده [\(1\)](#).

وقد واصل هؤلاء الأئمة الأطهار التشجيع على التزاور، وتذاكر الحديث حتى لا يندرس، وحثوا على كتابة العلم وتناقله، وحفظه في موارد كثيرة [\(2\)](#).

ص: 61

1- لقد ذكر العلامة الأحمدى في كتابه مکاتيب الرسول ج 2 ص 71-89 طائفة من المصادر لذلك لكنه قد أضاف عشرات النصوص والمصادر الأخرى، التي سوف يجدتها القارئ في الطبعة الثانية لكتابه المذكور. ويمكن مراجعة: الوسائل، كتاب القضاء، وكتاب الحدود، والكافى ج 7 ص 77 و 94 وج 2 ص 66 وكنز العمال ج 1 ص 337 ورجال النجاشي ص 255 وأدب الإماء والاستملاء ص 12 وحياة الصحابة ج 3 ص 521-522 ومستند أحمد ج 1 ص 116 والغدير ج 8 ص 168 والمراجعات ط الأعلمى ص 305 و 306 وريع الأبراج 3 ص 294 والبحار ج 72 ص 274 وراجع: صحيح البخاري ط سنة 1309 هـ ج 1 ص 20-21 والبداية والنهاية ج 5 ص 251 وراجع: طبقات ابن سعد ج 5 ص 77 وعلوم الحديث لابن الصلاح ص 161 والباعث الحديث شرح اختصار علوم الحديث (متنا وهامسا) ص 132 وتقيد العلم ص 88 و 89 والرحلة في طلب الحديث ص 130.

2- راجع: بحار الأنوار ج 2 ص 152 و 153 و 50 و سسن الدارمي ج 1 ص 130 و علل الحديث ج 2 ص 438 و تقيد العلم ص 89 و 91 و التراييib الإدارية ج 2 ص 222 و 223 و 246 و 247 و 257 و 259 و ربيع الأبراج 3 ص 326 و 294 و جامع بيان العلم ج 1 ص 99 و ترجمة الإمام الحسن «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتتحققق المحمودي) ص 67 و روضات الجنات ج 8 ص 169 و معادن الجواهر ج 1 ص 3 و طبقات ابن سعد ج 6 ص 116 و تاريخ بغداد ج 8 ص 357 و نور الأبصار ص 122 و العلل و معرفة الرجال ج 1 ص 412 و تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 227 و شرف أصحاب الحديث ص 69 و 80 و 94.

حتى إن الزهري -وكان قد ترك الحديث- لما سمع من الحسن بن عمارة قولاً لعلي «عليه السلام» يحث فيه على نشر العلم، عاد فحدث الحسن بن عمارة في مجلسه ذاك أربعين حديثاً[\(1\)](#).

وعن علي «عليه السلام» : قيدوا العلم، قيدوا العلم. مرتين[\(2\)](#).

وعنه «عليه السلام» : قيدوا العلم بالكتاب[\(3\)](#).

أما شيعة علي وأهل بيته، فأمرهم بالإلتزام بتدوين العلم ونشره أوضاع من الشمس، وأيin من الأمس، ولا نرى أننا بحاجة إلى إثبات ذلك[\(4\)](#).

ملاحظة هامة:

لقد كان علي «عليه السلام» أعلم أصحاب رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، وكان باب مدينة علمه، وكان أكثر أصحابه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»

ص: 62

-
- 1- الأذكياء ص 101.
 - 2- تقيد العلم ص 89.
 - 3- تقيد العلم ص 90.
 - 4- راجع على سبيل المثال لا الحصر: رجال النجاشي ص 3 و 4 و الطبقات الكبرى ج 6 ص 220 وج 5 ص 77 وج 2 قسم 2 ص 123 وج 7 قسم 1 ص 14 و تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص 280، والمراجعات ط الأعلامي ص 306 و راجع: الضعفاء الكبير للعقيلي ج 2 ص 29 و 96 و 224 و أحوال الرجال ص 116 و 192 و شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 78 و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 234 و التراتيب الإدارية ج 2 ص 259 و 325-324 و الإصابة ج 1 ص 213 و الغدير ج 9 ص 130 و راجع: شرف أصحاب الحديث ص 95.

حديثا عنه، وقد كتب عنه العديد من الكتب، ووالخ.

ولكننا إذا راجعنا ما رواه عنه في كتبهم، فإننا لا نجد إلا أقل القليل، بل إننا نجد لأبي هريرة الذي لم يلتقي برسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلا أشهراً يسيرةً أضعاف ما روى هؤلاء عن أمير المؤمنين «عَلَيْهِ السَّلَامُ».

ويكفي أن نذكر قول أبي رية رحمه الله هنا: أن ما روي عن علي «عَلَيْهِ السَّلَامُ» هو مئة وثمانية وخمسون حديثا، وروي عن أبي بكر مئة وثمانية وأربعون حديثا.

أما ما روي عن أبي هريرة فهو 5374 حديثا [\(1\)](#) فتبارك الله أحسن الخالقين!

في الاتجاه المضاد:

ونجد في مقابل ذلك كله تيارا قويا كان ولا يزال يرفض الحديث عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، سواء على مستوى الرواية له، أو كتابته، أو العمل به.

ويمكن الحديث عن هذا الاتجاه في مرحلتين، ربما يقال: إنهمما تختلفان من حيث الدوافع والأهداف، وإن كانتا تلتقيان من حيث الآثار والنتائج.

الأولى: في زمن الرسول الأعظم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» .

والثانية: بعد وفاته عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

ونحن نتكلّم عن هاتين المرحلتين، مع رعاية جانب الاختصار،

ص: 63

1- راجع: أضواء على السنة المحمدية ص 224 و 225.

والإحالات على المراجع والمصادر مهما أمكن.

فنقول:

المنع من الحديث في عهد الرسول صلى الله عليه و آله:

لقد ظهرت ملامح الاتجاه الرافض للحديث عن الرسول «صلى الله عليه و آله» ولكتابته لدى قسم من المسلمين، لا جميعهم، ويمكن أن نقول: إنهم قریش على وجه الخصوص، ومعها من لف لفها، ومن يرى رأيها، ويعامل معها، ويرى مصالحه مرتبطة بصورة أو بأخرى بمصالحها.

وقد كانت حجة قریش لاعتراضها على من كان يكتب كلامه «صلى الله عليه و آله» هي: أنه «صلى الله عليه و آله» بشر يرضى ويغضب.

فقد يتكلم والحالة هذه بما لا يتفق مع الحق والواقع.

وقد شكا البعض قریشا لأجل ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، فأمره «صلى الله عليه و آله» بأن يكتب كل ما يتفوّه به عليه الصلاة والسلام؛ فإنه لا يخرج من بين شفتيه إلا ما هو حق وصدق [\(1\)](#).

ص: 64

1- راجع: تيسير المطالب في أمالى الإمام أبي طالب ص 44، و تقييد العلم ص 80 و انظر ص 74 و 77 و 78 و 79 و 82 و تحفة الأحوذى ج 1 ص 35 (من المقدمة) و سنن الدارمى ج 1 ص 125 و سنن أبي داود ج 3 ص 318 و مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 162 و 192، و نقله في هامش تقييد العلم ص 81 عن المصادر التالية: المحدث الفاضل ج 4 ص 2 و عن الإلماع ص 26 وعن جامع بيان العلم ج 1 ص 71 و عن معالم سنن أبي داود ج 4 ص 184 و تيسير الوصول ج 3 ص 176 و حسن التبيه ص 93 و راجع: المستدرك ج 1 ص 104 و 105 و بحوث في تاريخ السنة المشفرة ص 218.

دُوافع هَذِهِ السِّياسَةِ:

و لعل دوافع هؤلاء إلى اتخاذ هذا الموقف هي: 1- إن الكثيرين منهم كانوا موتورين و حاذقين على الإسلام، وعلى نبيه الأكرم «صلى الله عليه و آله» ، وعلى المسلمين.

و إن كانوا يتظاهرون بخلاف ما تنطوي عليه نفوسهم، و جوانحهم، بعد أن اتضح لهم: أنه لا يسعهم إلا التسليم للأمر الواقع، وكذلك فعلوا ريسمما تسنح لهم الفرصة للوثبة، و تسديد الضربة- كما قال أبو سفيان: و الآن لو كان لي رجال.-

2- الحسد لرسول الله «صلى الله عليه و آله» على ما آتاه الله من فضله، و عدم رغبتهم في أن يروا الناس يتأسون ببنائهم، و يطبقون أعمالهم و سلوكهم على أعماله «صلى الله عليه و آله» و سلوكه، و لا يريدون أن يتناقل الناس سيرته، و أقواله، و مواقفه «صلى الله عليه و آله» .

3- ضعف الاعتقاد لدى الكثيرين منهم، و لا سيما من أسلم لتوه بنبوة رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و لا يرون في ذلك أية فائدة أو عائدية.

المنع عن الحديث بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

أما بعد وفاته «صلى الله عليه و آله» ، و سلم قريش لأزمة الحكم و السلطان، فقد رأت أن مصلحتها تكمن في المنع من روایة حديث الرسول، و من كتابته، و من العمل به. بل و جمع كل ما كتب في عهده «صلى الله عليه و آله» ، ثم إحراقه بالنار. وهكذا كان.

و قد تابعت سياساتها هذه بقوة و بحزم كما سنرى.

أهداف هذه السياسة:

وأما عن دوافع هذه السياسة وأهدافها، ثم ما نجم عن ذلك من آثار ونتائج فذلك ما سوف نفصله في فصل مستقل يأتي إن شاء الله تعالى، بعد إلقاء نظرة موجزة على المسار العام لهذه السياسة.

البادرة الأولى: حسبنا كتاب الله:

وغني عن البيان هنا: أن أول مواجهة مباشرة وصريحة لرسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في هذا الخصوص، ومنعه هو شخصياً من كتابة ما ي يريد، هي ما جرى في مرض موته «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فيما عرف بـ«رَزِيَّةُ يَوْمِ الْخَمِيسِ»، حينما أراد «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أن يكتب كتاباً للأمة لكي لا تضل بعده، فصدرت من بعض الحاضرين كلمات غير لائقة في حق النبي الأقدس «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، ثم جاء الرفض القاطع والجازم لكل ما يكتب في كلمة عمر الشهيرة له «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: «حسبنا كتاب الله».

ثم كثر التنازع واللغط من الحاضرين، فأمرهم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بالقيام عنه، والقضية معروفة ومشهورة، وقد وردت بها صحاح الأخبار والأثار [\(1\)](#) كما تباً «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، كما سيأتي في آخر هذا الجزء إن شاء الله تعالى.

ص: 66

1- راجع: صحيح البخاري ج 4 ص 5 و 173 وج 1 ص 22 و صحيح مسلم ج 5 ص 76 و مسند أحمد ج 6 ص 47 و 106 و 116 و ج 1 ص 90 و 22 و 29 و 32 و 336 و 335 وج 3 ص 346 و تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 451 والمصنف لعبد الرزاق الصناعي ج 5 ص 438 و 439 و راجع المصادر التي في كتابنا: صراع الحرية في عصر المفید الطبعة الأولى ص 80.

ثم أحرق أبو بكر خمس مئة حديث، حسبما أسلفنا، فكان هو الواضع الأول لركيزة سياسة إحراق حديث النبي الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»

ذروة هذه السياسة:

ثم كانت خلافة عمر بن الخطاب، فكان التحرك في هذا الاتجاه أكثر دقة، كما كان أكثر شمولية واستقصاء، حتى ليخيل إليك: أن هذا الأمر هو أعظم ما كان يشغل بال الخليفة، ويقض مضجعه، فكان يتبع هذا الأمر، ويحث عليه ثم يرافقه ويعاقبه ويتخذ القرارات والإجراءات بصورة ظاهرة ومستمرة ودؤوبة.

وقد أرسل بأوامره القاضية بإقلال الحديث عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وبأن لا يكون هذا الحديث ظاهراً، وبتجريد القرآن عن الحديث، أرسل بها إلى جميع الأقطار والأمصار.

وكان يوصي بذلك ولاته، وبعوته وجيوشه. ولم يزل يشيعهم بهذه الوصايا [\(1\)](#).

ص: 67

1- راجع: البرهان في علوم القرآن للزركشي ج 1 ص 480 وغريب الحديث لابن سالم ج 4 ص 49 وحياة الشعر في الكوفة ص 253 و الغدير ج 6 ص 294 والأم ج 7 ص 308 وفيه قال قرظة لا أحد ث حدثاً عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أبداً وراجع: سنن الدارمي ج 1 ص 85 وسنن ابن ماجة ج 1 ص 16 ومستدرك الحاكم ج 1 ص 102 وجامع بيان العلم ج 2 ص 120 وتذكرة الحفاظ ج 1 ص 3 وشرح النهج للمعتزلي ج 3 ص 120 وكنز العمال ج 2 ص 83 والحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص 78 و 79 و شرف أصحاب الحديث ص 90 و 91 و 88 و حياة الصحابة ج 3 ص 257 و 258 وطبقات ابن سعد ج 6 ص 7.

وقد كانت سياساته في هذا المجال دقيقة و مدروسة، و تصعیدية، فهو يطلب ذلك و يوصي به باستمرار، فإذا روى أحد حديثا طالبه بالبينة و الشهود، كما فعل مع أبي بن كعب و أبي موسى، وإن لم يكن لديه بينة عاقبه و نكل به.

فإذا وجد أحدا يصر على روایة الحديث هدده بالطرد و النفي إن لم ينفع معه التهديد و الضرب [\(1\)](#).

إحراق حديث رسول الله صلى الله عليه و آله:

وفي خطوة تصعیدية حاسمة و حازمة يطلب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب من الصحابة أن يأتوه بما كانوا قد كتبوا عن النبي «صلى الله عليه

ص: 68

1- الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» للمؤلف. وراجع: أضواء على السنة المحمدية وشيخ المضير، والسنة قبل التدوين، وأبو هريرة للسيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله، وراجع: بحوث مع أهل السنة و السلفية، وأي كتاب يبحث حول أبي هريرة أو يترجم له. وراجع أيضاً: الكنى والألقاب ج 1 ص 180 وقواعد في علوم الحديث ص 454 وشرف أصحاب الحديث ص 92 و 93 و 123 و 123 و بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 88 والمجروحون ج 1 ص 12 وحديث طلب البينة من المغيرة أو أبي موسى الأشعري موجود في كتاب الاستئذان في مختلف كتب الحديث تقريباً فلا حاجة إلى تعداد مصادره.

وآلهم»، بحجة أنه يريد جمع الحديث النبوي، وكتابته، حتى لا يندرس.

فبقي شهراً وهو يجمع مكتوبات الصحابة، ثم قام بإحرق ما اجتمع لديه محتاجاً لعمله هذا بقوله: «متشاة كمشاة أهل الكتاب»؟!

والظاهر أن الصحيح: «متشاة كمشاة أهل الكتاب»[\(1\)](#) وقد اشتبه ذلك على النساخ لعدم النقط في السابق، وتقابـ رسم الكلمتين.

وفي نص آخر أنه قال: «ذكرت قوماً كانوا قبلكم، كتبوا كتاباً فأكبوا عليهما، وتركوا كتاب الله. وإنـيـ وـاللهـ لا أشوبـ كتابـ اللهـ بشيءـ أبداـ».

أو قال: «لا كتاب مع كتاب الله».

وكتب إلى الأمصار: «من كان عنده شيء منها فليمحه».

ومهما يكن من أمر: فلقد بلغ من تشدد الخليفة في هذا الأمر: أنهم يذكرون في ترجمة أبي هريرة: أنهم ما كانوا يستطيعون أن يقولوا: قال رسول الله «صلى الله عليه وآلـهـ»: حتى قبض عمر[\(2\)](#).

ص: 69

1- المشنة: روایات شفوية، دونها اليهود، ثم شرحها علماؤهم. فسمى الشرح جمارا، ثم جمعوا بين الكتابين، فسمى مجموع الكتابين: «الأصل والشرح»، وهما: المشنة و جمارا بـ «التلمود» .

2- راجع ما تقدم، كلاً أو بعضاً في المصادر التالية: سير أعلام النبلاء ج 2 ص 601 و 602 و مختصر جامع بيان العلم ص 33 و جامع بيان العلم ج 1 ص 77، و تقدير العلم للخطيب ص 49-53 و إحراقه للحديث ص 52 و كتابته إلى الأمصار في ص 53 و الطبقات الكبرى ط صادر ج 5 ص 188 وج 6 ص 7 وج 3 ص 287 و تدريب الراوي ج 2 ص 67 عن البيهقي و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 2 و 7 و 8، و غريب الحديث ج 4 ص 49 لابن سلام. و البداية والنهاية ج 8 ص 107 و الغدير ج 6 ص 295 وغير ذلك من صفحات هذا الجزء و تاريخ الخلفاء ص 138 و مستدرک الحاکم ج 1 ص 102 و تلخيص المستدرک للذهبي (مطبوع بها مشه) نفس الجزء و الصفحة، و سنن الدارمي ج 1 ص 85 و المصنف للصناعي ج 11 ص 257-258 و حياة الصحابة ج 3 ص 257 و 258 و الصعفاء الكبير ج 1 ص 9 و 10 و راجع: كنز العمال ج 10 ص 183 و 179 و 180 عن ابن عبد البر، وأبي خيثمة، وابن عساكر، وابن سعد. و سنن ابن ماجة ج 1 ص 12 و الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج 2 ص 369 عن البخاري في كتاب البيوع و راجع: فقه السيرة للغزالى ص 40 و 41 عن البخاري و مسلم، وعن أبي داود، والاستيعاب. و الترتاتب الإدارية ج 2 ص 248 وأضواء على السنة المحمدية و «الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام» ص 78 و 79 عن مصادر كثيرة. و حيث إن مصادر ذلك كثيرة جداً فإننا نكتفي بما ذكرناه و راجع أيضاً جميع المصادر التي تقدمت و ستأتي في هذا الفصل، فإن فيها ما يدل على ذلك بطريقة أو بأخرى.

وبكلمة موجزة: إن سياسة عمر القاضية بالمنع من روایة الحديث و من تدوینه تعتبر من البديهيات التاريخية و من الواضحات، فلا حاجة إلى ذكر النصوص، والإكثار من الشواهد.

بل قيل: إنه (يعني عمر) ضرب من نسخ كتب دانيال، وأمره بمحوها [\(1\)](#)، و ضرب الذي جاءه بكتاب وجده في المدائن حينما فتحوها [\(2\)](#).

ص: 70

1- راجع: تقيد العلم ص 51 و تاريخ عمر بن الخطاب ص 145 و كنز العمال ج 1 ص 332 و 333 و 336 عن العديد من المصادر والمصنف للصناعي ج 6 ص 114.

2- راجع: كنز العمال ج 1 ص 335.

وأما بالنسبة لأمره عمرو بن العاص بحرق مكتبة الإسكندرية (1) وإتلاف كتب كثيرة وجدوها في بلاد فارس (2).

فقد شُكَّ في الشهيد العالمة المطهرى (3)، وإن كنا لا نوافقه على كثير مما قاله في هذا المجال. ولبحث ذلك مجال آخر.

الصلبيون و التراث العلمي الإسلامي:

وبالمناسبة فإننا نشير إلى جريمة نكراه ارتكبها الصليبيون الحاقدون ضد التراث العلمي للبشرية، حيث يذكر موندي في تاريخه: أن ما أحرقه الأسبان من كتب قرطبة قد بلغ مليونا و خمسين ألف مجلد، عدا عما أتلفوه مما عثروا عليه في أقاليم الأندلس (4).

ص: 71

1- تاريخ الحكماء ص 354-356 و تاريخ التمدن الإسلامي المجلد الثاني ص 46 و 48 و 49 عن تاريخ مختصر الدول ط اكسفورد ط سنة 1663 لكن حذف ذلك من الطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة 1958 م مع تصریحهم في المقدمة بأنهم قد أكملوا ما نقص من طبعة أكسفورد بما حصلوا عليه من نسخ أخرى. و راجع كتابنا: دراسة وبحوث في التاريخ والإسلام ج 1 ص 22. والغدير ج 6 ص 298 عن القبطي، و زيدان وعن الوفاء والاعتبار ص 28.

2- و راجع: المقدمة لابن خلدون ص 480 و 38 و راجع: كشف الظنون ج 1 ص 33. والغدير ج 6 ص 298 عن المصادر التالية: كشف الظنون ج 1 ص 25 و 446 و تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 107 و شرح النهج للمعتزلي ج 3 ص 122 و كنز العمال ج 1 ص 95.

3- كتاب سوزي إسكندرية وإيران. و خدمات متقابل إسلام وإيران.

4- راجع: التراتيب الإدارية ج 2 ص 453-454.

أما ويلس، فيرى: أنهم قد أحرقوا مليون وخمسة آلاف مجلد فقط.

وفي وفيات الأسلاف: أن أسقف طليطلة قد أحرق من الكتب الإسلامية ما ينوف على ثمانين ألف كتاب.

وأن الإفرنج لما تغلبوا على غرناطة قد أحرقوا من الكتب النفيسة ما يتجاوز مليون كتاب [\(1\)](#).

«وقال بعض المؤرخين المصريين: إن الباقي من الكتب التي ألتها المسلمون ليس إلا نقطة من بحر مما أحرقه الصليبيون، والترا، والإسبان» [\(2\)](#).

ولما فتح الإفرنج طرابلس في أثناء الحروب الصليبية أحرقوا مكتبتها بأمر الكونت برترام سنت جيل، ويقال: إنها كانت تحتوي على ثلاثة ملايين مجلد [\(3\)](#).

وأضاف جرجي زيدان: وفعل الأسبان نحو ذلك بمكتبات الأندلس لما استخرجوها من أيدي المسلمين في أواخر القرن الخامس عشر [\(4\)](#).

حجۃ عمر تصبح حدیثاً نبویاً! :

ومهما يكن من أمر فإننا نلاحظ هنا: أن الكلمات التي استخدمها عمر بن الخطاب كمبرر أمام الناس لتنفيذ نواياه تجاه حديث رسول الله «صلی اللہ علیہ وسلم»

ص: 72

1- التراتيب الإدارية ج 2 ص 454.

2- التراتيب الإدارية ج 2 ص 454-455.

3- راجع: تاريخ التمدن الإسلامي المجلد الثاني، جزء 3 ص 51.

4- المصدر السابق.

عليه وآلـهـ» ، مثل قوله: من كان عنده شيء منها فليسمـهـ، قد أصبحـتـ بعـينـ الفـاظـهاـ تـقـرـيـباـ، وـبـنـفـسـ صـيـاغـتهاـ حـدـيـثـاـ يـنـسـبـ إـلـىـ النـبـيـ الـأـكـرمـ «صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ» ، فـرـاجـعـ وـقـارـنـ (1).

وـهـكـذـاـ بـالـنـسـبـةـ لـاـسـتـدـلـالـ عـلـىـ صـحـةـ ماـ أـقـدـمـ عـلـيـهـ بـأـنـ الـأـمـمـ السـالـفـةـ قـدـ ضـلـتـ بـسـبـبـ عـكـوفـهـاـ عـلـىـ أـقـوـالـ عـلـمـائـهـاـ وـتـرـكـهـاـ كـتـابـ اللـهــ (يعـنيـ التـورـاـتـ)ـ !ـ إـنـهـ قـدـ أـصـبـحـ هـوـ الـآخـرـ حـدـيـثـاـ، يـرـوـىـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهــ «صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ ، يـقـولـ أـبـوـ هـرـيـرـةـ: فـجـمـعـنـاـهـاـ فـيـ صـعـيدـ وـاحـدـ، فـأـلـقـيـنـاـهـاـ فـيـ النـارــ (2).

وـرـاجـعـ أـيـضـاـ: ماـ رـوـوـهـ عـنـ عـلـيـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ «عـلـيـ السـلـامـ»ـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ (3).

وـقـدـ نـسـيـ هـؤـلـاءـ الـوضـاعـونـ الـأـغـيـبـاءـ: أـنـ وـجـودـ حـدـيـثـ مـنـ هـذـاـ القـبـيلـ

صـ: 73

1- راجـعـ وـقـارـنـ مـعـ كـلـمـاتـ عمرـ المـتـقـدـمـةـ مـاـ رـوـوـهـ عـنـ النـبـيـ «صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ فـيـ مـجـمـعـ الزـوـانـدـ جـ 1ـ صـ 150ـ وـ 151ـ وـ مـسـنـدـ أـحـمدـ جـ 3ـ صـ 12ـ وـ 21ـ وـ 39ـ وـ 56ـ وـ جـ 5ـ صـ 82ـ وـ تـأـوـيـلـ مـخـتـلـفـ الـحـدـيـثـ صـ 286ـ وـ الـأـسـرـارـ الـمـرـفـوعـةـ صـ 9ـ وـ مـنـاهـلـ الـعـرـفـانـ جـ 1ـ صـ 361ـ وـ التـرـاتـيـبـ الـإـدـارـيـةـ جـ 2ـ صـ 248ـ وـ الـبـدـاـيـةـ وـ الـنـهـاـيـةـ جـ 2ـ صـ 132ـ وـ عـلـومـ الـحـدـيـثـ لـابـنـ الصـلـاحـ صـ 160ـ وـ الـبـاعـثـ الـحـثـيـثـ فـيـ شـرـحـ اـخـتـصـارـ عـلـومـ الـحـدـيـثـ (ـمـتـنـاـ وـ هـامـشـاـ)ـ صـ 132ـ وـ تـقـيـيـدـ الـعـلـمـ صـ 29ـ 34ـ 93ـ وـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ جـ 8ـ صـ 229ـ وـ بـحـوثـ فـيـ تـارـيخـ السـنـةـ الـمـشـرـفةـ صـ 218ـ، وـ رـاجـعـ أـيـضـاـ جـمـيـعـ مـاـ قـدـمـنـاـهـ مـنـ مـصـادـرـ فـيـ الصـفـحـاتـ السـابـقـةـ.

2- تـقـيـيـدـ الـعـلـمـ صـ 34ـ وـ رـاجـعـ صـ 33ـ.

3- جـامـعـ بـيـانـ الـعـلـمـ جـ 1ـ صـ 76ـ.

عن الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يسد الطريق على عمر بن الخطاب للفكير في كتابة السنن، وتجد الكثرين يعترضون عليه حينما طلب منهم أن يأته بهما كتبه: بأن هذا يخالف أمر النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بمحو ما كتب.

كما أن حديثاً كهذا يجعل وجود حديث مكتوب عند الصحابة أمراً متزدراً، إلا إذا فرض أنهم أو كثير منهم لا يأبهون لأوامر النبي الأعظم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، ولا لنواهيه.

أو يكون المقصود هو إظهار المنافقين الذين خالقو أوامر النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في هذا الأمر.

وإذا كان المنافقون هم أهل تلك الأحاديث المجموعة، فإن حديثهم لا قيمة له.

كما أن المنافقين لابد أن يلتفتوا إلى وجه الخدعة لهم، ولسوف لن يقرروا على أنفسهم بأمر فيه إدانة وإهانة لهم.

التقليد و المحاكاة:

ونسجل هنا: أننا نجد: أن استدلال الخليفة الثاني لصحة ما أقدم أو يريد أن يقدم عليه، من المنع من كتابة ورواية حديث النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بما تقدم ذكره، قد صار هو الاستدلال التقليدي لكل الذين جاؤوا بعد عمر، وحرصوا على العمل بسننته، وتنفيذ سياساته، فراجع النصوص التاريخية المختلفة فيما يرتبط بهذه الناحية [\(1\)](#).

ص: 74

1- راجع على سبيل المثال: تقييد العلم ص 53-57 وراجع ص 61.

ولم يقتصر الأمر على المنع من روایة وكتابه حديث النبي «صلی اللہ علیہ وآلہ واصح»، بل تعدد إلى ما هو أهون وأكثر، وأدھى وأمر، وهو المنع عن العمل والجري على السنة النبوية الشريفة، حيث رأينا أن الخليفة يضرب الناس إذا رآهم يصلون بعد العصر [\(1\)](#).

ولما ضرب زيد بن خالد الجهنمي لأجل ذلك، وقال له زيد: إنه لا يدعهما بعد إذ رأى رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ واصح» يصليهما، قال له عمر: «لو لا أني أخشى أن يتخذها الناس سلماً إلى الصلاة حتى الليل لم أضرب فيهما» [\(2\)](#).

كما أن أبو الأنصاري كان يصلّي قبل خلافة عمر ركعتين بعد العصر، فلما استخلف عمر تركهما، فلما توفي رکعهما.

فقيل له: ما هذا؟

فقال: إن عمر كان يضرب الناس عليهما [\(3\)](#).

ص: 75

-
- 1- راجع: المصنف للصنعاني ج 2 ص 429 و 430 و 432 و 433 و راجع سائر المجاميع الحديثية والروائية لأهل السنة والجماعة.
 - 2- المصنف للصنعاني ج 2 ص 432 و مجمع الزوائد ج 2 ص 223 عن أحمد و الطبراني، وعن كنز العمال ج 4 الحديث رقم 4123 و 4784 و راجع مسند أحمد ج 4 ص 115.
 - 3- المصنف ج 2 ص 433 وفي هامشه عن كنز العمال وعن محمد بن نصر في قيام الليل.

فإذا كان مثل أبي أيوب لا يجرؤ على العمل بما سنه النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، فما ظنك بغيره من الناس العاديين، الذين ليس لهم ما لأبي أيوب من احترام و تقدير و مكانة لدى صحابة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»؟

كما أنتا لم تفهم ما هو المحذور في أن يصلி الناس حتى الليل! حتى جاز لعمر ضرب الناس لأجل ذلك! وأخيراً . فقد روي: أن عمر قد هم أن يمنع الناس عن كثرة الطواف.

وقال: «خشيت أن يأنس الناس هذا البيت، فتزول هيبيته من صدورهم» [\(1\)](#).

أضف إلى ما تقدم: أن الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يقول: «ابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرا» [\(2\)](#).

وحذيفة إنما توفي في أوائل خلافة علي «عليه السلام» ، بعد البيعة له «عليه السلام» بأربعين يوماً، على ما قيل.

وهو من القادة الكبار، الذين كان الحكام يعتمدون عليهم في فتوحاتهم قبل علي «عليه السلام» ، وكانت له مكانته المرموقة ودوره الكبير فيما بين الشخصيات الفاعلة في النظام القائم.

فقوله المتفق عليه أن الأجواء العامة كانت ضد المؤمنين، وأن السيطرة كانت لأناس لا يهمهم أمر الدين في شيء، بل كان المؤمنون يتعرضون للسخرية والاستهزاء، تماماً كما هو الحال بالنسبة لطغيان الفساق

ص: 76

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 124.

2- صحيح مسلم ج 1 ص 91 و صحيح البخاري ج 2 ص 116.

والفجار في بعض البلاد الإسلامية اليوم، مع عدم ظهور اهتمام من الحكام بدعهم و مكافحتهم، لأسباب مختلفة.

حبس كبار الصحابة في المدينة:

وفي هذا الاتجاه بالذات: يقدم الخليفة الثاني على خطوة أخرى أيضاً، وهي: أنه جمع الصحابة من الآفاق، و طالبهم بما أفسوه من حديث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، ثم أمرهم بالمقام عنده، وأن لا يفارقوه ما عاش، ومنعهم من مغادرة المدينة، فبقوا فيها إلى أن مات .[\(1\)](#)

وقد أضاف سببا آخر إلى إفشائهم حديث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»

ص: 77

1- حياة الصحابة ج 3 ص 272 و ج 273 و ج 2 ص 40 و ج 41. ويمكن الاستفادة في هذا الأمر من المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 426 حوادث سنة 35هـ. و مروج الذهب ج 2 ص 321 و 322 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 120 و ج 1 ص 110 و كنز العمال ج 10 ص 180 عن ابن عساكر، و ابن صاعد، و الدارمي، و ابن عبد البر وغيرهم. و المجرحون ج 1 ص 35 و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 7 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 20 و شرف أصحاب الحديث ص 87 و مجمع الزوائد ج 1 ص 149 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص 239 ط صادر و ط ليدن ج 4 ص 135 و ج 2 قسم 2 ص 100 و 112 و حياة الشعر في الكوفة ص 161 و الفتنة الكبرى (عثمان) ص 17 و 46 و 77 و سيرة الأئمة الاشتبه عشر ج 1 ص 317 و 334 و 365 و التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير ص 208 و 209 و الغدير ج 6 ص 294-295 عن بعض من تقدم، وعن: المعتصر ج 1 ص 459. و نقل ذلك أيضاً عن المحدث الفاضل ص 133 وعن الموضوعات ج 1 ص 94.

وآلهم»، فذكر أنه إنما يمنعهم من المشاركة في الغزو حتى لا يفسدوا عليه أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» [\(1\)](#).

نعم.. لقد روا عن الخليفة أنه فعل ذلك، رغم أنه هو نفسه يقول للناس-كما قيل-إنه إنما يرسل إليهم العمال ليعلموهم دينهم وستتهم [\(2\)](#).

الخلف عن السلف:

ولم يقتصر الأمر في المنع عن الحديث رواية وكتابة الخ.. على زمان أبي بكر وعمر، فإن الذين جاوزوا بعدهما من خلفاء بنى أمية، إبتداءً من عثمان، ثم معاوية، فمن تلاه من الخلفاء: قد اتبعوا نفس الطريقة، وساروا على نفس النهج، في المنع عن الحديث إلا حديثاً كان على عهد عمر [\(3\)](#).

وأصبحت كتابة الحديث عيناً عند الناس، كما عن أبي المليح [\(4\)](#).

ص: 78

1- مستدرك الحاكم ج 3 ص 120 وأنوار الهدایة ص 124 وحياة الصحابة ج 2 ص 40 و 41 عن كنز العمال ج 7 ص 139 وعن الطبری ج 5 ص 134.

2- حياة الصحابة ج 3 ص 485 عن مجمع الزوائد ج 5 ص 211 وعن مستدرك الحاكم ج 4 ص 439 وعن كنز العمال ج 8 ص 209 وعن أحمد، وابن سعد، ومسدد، وابن خزيمة، والبيهقي وغيرهم.

3- راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 قسم 1 ص 206 وج 2 ص 336 ومسند أحمد ج 4 ص 99 وتذكرة الحفاظ ج 1 ص 7 وكتز العمال ج 10 ص 179 و 182 عن ابن عساكر، وابن سعد وأضواء على السنة المحمدية ص 47 عن جامع بيان العلم ج 1 ص 64 و 65 وراجع: الغدير ج 10 ص 351 وشرف أصحاب الحديث ص 1.

4- راجع: الترتيب الإدارية ج 2 ص 249.

بل لقد روا عن ابن الحنفية أنه قال: «إياكم و هذه الأحاديث، فإنها عيب عليكم، و عليكم بكتاب الله إلخ..» [\(1\)](#).

لا قرآن، ولا سنة:

ولكن و رغم توصية ابن الحنفية الآنفة بكتاب الله و قبل و فوق ذلك و صايا النبي «صلى الله عليه و آله» و الوصي «عليه السلام» به أيضاً، و رغم أن النبي «صلى الله عليه و آله» كان يعلم أصحابه الآيات من القرآن، و يوافهم على ما فيها من علم و عمل، و ما فيها من حلال و حرام، و ما ينبغي أن يقف عنده [\(2\)](#).

ثم ما روي عنه «صلى الله عليه و آله» من أنه قال: تعلموا القرآن، و التمسوا غرائبه. و غرائبه فرائضه، و فرائضه حدوده، و حدوده حلال و حرام، و محكم و متشابه الخ. [\(3\)](#).

وما روي عن عمر أنه قال حين وفاة النبي «صلى الله عليه و آله» : حسبنا كتاب الله-كما تقدم-ثم مبادرته حين توليه الخلافة إلى المنع من تدوين الحديث و روايته، و الخ. .

نعم. . رغم ذلك كله، فإننا لا نجد لدى رواد هذه السياسة كبير اهتمام بالقرآن، و تعليمه، و تفسيره للناس، بل نجد عكس ذلك تماماً، فإن عمر بن

ص: 79

1- طبقات ابن سعد ج 5 ص 70.

2- راجع: التراتيب الإدارية ج 2 ص 279 عن أحمد، و طبقات ابن سعد و الطبراني في الأوسط، و الهيثمي و صححه.

3- التراتيب الإدارية ج 2 ص 279 عن الجامع الكبير عن الديلمي.

الخطاب نفسه كان يمنع الناس من السؤال عن معاني القرآن، ويضرب ويعاقب من يسأل عن شيء منه، وما فعله بصيغ شاهد على ذلك حيث ضربه ماءة ثم ماءة حتى اضطربت الدماء في ظهره وفي رأسه، ومنع الناس من الكلام معه، ومن مجالسته، فمكث حولاً على ذلك حتى أصابه الجهد، ولم يزل وضيقاً في قومه حتى هلك، وكان سيد قومه [\(1\)](#).

وقد بقي ابن عباس سنة كاملة أو سنتين لا يجرؤ على سؤال عمر عن آية في كتاب الله [\(2\)](#)، رغم ما كان له من المكانة عنده.

قراءة القرآن أيضاً مرفوضة:

بل إن عمر كان لا يرغب في كثرة القراء للقرآن أيضاً، فقد كتب إليه أبو موسى بعدة ناس قرأوا القرآن، فحمد الله عمر.

ص: 80

1- راجع في ذلك وغيره: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 146-148 وراجع: كشف الأستار عن مسند البزار ج 3 ص 70 و مجمع الزوائد ج 8 ص 113 و حياة الصحابة ج 3 ص 258 و 259 و الغدير ج 6 ص 290-293 عن المصادر التالية: إحياء علوم الدين ج 1 ص 30 و سنن الدارمي ج 1 ص 54 و 55 و تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 384 و تفسير ابن كثير ج 4 ص 232 والإتقان ج 2 ص 5 و كنز العمال ج 1 ص 228 و 229 عن نصر المقدسي، و ابن الأنباري، و الأصبهاني، و اللالكاني و غيرهم. و الدر المنشور ج 6 ص 111 و 321 وفتح الباري ج 8 ص 17 و ج 13 ص 230 و الفتوحات الإسلامية ج 2 ص 445.

2- راجع: البخاري ط سنة 1309 هـ ج 3 ص 133 في موضوعين و الترتيب الإدارية ج 2 ص 377 و تاريخ عمر ص 157 و الغدير ج 6 ص 292 و 293 عن كتاب العلم لأبي عمر ص 56.

ثم كتب إليه في العام القابل بعده هي أكثر من العدة الأولى، ثم كتب إليه في العام الثالث.

فكتب إليه عمر يحمد الله على ذلك، وقال: إنبني إسرائيل إنما هلكت حينما كثرت قراؤهم [\(1\)](#).

ونلاحظ: أن هذه العبارة الأخيرة هي من سنخ استدلاله للمنع من كتابة الحديث! فاقرأ، واعجب بعد هذا ما بدا لك!!

هذا.. و من المفارقات هنا: أن نرى هذا الخليفة بالذات يسمح لكتاب الأنباء أن يقرأ التوراة آناء الليل وأطراف النهار، كما سنرى!

الدقة في التنفيذ:

وقد كان للاهتمام الذي أولاه الحكام للمنع من رواية الحديث وكتابته، و ما لمسه الناس من جدية وإصرار في تنفيذ هذه السياسة، و متابعة فضولها بدقة و حزم من قبل شخص الخليفة الثاني، الذي كان قوله ورأيه في العرب نافذا و مقبولا، قد كان لذلك تأثيرات سريعة و حاسمة على صعيد الالتزام التام بالتعليمات الصادرة لهم في هذا الخصوص؛ فهذا أبو موسى الأشعري (وكذلك أنس بن مالك [\(2\)](#)) بمجرد أن أحسن أن عمر يفكر في أمر ما في هذا الاتجاه، يمسك عن الحديث حتى يعلم ما أحدثه عمر.

ولنا أن نظن ظناً قويا: أنهمما كانوا على علم مسبق بما كان الخليفة قد عقد العزم عليه في هذا الصدد، وأراد ترويض الناس على قبول ذلك، والالتزام به.

ص: 81

1- كنز العمال ج 10 ص 161 و 162.

2- راجع: مسنند أحمد بن حنبل ج 4 ص 393 و 372.

بل لقد بلغ بهم التحاشي عن حديث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حدا مثيرا للدهشة، حتى إن عبد الله بن مسعود -وهو الصحابي المعروف- كانت تأتي عليه السنة لا يحدث عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بشيء [\(1\)](#).

بل لقد قال عمرو بن ميمون: «صحيبت عبد الله بن مسعود سنين فما سمعته يروي حديثا إلا مرة واحدة» ثم ذكر الحديث الذي رواه [\(2\)](#).

ويقول الشعبي: «قعدت مع ابن عمر سنتين، أو سنة ونصفا، فما سمعته يحدث عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلا حديثا.

أو قال: جالست ابن عمر سنتين فما سمعته يحدث عن رسول الله شيئا [\(3\)](#).

وكان زيد بن أرقم إذا طلبوا منه أن يحدثهم يزعم أنه كبر ونسى [\(4\)](#).

وقال عمرو بن ميمون الأودي: «كنا جلوسا بالكوفة، فجاء رجل ومعه كتاب، فقلنا: ما هذا؟

قال: كتاب دانيال.

ص: 82

1- راجع: صفة الصفة ج 1 ص 405 وطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 156 ط صادر وفي ط ليدن ج 3 قسم 1 ص 110-111 و المستدرک على الصحيحين ج 3 ص 314 وتلخيص المستدرک للذهبي (مطبوع بهامشه) نفس الصفحة، وحياة الصحابة ج 3 ص 271 و حياة الشعر في الكوفة ص 253.

2- أصول السرخسي ج 1 ص 342.

3- راجع: سنن الدارمي ج 1 ص 84 ومسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 157 وسنن ابن ماجة ج 1 ص 15 وحياة الصحابة ج 3 ص 271 والغدير للعلامة الأميني ج 10 ص 65 وج 6 ص 294.

4- مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 370 و 371 و 372.

فلو لا أن الناس تحاجزوا عنه لقتل.

وقالوا: كتاب سوى القرآن؟![\(1\)](#)

وكيف لا يقتله الناس، وهو قد خالف سنة عمر في حديث رسول الله «صلى الله عليه وآلها» ، وتجاوز سياساته تجاهه؟!

فإنه و لا شك قد ارتكب جريمة نكراء! و جاء ببدعة صلعاً! .

ثم إننا لا ندري ماذا كان يوجد في ذلك الكتاب المنسوب إلى دانيال النبي «عليه السلام» .

ولعل الذين اعترضوا على هذا الكتاب كانوا لا يعرفون شيئاً عن مضمون ذلك أيضاً.

إلى متى؟! :

هذا، وقد استمر المنع من روایة الحديث وتدوينه ساري المفعول- بصورة أو بأخرى- إلى زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، الذي تولى الخلافة في مطلع القرن الثاني (في صفر سنة 99هـ) لفترة وجيزة انتهت بموته في رجب سنة 101هـ. فقد أظهر عمر بن عبد العزيز هذا رغبة في جمع الحديث، فأمر محمد بن عمرو بن حزم بأن يكتب له حديث النبي «صلى الله عليه وآلها» ، أو سنة ماضية، أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن[\(2\)](#).

ص: 83

1- تقيد العلم ص 57 وفي هامشه عن: ذم الكلام للهروي ص 27.

2- راجع: تقيد العلم ص 105 و 106 و تدريب الراوي ج 1 ص 90 عن البخاري في أبواب العلم. و راجع: ذكر أخبار أصحابهان، و طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2 ص 134 و ج 8 ص 353 ط ليدن وال伊拉克 في العصر الأموي ص 155.

ومراده بالسنة الماضية هي سنة أبي بكر، وعمر، وعثمان، كما سنشير إليها.

وإنما أراد حديث عمر لأجل الوصول إلى حديث عائشة كما هو معلوم، ولا ندرى: إن كان طلب الخليفة هذا قد نفذ أو لا.

ولكن الزهرى المتوفى سنة 124 هـ . قد كتب له طائفة من الروايات، فأرسل إلى كل بلد دفترا من دفاتره التي كتبها له.

وقد كانت هذه المحاولة أيضا ضعيفة ومحذودة جدا [\(1\)](#) ولا تستطيع أن تعيد لحديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» دوره وحيويته في الناس كما هو واضح.

وررووا أيضا: أن أبي الزناد كتب سنن الحج لهشام بن عبد الملك، وذلك في سنة 106 هـ [\(2\)](#) لكن ليس ثمة ما يدل على أن ذلك قد وصل إلى أيدي الناس، وتداولوه.

بل إن ما كتبه الزهرى لم نجد له أثرا ملموسا فيما بين أيدينا من تراث

ص: 84

1- راجع: السنة قبل التدوين ص 364 و 332 و جامع بيان العلم ج 1 ص 76 و 91 و 50 و 88 و 92 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 7 ص 447 والمصنف للصنعاني ج 9 ص 337 و سنن الدارمي ج 1 ص 126 و حلية الأولياء ج 3 ص 363 و تدريب الراوى ج 1 ص 90 و ذكر أخبار أصبغان ج 1 ص 312 و تاريخ الخلفاء ص 261 و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 169 و 170 و 203 و تحفة الأحوذى (المقدمة) ج 1 ص 33 و 40 . و راجع: صحيح البخارى ط سنة 1309 هـ . ج 1 ص 19 و الخطط للمقرizi ج 2 ص 333 و بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 226 و 227 .

2- الكنى والألقاب ج 1 ص 80 و الكامل في التاريخ ج 5 ص 130 .

مكتوب ليمكنا تقييمه والحكم عليه.

ومهما يكن من أمر، فإن من المؤكد: أن مفعول المنع من تدوين الحديث قد انتهى في أواسط القرن الثاني، وأن الحركة الواسعة لتدوين الحديث قد بدأت في أواسط القرن الثاني للهجرة، على يد ابن جرير، ومالك بن أنس، والربيع بن صبيح، والشوري، والأوزاعي، وغيرهم [\(1\)](#).

وأما البدایات الضعیفة والمحدودة لكتابه الحديث، فقد حصلت قبل ذلك، لكنها كانت محکومة للظروف العامة، والخروف من التعرض إلى الأذى بسبب ذلك.

ولم يصل إلينا ولا إلى الناس من ذلك إلا النذر القليل، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

ص: 85

1- راجع: بحوث في تاريخ السنة المشرفة. والسنة قبل التدوين ص 337. وراجع: الجرح والتعديل ج 1 ص 184 و تدريب الراوي ج 1 ص 189 و الخطط للمقرizi ج 2 ص 333 و تاريخ الخلفاء ص 261 و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 170 و 169 و 160 و 191 و 203 و فتح الباري (المقدمة) ص 4 و 5 و كشف الظنون ج 1 ص 237 و النجوم الزاهرة ج 1 ص 351 و تحفة الأحوذى المقدمة ج 1 ص 25 و 26 و 28 ففي كل ذلك وفي غيره تجد ما يفيد في هذا المجال.

الفصل الثالث: أين.. و ما هو البديل؟

اشارة

ص: 87

وبعد ما نقدم، فقد كان لابد للناس، الذين يدينون بهذا الدين، ويريدون أن يطبقوا أحكامه وشرائطه على حركاتهم وسلوكهم ومواقفهم -لا بد لهم -من مرجع يرجعون إليه، ليقيّمُوا أمور دينهم، ويبيّنُوا لهم أحكامه، من دون أن يتعرض لرواية عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، لا من قريب، ولا من بعيد.

وبديهي، أنه لا يمكن السماح لكل الناس بالتصدي للفتوى؛ لأن ذلك يحمل معه مخاطر كبيرة وخطيرة، و يجعل السلطة في مواجهة مشاكل صعبة، ويضعها أمام إجراءات لا طاقة لها بها. وذلك حينما تتعارض فتاواهم وتناقض.

أو حينما تصدر عن بعض الناس فتاوى قد يعتبرها الحكام ومن يدور في فلكهم مضررة في مصالحهم في الحكم، أو في غيره.

وهذا الأمر يحمل معه أجواء الاستدلال والاحتجاج، والتأييد والرد، ثم الإدانة، وتسفيه الآراء.

ومعنى ذلك هو: العودة إلى طرح النصوص القرآنية، والكلمات والموافق النبوية، كوسائل إقناع واحتجاج، فيكون ما فروا منه قد عادوا فوقعوا فيه.

مع ما في ذلك من إضعاف لموقع ولرموز لا تريد لها السلطة أن تضعف بأية صورة كانت.

ويأتي إضعافها وضعفها باتضاح أنها في درجة أدنى من حيث المعرفة والعلم بالقرآن والسنة، وأحكام الدين، وتعاليم الشريعة.

ثم هو يتسبب بالإحساس بالغبن، وبالظلمية بالنسبة لأولئك الذين يملكون المؤهلات الحقيقة للفتوى، حين يكون التعامل معهم، والموقف منهم، ومن كل ما يقدمونه من علم صحيح ونافع لا يختلف عن الموقف مما يقدمه أولئك الجهلة الأغيباء، الذين لا يملكون من التقوى ما يمنعهم عن الإفتاء بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير.

أضف إلى ذلك: أن هذا من شأنه أن يضعف الثقة بالسلطة، التي انتهت هذه السياسة، وشجعت هذا الاتجاه.

هذا كله، عدا عن أن الحكم يريد أن يتبنى اتجاهها فكريًا خاصاً ومتميزاً، يخدم أهدافه الخاصة وال العامة.

ويريد أن يزرع في الناس مفاهيم، ويحملهم على اعتقادات، ويلزمهم بأحكام لا يدع لهم مناصًا من الالتزام بها، والجري عليها وتبنيها، في مختلف الظروف والأحوال.

ولن يكون ذلك ميسوراً له في ظل هذه الحرية في الفتوى، وفي الاستدلال عليها.

حصر الفتوى في ذهابين من الناس:

ولأجل ذلك، فقد كان من الطبيعي أن لا يسمحوا بالفتوى إلا لذهابين

من الناس.

الأول: الأمراء، وذلك في الأمور الحساسة، فيما ييدو.

الثاني: أشخاص بأعينهم، يمكنهم ترويج فكر السلطة، بصورة أو بأخرى.

ولأجل توضيح ذلك فإننا نشير إلى كلا النوعين باختصار، فنقول:

أولاً: الأمراء:

أما بالنسبة للأمراء؛ فإننا نقرأ في التاريخ: أن عمر بن الخطاب قد أنكر على بعضهم بقوله: «كيف تفتى الناس، ولست بأمير؟ ! ولني حارها من ولني قارها» [\(1\)](#).

وكان ابن عمر إذا سئل عن الفتوى قال: إذهب إلى هذا الأمير، الذي تقلد أمور الناس، ووضعها في عنقه [\(2\)](#).

وقد امتنع ابن عمر عن إفتاء سعيد بن جبير، وقال: يقول في

ص: 91

1- راجع: جامع بيان العلم ج 2 ص 175 و 203 و 194 و 174 و منتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج 4 ص 62 و سنن الدارمي ج 1 ص 61 وطبقات الكبارى لابن سعد ج 6 ص 179 و 258 والمصنف للصناعي ج 8 ص 301 وج 11 ص 328 وراجع ص 231 وأخبار القضاة لوكيع ج 1 ص 83 وتهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 54 وراجع: حياة الصحابة ج 3 ص 286 وكنز العمال ج 1 ص 185 وراجع ص 189 عن عبد الرزاق، وابن عساكر، وابن عبد البر، والدينوري في المجالسة.

2- التراتيب الإدارية ج 2 ص 367.

ذلك الأمراء [\(1\)](#).

وقد أطلقوا على الفتوى اسم «صوافي الأمراء» .

فعن المسيب بن رافع قال: كان إذا ورد شيء من القضاء، وليس في الكتاب، ولا في السنة، سمي «صوافي الأمراء» ، فدفع إليهم الخ.

وروى هشام بن عروة عن أبيه: أنه ربما سئل عن شيء فيقول: هذا من خالص السلطان.

وعن ابن هرمنز: أدركت أهل المدينة، وما فيها الكتاب والسنّة. والأمر ينزل، فينظر فيه السلطان [\(2\)](#).

وزيد بن ثابت يكتب لمعاوية في الجد: ذلك مما لم يكن يقضى فيه إلا الأمراء [\(3\)](#).

ثانياً: المسموح لهم بالفتوى من غير الأمراء:

وأما بالنسبة للأشخاص المسموح لهم بالفتوى: فإنما سمحوا بالفتوى بل وبالرواية أيضاً لأشخاص رأوا: أن لديهم من المؤهلات ما يكفي للاعتماد عليهم، ويطمئن لالتزامهم بالخط المعين، والمرسوم، بصورة مقبولة ومعقولة.

أما من وجدوه غير قادر على ذلك، فقد استبعدوه، حتى وإن كان منسجماً معهم في خطه السياسي، أو في طريقة تفكيره، وأسلوب حياته.

ص: 92

1- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 6 ص 174.

2- جامع بيان العلم ج 2 ص 174.

3- بحوث مع أهل السنّة والسلفية ص 238.

١-عائشة:

فإننا نجد مروان بن الحكم يحاول التأكيد على الدور الأساس لأم المؤمنين عائشة في هذا المجال، فهو يقول: «كيف يسأل أحد وفيينا أزواج نبينا وأمهاتنا»[\(١\)](#).

وإنما قلنا: إنه يقصد خصوص عائشة في كلامه هذا، لأنها هي التي كانت تتصدى للرواية والفتوى من بين أمهات المؤمنين بصورة رئيسية، وهي بنت الخليفة الأول أبي بكر، ومدللة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ولم يعرف عن أي من نساء النبي «صلى الله عليه وآله» سواها: أنهن تصدبن للرواية والفتوى إلا في حالات قليلة جداً، وكانت أم سلمة تتصدى لرواية شيء عن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعجب أمثال مروان، ولا كان يرroc لهم كثيراً.

وقد كانت عائشة تفتتى على عهد عمر، وعثمان، وإلى أن ماتت.

وكان هذان الخليفتان يرسلان إليها فيسألانها عن السنن[\(٢\)](#).

وفي نص آخر: كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وهلم جرا، إلى أن ماتت[\(٣\)](#).

ص: 93

1- المصنف للصنعاني ج 1 ص 166 وراجع: كشف الأستار عن مسند البزار ج 2 ص 196 و مجمع الزوائد ج 4 ص 324.

2- حياة الصحابة ج 3 ص 298 عن الطبقات الكبرى ج 4 ص 189.

3- حياة الصحابة ج 3 ص 288-289 عن الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 189.

ونجد من بعض الطموحين من الشباب الذين تهتم السلطة بإعطائهم دورا من نوع ما، تشكيكاً بل ورفضاً لما تدعوه عائشة ومحبوها من علم واطلاع كامل على أحوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأوضاعه، فهذا زيد بن ثابت يقول: «نحن أعلم برسول الله من عائشة» .[\(1\)](#)

كما أن عائشة نفسها كانت لا ترتاح إذا رأت لآخرين دورا فاعلا في نطاق الفتوى والرواية، ولعل هذا هو ما يفسر لنا شكوكها لابن اختها عروة بن الزبير من أبي هريرة الذي كان يحاول إثارتها بجلوسه إلى جانب حجرتها ليحدث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، قالت عائشة لعروة: ألا- يعجبك أبو هريرة؟ ! جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، يسمعني ذلك! و كنت أسبح، فقام قبل أن أقضي سبحتي، لو جلس حتى أقضي سبحتي لرددت عليه الخ. .[\(2\)](#)

2- زيد بن ثابت:

ومن كان يسمح له بالفتوى أيضا: زيد بن ثابت، وكان مترئساً بالمدينة في

ص: 94

-
- 1- مسنند أحمد بن حنبل ج 5 ص 185.
 - 2- مسنند أحمد ج 6 ص 157 وراجع: صحيح مسلم ج 8 ص 229 وفتح الباري ج 7 ص 390 وسير أعلام النبلاء ج 2 ص 607 عن مسلم وعن أبي داود رقم 3655 واختصره الترمذى برقم 3643 وعن البخارى في المناقب ج 6 ص 422 والسنن قبل التدوين ص 462 عن الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص 135 وحياة الصحابة ج 2 ص 705 عن البخارى، وأحمد، وأبي داود.

القضاء، والفتوى، القراءة، والفرائض في عهد عمر، وعثمان [\(1\)](#) ونرى أن ذلك يرجع إلى موقفه السلبي من علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم إلى دوره في تقوية سلطان الحكم القائم، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب، حين الحديث عن تعلم زيد للغة العبرانية، بعد الحديث عن غزوة حمراء الأسد.

3- عبد الرحمن بن عوف:

كان عبد الرحمن بن عوف ممن يفتى في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان بما سمع من النبي «صلى الله عليه وآله» [\(2\)](#).

و موقف ابن عوف من علي في قضية الشورى، و صرفة الأمر عن علي «عليه السلام» إلى عثمان بطريقة ذكية و مدرورة، معروفة، ولا يحتاج إلى مزيد بيان.

4- أبو موسى الأشعري:

و كان أبو موسى الأشعري -كما يقولون- لا يزال يفتى بما أمره النبي «صلى الله عليه وآله» في زمن أبي بكر، ثم في زمن عمر، في بينما هو قائم عند الحجر يفتى الناس بما أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ إذ جاءه رجل فسأله: أن لا تعجل بفتياك، فإن أمير المؤمنين قد أحدث في المناسك شيئاً.

فطلب أبو موسى حينئذ من الناس: أن يأتموا بعمر، ويتركوا ما كان يفتنيهم به. ثم سأله الخليفة عن الأمر؛ فحقق له [\(3\)](#).

ص: 95

1- حياة الصحابة ج 3 ص 288 عن الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 175 .

2- حياة الصحابة ج 3 ص 287 عن الطبقات الكبرى لابن سعد كاتب الواقدي، وعن منتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج 5 ص 77 .

3- راجع: مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 393 .

فأبو موسى إذن، كان يرى: أن سنة عمر مقدمة على ما سنه الله ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى!!.

ولعله يستند في ذلك إلى ما رواه عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» من أنه قال: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر!!.

أو أنه قال: إنه ما أبطأ عنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» الوحي إلا ظن أنه نزل في آل الخطاب!!.

من قبيل رواية: لو كان الله باعثنا نبيا بعدي لبعث عمر بن الخطاب [\(1\)](#).

ورواية: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر [\(2\)](#).

ورواية: لو لم أبعث لبعثت يا عمر [\(3\)](#).

ورواية: لو كاننبي بعدي لكان عمر بن الخطاب [\(4\)](#).

ص: 96

1- مجمع الزوائد ج 9 ص 68 وشرح نهج البلاغة ج 12 ص 178 وكشف الخفاء ج 2 ص 154 و 165.

2- المعيار والموازنة ص 222 وشرح نهج البلاغة ج 12 ص 178 وكتنز العمال ج 11 ص 581 وتذكرة الموضوعات ص 94 وفيض القدير ج 5 ص 414.

3- شرح نهج البلاغة ج 12 ص 178 وكشف الخفاء ج 2 ص 164 وتذكرة الموضوعات ص 94.

4- شرح نهج البلاغة ج 12 ص 178 وكشف الخفاء ج 2 ص 154 ومسند أحمد ج 4 ص 154 ومجمع الزوائد ج 9 ص 68 وفتح الباري ج 7 ص 41 وتحفة الأحوذى ج 10 ص 119 ومعجم الكبير ج 17 ص 180 و 298 والجامع الصغير ج 2 ص 435 وكتنز العمال ج 11 ص 578 وتذكرة الموضوعات ص 94 وفيض القدير ج 5 ص 414 وكشف الخفاء ج 2 ص 154 و 157 و 158.

ورواية: قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر [\(1\)](#).

وغير ذلك مما اختلفت به يد السياسة، وزينه لهم الحب الأعمى [\(2\)](#).

5- السماح لأبي هريرة بعد المنع:

قال أبو هريرة: «بلغ عمر حديثي، فأرسل إليّ، فقال: كنت معنا يوم كنا مع رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في بيت فلان؟

قال: قلت: نعم، وقد علمت لم تسألي عن ذلك!!.

قال: ولم سألك؟

قلت: إن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قال يومئذ: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

قال: أما إذن، فاذهب فحدث [\(3\)](#).

ومن المعلوم أن عمر كان قد منع أبي هريرة من التحدث [\(4\)](#)، ولكن لما بلغه حديثه، وأعجبه أرسلاه إليه، وأبلغه سماحة له برواية الحديث، كما ترى!!.

ولا بد لنا من أن نتساءل عن تلك الخصوصيات التي لو اشتمل عليها

ص: 97

1- مسنن ابن راهويه ج 2 ص 479 و صحيح ابن حبان ج 15 ص 317 و تحفة الأحوذى ج 10 ص 125 و شرح نهج البلاغة ج 12 ص 178

2- راجع: كتاب الغدير للعلامة الأميني رحمه الله.

3- البداية والنهاية ج 8 ص 107 و راجع: سير أعلام النبلاء ج 2 ص 603 و السنة قبل التدوين ص 458.

4- راجع: سير أعلام النبلاء ج 2 ص 600-601 و 602-603 و البداية والنهاية ج 8 ص 106.

ال الحديث لأعجم الخليفة، ويكافئ من يأتي بها بالسماح بما هو ممنوع على من سواه، من جلة أصحاب رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» !

محاولة فاشلة لهم مع علي عليه السلام:

وقد بذلت محاولة لفرض الرأي في مجال الفتوى والعمل بالسنة على علي أمير المؤمنين «عليه السلام» ، فوجدوا منه الموقف الحازم، والحاصل؛ فكان التراجع منهم والاعتذار.

فقد روى العياشي عن عبد الله بن علي الحلبـي، عن أبي جعفر، وأبي عبد الله «عليهما السلام» ، قال: حج عمر أول سنة حج، وهو خليفة، فحج تلك السنة المهاجرين والأنصار و كان علي قد حج في تلك السنة بالحسن والحسين «عليهما السلام» ، وبعبد الله بن جعفر، قال: فلما أحرم عبد الله لبس إزاراً ورداء ممشقين - مصبوغين بطين المشق - ثم أتى، فنظر إليه عمر وهو يلبـي وعليه الإزار والرداء، وهو يسير إلى جنب علي «عليه السلام» ، فقال عمر من خلفهم: ما هذه البدعة التي في الحرم؟

فالتفت إليه علي «عليه السلام» ، فقال له: يا عمر، لا ينبغي لأحد أن يعلمـنا السنة!

قال عمر: صدقت يا أبا الحسن. لا والله، ما علـمتـ أنـكمـ هـمـ (١).

من له الفتوى بعد عهد الخلفاء الثلاثة:

وإذا استثنينا الفترة التي تولـي فيها أمير المؤمنين «عليه السلام» شؤون

ص: 98

1- تفسير العياشي ج 2 ص 38 والبحار ج 96 ص 142 و تفسير البرهان ج 2 ص 49.

ال المسلمين، فإن الذين تصدوا للفتوى بعد ذلك العهد ما كانوا من الشخصيات الطليعية في المجتمع الإسلامي، بل إن بعضهم لا يعد حتى من أهل الدرجة الثانية أو الثالثة.

وبعض هؤلاء أو كلهم لم يكن يسمح لهم بالفتوى في عهد الخلفاء الثلاثة: أبي بكر، وعمر، وعثمان.

يقول زياد بن ميناء: «.. كان ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجاير بن عبد الله، ورافع بن خديج، وسلمة بن الأكوع، وأبو واقد الليثي، وعبد الله بن بحينة، مع أشباء لهم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفتون بالمدينة، ويحدثون عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا.

والذين صارت إليهم الفتوى منهم: ابن عباس، وابن عمر، وأبو هريرة، وجاير بن عبد الله» [\(1\)](#).

حظر الرواية على ابن عمر، وابن عمرو:

ولابد لنا هنا من تسجيل تحفظ على ما ذكره زياد بن ميناء بالنسبة لكل من عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص.

فأما بالنسبة إلى ابن عمر فقد رروا: أن معاوية قال له: «لئن بلغني أنك

ص: 99

1- حياة الصحابة ج 3 ص 288 عن الطبقات الكبرى ج 4 ص 187 وراجع: سير أعلام النبلاء ج 2 ص 606-607 وفي هامشه أشار إلى طبقات ابن سعد ج 2 ص 372.

تحدث لأضرbin عنقك» [\(1\)](#)

وأما بالنسبة لعبد الله بن عمرو بن العاص؛ فإنما كان يسمح له بالرواية والفتوى قبل حرب صفين-على ما يظهر-ثم منعه معاوية من الرواية بعدها.

وقد استمر هذا المنع إلى عهد يزيد بن معاوية أيضا [\(2\)](#).

أسباب المنع:

أما عن أسباب منعهما من الرواية فإننا نقول: أما عبد الله بن عمر بن الخطاب، فإنه كان يروي أحاديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» في معاوية، كقوله «صلى الله عليه وآله» عنه: لا أشبع الله بطنه.

وقوله «صلى الله عليه وآله» عنه وعن أبيه وأخيه: اللهم عن القائد، والسائل، والراكب.

وقوله «صلى الله عليه وآله» : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت وهو على غير سنتي. فطلع معاوية.

وأن تابوت معاوية في النار فوق تابوت فرعون.

وقوله «صلى الله عليه وآله» : يموت معاوية على غير الإسلام [\(3\)](#).

ص: 100

1- صفين للمنقري ص 220 وراجع: قاموس الرجال ج 9 ص 17 والغدير ج 10 ص 352.

2- راجع: مستند أحمد بن حنبل ج 2 ص 167 والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير والحديث ص 151 والغدير ج 10 ص 352.

3- راجع ما تقدم في: صفين للمنقري ص 217-220 وفي قاموس الرجال، ترجمة معاوية، وراجع الغدير للعلامة الأميني، وغير ذلك.

وأما عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه قد أخرج معاوية في صفين بحديث قتل الفئة الباغية لumar.

وب الحديث: إنه سيكون ملك من قحطان.

فقال معاوية لأبيه، عمرو: ألا تغنى عنا مجئك؟ [\(1\)](#).

شواهد أخرى:

ومن الشواهد على أن الحكام كانوا يواجهون كل من روى حديثا يضر بحكمتهم و سياساتهم بصرامة و قسوة ما ذكروه عن الخليفة المهدى العباسى، من أنه أمر بقتل رجل لروايته حديثا رأى المهدى أنه يضر في حكمه و سلطانه، ثم لما عرف أن ذلك الراوى إنما يرويه عن الأعمش، قال: «ويلي عليه، لو عرفت مكان قبره لأخرجه، فأحرقه بالنار» [\(2\)](#).

وسأل سعيد بن سفيان القاري عثمان بن عفان عن مسألة، فقال: فهل سالت أحدا قبلى؟ !

فقلت: لا.

ص: 101

1- راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج 2 ص 312-313 و راجع: 317 و الجزء الأول (قسم سيرة النبي «صلى الله عليه و آله») ص 168 و راجع ص 169 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 253 ط صادر و نقله المحمودي في تعليقاته على أنساب الأشراف عن ابن أبي شيبة. و راجع: تذكرة الخواص ص 93 و الفتوح لابن أثيم ج 3 ص 268. و راجع: تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 41 ط دار المعارف. والإسرائييليات وأثرها في كتب التفسير ص 150.

2- روضة العقلاء لابن حبان ص 159.

قال: لئن استفتيت أحداً قبلَيِّ، فأفتاكَ غيرَ الذي أفتتَكَ به ضربَتْ عنقهِ إلخ..[\(1\)](#)

أضف إلى ما تقدم: أن معاوية الذي كان يتعامل بالربا، قد حاول أن يمنع عبادة بن الصامت من رواية حديث عن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حول تحريم الربا، فلم يفلح [\(2\)](#).

كما أنهُم قد منعوا أبا ذرٍ من الفتيا-منعه عثمان- فلم يتمتع [\(3\)](#)، فواجهوه بأنواع كثيرة من الأذى، والمحن والبلايا، حتى مات غريباً مظلوماً في الربدة، منفاه [\(4\)](#).

وقد تقدم عن قريب أن أباً موسى الأشعري يطلب من الناس أن يتركوا ما كان يحدثهم به مما سمعه من رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، ويأخذوا بما أحدهُ لهم عمر. فراجع.

و خلاصة الأمر:

إن الحكم إنما كانوا يسمحون بالفتوى لأشخاص بأعينهم، و يمنعون

ص: 102

1- تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 54 و حياة الصحابة ج 2 ص 390-391 عنه.

2- تهذيب تاريخ دمشق ج 7 ص 215 و الغدير ج 10 ص 185 عنه وفي الغدير نصوص أخرى للقضية عن موطن مالك، و صحيح مسلم و سنن البيهقي و الجامع لأحكام القرآن، و شرح النهج للمعتزلي و سنن النسائي، و اختلاف الحديث للشافعي، و مسنند أحمد وغير ذلك فليراجعه طالب ذلك.

3- راجع: حلية الأولياء ج 1 ص 160 و صحيح البخاري ج 1 ص 15- ط سنة 1309.

4- راجع كتابنا: دراسات و بحوث في التاريخ والإسلام ج 1 ص 111-141.

من عداهم من ذلك، إلا إذا اطمأنوا إلى أنه من مستوى يؤهله لأن ينسجم في ما يفتني به ويرويه مع مقاصد الحكم وأهدافه. كما كان الحال بالنسبة لأبي هريرة. وحتى لو سمحوا للبعض بممارسة دوره الفتواي، فإن ذلك يبقى مرهوناً بهذا الانسجام، فإذا ما أخل به أحياناً، ولو عن غير قصد، فإنه يمنع من الحديث، ولو بلغ إلى درجة الإضرار فإنه يهدد بالقتل، والضرب، بل وينفي إلى أبغض البلاد إليه. كما كان الحال بالنسبة لعبد الله بن عمرو بن العاص، وابن عمر، وأبي ذر، حسبما ألمحنا إليه.

لا بد من أساليب أخرى:

ثم إن الحكام قد رأوا: أن كل ذلك لا يكفي لإشباع رغبة الناس في التعرف على الدين، وعلى عقائده ومفاهيمه، وأحكامه. ولسوف تبقى لدى الناس الرغبة والاهتمام بنيل معارفه والتعرف على ما فيه من شرائع وأحكام، ومن سيرة وتاريخ، وعقائد وسياسات وغيرها.

وقد أصبح الاهتمام بذلك محسوساً وملموساً، فلابد من معالجة الأمر، بحكمة وروية وحنكة. وقد كان من الواضح: أن مجرد إعطاء الفتاوى لا يكفي، فقد كان ثمة حاجة إلى تنقيف الناس في مجالات وشؤون ومناحي مختلفة: تاريخية، وسياسية، وتربيوية، وعقيدية وغيرها.

فاتجهوا إلى اعتماد أساليب أخرى، رأوا أنها قادرة على حل هذا المشكل، وتساعدهم على الخروج من هذا المأزق الذي وجدوا أنفسهم فيه.

ونذكر هنا بعضًا من مفردات هذه الأساليب التي اعتمدوها لسد الخلل ورأب الصدع، فنقول:

إن من الواضح: أن الشعر العربي له تأثير السحر على روح و عقل و عواطف الإنسان العربي، الذي ينجذب إليه، ويقبل بكل مشاعره وأحساسه عليه.

و من الواضح: أن هذا الأمر أيضاً يجعل الشعر قادراً على القيام بدور فاعل و قوي في مجال الاستئثار بقسط من الاهتمام لدى فريق كبير من الناس.

فلماذا إذن لا يعطي للشعر هذا الدور، ليخفف من الأعباء التي أصبحت ترهق كاهل الحكم في هذا الاتجاه؟!

ولأجل ذلك نجد: أن المبادرة لتنشيط الاتجاه الأدبي، والاهتمام بالشعر، قد جاءت من قبل نفس الخليفة الذي تبني السياسات التي أشرنا إليها تجاه الحديث و القرآن، و نفذها بدقة، و رسخها بحزم، و حافظ عليها بقوة.

فأمر بكتابة الشعر، و الاحتفاظ به، فدونوا ذلك عندهم، وكانت الأنصار تجدده إذا خافت بلاته [\(1\)](#).

بل لقد روى لنا مالك في موطئه، في أواخر كتاب الصلاة: أنه بلغه أن عمر بن الخطاب بنى رحبة في ناحية المسجد، تسمى «البطيحاء» و قال: «من كان يريد أن يلغط، أو ينشد شعراً، أو يرفع صوته، فليخرج إلى هذه الرحبة» [\(2\)](#).

و حاول أن يكتب شعر الشعراء، فكتب إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة،

ص: 104

1- الأغاني ط ساسي ج 4 ص 5 و 6.

2- التراتيب الإدارية ج 2 ص 300.

يطلب منه أن يجمع الشعراء، ويستند لهم ما قالوا من الشعر في الجاهلية، والإسلام، ويكتب بذلك إليه [\(1\)](#).

وقال عمر بن الخطاب أيضًا: تعلموا الشعر، فإن فيه محسن تبتغى، ومساوئ تنتهى [\(2\)](#).

ثم أكدت ذلك عائشة أم المؤمنين، حيث قالت: «عليكم بالشعر، فإنه يعرب المستك» [\(3\)](#).

ولسنا ندري إن كانت ترى: أن القرآن وحده لم يكن يكفي لإعراب المستهم؟

أو أن عمر كان يرى: أن ما في القرآن لا يكفي الناس فيما يتغونه من محسن.

تعلم الأنساب:

ورغم أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ» قد قال عن علم الأنساب -حسبما روي عنه-: «إنه علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه»، وكذا روي عنه بالنسبة لعلم العربية، والأشعار، وأيام الناس [\(4\)](#).

ص: 105

-
- 1- التراتيب الإدارية ج 2 ص 255 عن الخطط للمقربيزي ج 4 ص 143. وكتنز العمال ج 3 ص 850 ط مؤسسة الرسالة.
 - 2- زهرة الآداب ج 1 ص .58
 - 3- التراتيب الإدارية ج 2 ص 300.
 - 4- التراتيب الإدارية ج 2 ص 301 و 302 و 230 عن إحياء العلوم وغيره. وراجع: الأنساب للسمعاني ج 1 ص 9.

إننا رغم ذلك نجد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد رتب إعطاء الجند على أساس قبلي، يرتكز على ملاحظة أنساب الناس، وانتماءاتهم

العرقية [\(1\)](#).

ثم هو يخطط البصرة والكوفة على أساس قبلي أيضا.

وكان يبحث على تعلم الأنساب، مضموناً كلامه ما يتواافق مع التوجهات المقبولة والمعقولة، فيقول: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم» [\(2\)](#).

والملفت للنظر هنا: أن هذه العبارة نفسها قد نسبت إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» [\(3\)](#).

وربما يكون النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد قال ذلك، فاستعان عمر بن الخطاب بهذا القول لتنفيذ سياساته في التمييز العنصري، وإجرائها، ولم يعد الأمر يقتصر على صلة الرحم، كما هو المفروض.

ومهما يكن من أمر، فإن معاوية أيضاً قد اختار دغفل بن حنظلة السدوسي، ليعلم ولده يزيد (لعنه الله) علم الأنساب [\(4\)](#) لا علم الفقه، ولا القرآن، ولا أحكام الدين.

أما الهدف من نسبة كلمة عمر إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» فربما

ص: 106

1- راجع كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

2- التراتيب الإدارية ج 2 ص 302 والأنساب للسمعاني ج 1 ص 11، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 166 عنه.

3- التراتيب الإدارية ج 2 ص 301 و 231.

4- الاستيعاب، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 168.

يكون هو إعطاؤها حيوية وفاعلية، لتجد طريقها إلىوعي الناس، وإلى حياتهم العملية بيسراً وسهولة.

وقد دافع البعض عن سياسة عمر في توجيه الناس نحو تعلم الأنساب، معتبراً أنه لا بد من معرفة نسب النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، وقريش، لأنَّ الخلافة لا تجوز إلا في قريش، وإنَّ لادعاهَا من لا تحل له، هذا بالإضافة إلى ما يترتب على ذلك من أحكام الزواج والمواريث [\(1\)](#).

أسرار الأعذار:

هكذا يمكن هؤلاء الذين لم يقفوا على حقيقة وأبعاد وأسرار سياسة الخليفة، أو أنهم يتجلبونها عن سابق عمد و إصرار- هكذا يتمكنون من اختلاق الأعذار، التي ربما لا يمكن الكثير من السذج والبسطاء من اكتشاف خططها وزيفها في الوقت المناسب!

على أننا لا نجد أنفسنا مبالغين إذا قلنا: إن أمثال هؤلاء المتمحلين لمثل هذه الأعذار الواهية إنما يريدون إصابة عصفورين بحجر واحد.

فهم في نفس الوقت الذي يبعدون فيه أذهان الناس عن معرفة الحقيقة التي يخشون من ظهورها للناس، فيما يرتبط بسياسات حكام يحترمونهم، يستهدفون طمس حديث وسنة النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، بالإضافة إلى سياسات لهم تجاه القرآن أيضاً.

فإنهم يكونون قد أعطوا أموراً ثبت زيفها و خططها صفة الواقعية، بحيث تبدو كأنها من الأمور المسلمة، التي لا مجال للشك والشبهة فيها.

ص: 107

1- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 167

وذلك حينما يفترضون أن أمر الإمامة لم يحصل، وأنه ليس موقوفا على النص، وإنما هي شائعة في جميع بطون قريش.

وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعين الإمام وال الخليفة بعده، باسمه وصفته، وحسنه ونسبه، ولم يبايعه المسلمون في غدير خم، وليس ثمة تعدد على أحد في هذا الأمر، ولا اغتصاب لحق قرره الله ورسوله في موارد و مناسبات كثيرة، وبطرق وأساليب مختلفة ومتعددة.

فلا بد من تعلم الأنساب، حتى إذا اغتصب أمر هذه الأمة، وتغلب متغلب فلا بد من متابعته وإطاعته، بعد التتحقق من نسبه القرشي، مهما كان جباراً وعاتياً، وظالماً وجانياً .

هكذا زينت لهم شياطينهم، وابتكرت لهم نقوسهم الماكرة، وأهواؤهم الداعرة، وسيلقون غداً جزاءهم الأوفي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

البديل الأكثر نجاحاً والأمثل:

أما البديل الذي كان أكثر نجاحاً في تحقيق ما يصبو إليه الحكماء فقد كان هو: «علوم أهل الكتاب» .

وحيث إن هذا البديل قد كان أبعد أثراً، وأكثر انتشاراً، فلا بد لنا من أن نورد بعض التفصيات التي ربما تكون ضرورية لتكوين نظرة واقعية عن حقيقة ما جرى.

فنقول:

ص: 108

إننا كتمهيد لما نريد أن نقوله نذكر: أن العرب قبل الإسلام كانوا صفر اليدين من العلوم والمعارف، كما هو ظاهر لا يخفى، وسيأتي التصریح به من أمير المؤمنين «عليه السلام» و من غيره.

و كانوا يعتمدون في معارفهم ولا سيما فيما يرتبط بالنبوات، والأنباء وتاريخهم، و تواریخ الأمم، على أهل الكتاب بصورة رئيسية، و كانوا مبهورين بالأخبار والرهبان بصورة قوية و ظاهرة، و يعتبرونهم أهم مصدر للمعرفة لهم.

بل هم ينظرون إليهم نظر التلميذ إلى معلمه بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

و قد رأينا: أن قريشاً ترسل رسولاً إلى أهالي يهود المدينة، للسؤال عن أمر النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، باعتبار أنهم أهل الكتاب الأول، و عندهم من علم الأنبياء ما ليس عند قريش [\(1\)](#).

ويقول ابن عباس: «إنما كان هذا الحي من الأنصار-و هم أهل وثن- مع هذا الحي من يهود-و هم أهل كتاب-و كانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم؛ فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم» [\(2\)](#).

ص: 109

1- سنن أبي داود ج 2 ص 249 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 261 و راجع: الإسرائيليات في كتب التفسير ص 109 و راجع: الدر المنشور ج 2 ص 172 عن ابن إسحاق، و ابن جرير.

2- تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 71-72 و الإسرائيليات في كتب التفسير ص 108 عنه.

وسيأتي: أنهم كانوا يستشرون أهل الكتاب في أمر الدخول في الإسلام، ويعملون بمشورتهم أيضا.

الإسلام يرفض هيمنة أهل الكتاب:

وقد حاول القرآن ونبي الإسلام تخلص العرب من هيمنة أهل الكتاب، بالاستناد إلى ما من شأنه أن يزعزع الثقة بما يقدمونه من معلومات، على اعتبار أنها لا تستند إلى أساس، بل هي محض افتراءات ومخالقات من عند أنفسهم. وهذا الأمر وحده يكفي لعدم الثقة بهم، وبكل ما يأتون به.

فقد قال تعالى عنهم: إنهم يُحرّقونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ [\(1\)](#).

وإنهم: يَكْبِرُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَسْوُلُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُسْتَرِّوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا [\(2\)](#).

وانهم رغم أنهم يعرفون النبي «صلى الله عليه وآله» كما يعرفون أبناءهم، ويجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فإنهم ينكرون ذلك بالكلية، وذلك حسداً من عند أنفسهم. كما يستفاد من بعض الآيات القرآنية الشريفة.

وقد تحدث الله سبحانه عن صفات اليهود، ومكرهم وغشهم، وغير ذلك.. ما من شأنه تقويض الثقة بهم، في كثير من الآيات والمواضع

ص: 110

1- الآية 46 من سورة النساء وراجع أيضا: الآية 75 من سورة البقرة والآية 13 من سورة المائدة والآية 41 من سورة النساء.

2- الآية 79 من سورة البقرة.

القرآنية. واستقصاء ذلك يحتاج إلى توفر تام، وجهد مستقل.

ومن جانب آخر، فإننا نجد إصراراً أكيداً من الرسول الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» على إبعاد أصحابه عن الأخذ من أهل الكتاب، وعن سؤالهم عن شيء من أمور الدين. فنهاى «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» عن قراءة كتب أهل الكتاب [\(1\)](#).

وقال لأصحابه: لا تسألو أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد أضلوا أنفسهم [\(2\)](#).

وقد اتضح لكل أحد: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان يحب مخالفتهم في كثير من الأشياء [\(3\)](#)، حتى قالت اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه [\(4\)](#).

ص: 111

1- أسد الغابة ج 1 ص 235

2- المصنف للصنعاني ج 10 ص 312 وج 6 ص 110 وفي 112 عن ابن مسعود وكذا في ج 1 ص 213 وكشف الأستار ج 1 ص 79 و مجمع الزوائد ج 1 ص 174 و 173 . وراجع: غريب الحديث لابن سالم ج 4 ص 48 وفتح الباري ج 13 ص 281 عن احمد والبزار و ابن أبي شيبة و حول كراهة النبي لهم أن يسألوا أهل الكتاب راجع: الإسرائيليات في كتب التفسير ص 86 و كنز العمال ج 1 ص 342 و 442 .

3- راجع: صحيح البخاري ج 2 ص 195 في موضوعين، والمصنف للصنعاني ج 11 ص 154 و ستأتي بقية المصادر في الجزء الخامس من هذا الكتاب حين الحديث حول صيام يوم عاشوراء.

4- سنن أبي داود ج 2 ص 250 والسيرة الحلبية ج 2 ص 15 و مسنن أبي عوانة ج 1 ص 312 والمدخل لابن الحاج ج 2 ص 48 .

وقد استأذن عبد الله بن سلام النبي «صلى الله عليه وآلها» بأن يقيم على السبت، وأن يقرأ من التوراة في صلاته، فلم يأذن له [\(1\)](#).

وسيأتي أنه لم يطبع النبي «صلى الله عليه وآلها» في ذلك أيضاً.

مدارس «ماسكة» :

وقد كان من المفروض: أن يستجيب المسلمون لإرادة الله ورسوله هذه، لا سيما مع التعليل والتوضيح الذي يذكره القرآن ونبي الإسلام لهذا المنع، كقوله «صلى الله عليه وآلها» : «لن يهدوكم، وقد أضلوا أنفسهم» .

أو قوله: «إنهم يحرفون الكلم عن مواضعه» وغير ذلك.

ولكن الأمر الذي يشير عجينا هو أننا نجد: أن بعض مشاهير الصحابة يستمر على التعلم من أهل الكتاب.

وكان بعضهم- كال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب- يقصد هم إلى مدارسهم في المدينة، وتسمى «ماسكة» .

وكان هو أكثر الصحابة إتياناً لهم، وزعموا أنهم يحبونه لأجل ذلك [\(2\)](#).

ص: 112

1- راجع: السيرة الحلبية ج 1 ص 230.

2- راجع حول ذلك: جامع بيان العلم ج 2 ص 123-124 وكتنز العمال عن كلامه وعن الشعبي وعن قتادة والستي ج 2 ص 228 والدر المنشور ج 1 ص 90 عن ابن جرير، ومصنف ابن أبي شيبة، ومسند إسحاق بن راهويه، وابن أبي حاتم. والإسرائييليات وأثرها في كتب التفسير ص 107 و 108. وكون اسم مدارس اليهود (فاشلة) مذكور في مصادر أخرى.

وقد جاء عمر بن الخطاب إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» بترجمة للتوراة، وجعل يتلوها على النبي «صلى الله عليه وآله»، ووجه النبي «صلى الله عليه وآله» يتمرّأ - أي يتقبّض - وقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله» :

«أمتهوّكون أنتم؟! لقد جئتكم بها نقية بيضاء، والله، لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي» [\(1\)](#).

ص: 113

1- للحديث ألفاظ مختلفة وله مصادر كثيرة، فراجع على سبيل المثال: المصنف للصنعاني ج 10 ص 113 وج 6 ص 112 وج 11 ص 111 و تقييد العلم ص 52 وفي هامشه عن مصادر أخرى و جامع بيان العلم ج 2 ص 52-53 و راجع ص 50 و الفائق ج 4 ص 116 و مسنن أحمد ج 3 ص 387 و 470-471 وج 4 ص 266 و غريب الحديث ج 4 ص 48-49 وج 3 ص 28 و 29 و البداية والنهاية ج 2 ص 133 وقال: تفرد به أحمد و إسناده على شرط مسلم و لسان الميزان ج 2 ص 408 و كنز العمال ج 1 ص 233 و 234 عن عدة مصادر و البحار ج 73 ص 347 وج 2 ص 99 ط مؤسسة الوفاء، و الدعوات للراوندي ص 170 و أسد الغابة ج 3 ص 126-127 وج 1 ص 235 و النهاية في اللغة ج 5 ص 282 و ميزان الاعتدال ج 1 ص 666 و مجمع الزوائد ج 1 ص 182 و 174 و 173 و سنن الدارمي ج 1 ص 115 و 116 و المقدمة لابن خلدون ص 436 و الضعفاء الكبير ج 2 ص 21 و صفة الصفة ج 1 ص 184 و اليهود و اليهودية ص 14 و السيرة الحلبية ج 1 ص 230 و التراتيب الإدارية ج 2 ص 229 و راجع: كشف الأستار ج 1 ص 79 و فتح الباري ج 13 ص 281 عن أحمد، و ابن أبي شيبة، و البزار و الإسرائيليات في كتب التفسير ص 86 و أضواء على السنة المحمدية ص 162 و القصاص و المذكرين ص 10 و أصول السرخسي ج 2 ص 152.

و هكذا فعلت حفصة -حسبما يروى- مع رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و هكذا أيضا كان موقعه «صلى الله عليه و آله» منها [\(1\)](#).

ولم يكتف «صلى الله عليه و آله» بالقول و بالتغيظ على من يأخذ من أهل الكتاب، بل باشر إتلاف ما كتبوه عنهم بنفسه.

فقد روى أن عمر بن الخطاب جاء إلى النبي «صلى الله عليه و آله» بشيء كتبه عن أحد اليهود، فجعل «صلى الله عليه و آله» يتبعه رسما رسميا، يمحوه بريقه، وهو يقول: «لا تتبعوا هؤلاء؛ فإنهم قد هوكوا و تهوكوا، حتى محا آخره حرفا حرفا» [\(2\)](#).

كل ذلك لم ينفع:

ولكن ما يؤسف له هو أنه رغم صراحة القرآن، ورغم جهود النبي «صلى الله عليه و آله» لمنع الناس من الأخذ من أهل الكتاب، فقد استمر كثيرون على الأخذ عنهم.

والتلمذ على أيدي من أظهر الإسلام منهم، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

وقد شجعتهم السلطات على رواية أساطيرهم بأساليب وطرق مختلفة. كما سنرى.

ص: 114

1- المصنف للصنعاني ج 11 ص 110 وج 6 ص 113 و 114.

2- حلية الأولياء ج 5 ص 136 و كنز العمال ج 1 ص 334.

وبعد ما نقدم نقول:

إنهم حين منعوا الناس من السؤال عن معاني القرآن، ورواية حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكتابته، وواجهتهم مشكلة إيجاد البديل، ورأوا: أن الحل الأفضل هو توجيه الناس إلى ما عند أهل الكتاب، فإن ذلك ينسجم مع الخلفيات التي كانت لدى الكثيرين، ويدفع الآخرين للتعرف على ما عند هؤلاء الناس من عجائب وغرائب، ثم هو يخفف من حدة الضغوطات التي يتعرضون لها فيما يرتبط باهتمام الناس بالمعرفة الدينية.

وتبقى مشكلة الفتوى، وهي مشكلة سهلة الحل، وقد وجدوا لها التبشير المناسب والمعقول بنظرهم، كما سنرى. أما كيف وجهوا الناس نحو علوم أهل الكتاب، فذلك هو الأمر المهم والحساس، الذي لا بد لنا هنا من الإشارة إلى بعض فصوله وشواهده، فنقول:

الرسوم العام:

لقد كان لا بد لهم بأدئ ذي بدء من إعطاء رواية الإسرائيليات جوازا شرعاً، مستنداً إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ليقبله الناس، ولن يكون حجة على من يريد أن يعارض، فكان أن أصدروا مرسوماً عاماً، منسوباً إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «حدثنا عن بنى إسرائيل ولا حرج». كما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري [\(1\)](#).

ص: 115

1- راجع: صحيح البخاري ط سنة 1309 هـ ج 2 ص 165 والمصنف للصيني ج 6 ص 109 و 110 وج 10 ص 310 و 311 و 312 هوامشه والجامع الصحيح ج 5 ص 40 و سنن أبي داود ج 3 ص 322 و سنن الدارمي ج 1 ص 136 و مسند أحمد ج 3 ص 46 و 13 و 56 وج 2 ص 214 و 159 و 202 و 474 و 502 و مشكل الآثار ج 1 ص 40 و 41 و ذكر أخبار أصحابهان ج 1 ص 149 و كشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 109 والأسرار المرفوعة ص 9 والمجروحون ج 1 ص 6 و مجمع الزوائد ج 1 ص 151 و المعجم الصغير ج 1 ص 166 و كنز العمال ج 10 ص 129 و 135 و التراطيب الإدارية ج 2 ص 224 و 225 و 226 والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص 90 و 91 و 92 و 100 و 103 و 105 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 4 و 221 و البداية والنهاية ج 1 ص 6 وج 2 ص 132 و 133 و تقييد العلم ص 30 و 31 و 34 و شرف أصحاب الحديث ص 15 و 14.

وبذلك يكونون قد سمحوا لأهل الكتاب بأن ينشروا أسطيرهم، ويشعروا بآطيلهم، وذلك بصورة شرعية، ورسمية، ولا يمكن الاعتراض عليها، لا سيما وأنهم قد دعموا ذلك بمزاعم أخرى من قبيل ما زعموه من أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يحدثهم عنبني إسرائيل عامة ليله، حتى يصبح [\(1\)](#).

وقولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر عبد الله بن سلام بقراءة القرآن والتوراة، هذا ليلة [\(2\)](#).

ص: 116

1- راجع: سنن أبي داود ج 3 ص 322 و مجمع الزوائد ج 1 ص 191 وج 8 ص 264 و مشكل الآثار ج 1 ص 41 و مسند أحمد ج 4 ص 444 و ص 437 و البداية والنهاية ج 2 ص 132 و 133 و التراتيب الإدارية ج 2 ص 238 و 345 عن أبي داود و ابن خزيمة، وأحمد، والطبراني، والهيثمي.

2- راجع: ذكر أخبار أصفهان ج 1 ص 84.

والظاهر هو أن حديث: حدثوا عنبني إسرائيل ولا حرج، ليس كذلك بل هو-فيما نظن-تحريف للكلمة المأثورة عن رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» : حدثـاـعنـي ولا حرجـ، وـمـنـ كـذـبـ عـلـيـ مـتـعـمـداـ فـلـيـتـبـوـاـ مـقـعـدـهـ منـ النـارـ. حـسـبـمـ رـوـاهـ أـبـوـ هـرـيـرـةـ!ـ وـأـبـوـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ،ـ وـأـنـسـ.ـ .ـ [\(1\)](#)

والأولان بالإضافة إلى ابن عمرو بن العاص هم الذين ينسب إليهم ذلك الحديث المحرف.

إلا أن يكون المراد من الحديث: حدثـاـبـمـاـ حدـثـكـمـ بـهـ مـنـ مـخـازـيـ وـانـحـرـافـاتـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ وـلـاـ حـرـجـ،ـ وـيـكـوـنـ هـؤـلـاءـ النـاسـ قـدـ أـسـأـوـاـ فـهـمـ هذاـ الحـدـيـثـ،ـ وـاسـفـادـوـ مـنـهـ لـتـفـيـذـ سـيـاسـاتـهـمـ وـمـآـربـهـمـ.

خطوة أخرى على الطريق:

وبعد هذا التمهيد، فقد كان من الطبيعي أن تتوقع منهم التقدم خطوة أخرى باتجاه إعطاء امتيازات لأهل الكتاب، فقد سمح الخليفة الثاني لكتاب الأحبار بأن يقرأ التوراة آناء الليل و النهار [\(2\)](#).

ص: 117

-
- 1- كنز العمال ج 10 ص 128 و 135 و 136 عن أحمد و مسلم، وأبي داود، و ابن عساكر، و صحيح مسلم ج 8 ص 229 والمصنف للصناعي ج 11 ص 260 و تقدير العلم ص 31 و 33 و 34 و 35 و 78.
 - 2- راجع: غريب الحديث ج 4 ص 262 و جامع بيان العلم ج 2 ص 53 و الفصل في الملل والأهواء والنحل ج 1 ص 217 والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص 96 و الفائق للزمخشري ج 2 ص 236.

افتراض لا يجدي:

ونريد أن نفترض مسبقاً، وقبل الدخول في تفاصيل القضايا:

أن حديث: «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج»، قد قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» حقيقة، وبلا ريب.

ولكن هذا الافتراض لا يجدي، ولا يثبت به الرخصة بالأخذ عن أهل الكتاب، والركون إليهم، ورواية أباضيفهم، وأساطيرهم.

إذ إن هذا التعبير إنما يفيد جواز نقل ما وصل إليهم من أخبار بنى إسرائيل الثابتة والمعلوم صحتها، مما أخبرهم الله ونبيه به.

حيث كانوا يتوهمون عدم جواز روایتها وتدالوها، فورد الترخيص لهم بذلك. لأن يأخذوا عن علماء أهل الكتاب ما يصدرونه لهم من غث وسمين، وصحيح وسقيم.

شيوخ الأخذ عن أهل الكتاب:

ومهما يكن من أمر، فإن الناس كانوا يأخذون من كعب الأحبار، الذي كان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية [\(1\)](#) وعن وهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وغيرهم من علماء وأحبار أهل الكتاب، الذين أظهروا الإسلام.

قال الكتاني: «وأخذ كثير من علية الصحابة عن كعب الحبر معروف» [\(2\)](#).

ص: 118

1- راجع: سير أعلام النبلاء ج 3 ص 489 والبداية والنهاية ج 1 ص 18.

2- التراتيب الإدارية ج 2 ص 327.

ولكي لا تكون قد أهملنا الإشارة إلى بعض هؤلاء الذين أخذوا عن أهل الكتاب، فإننا نكتفي بتقديم نموذج بسيط جداً من أسماء هؤلاء، مع إلماحة في الهاشم إلى نموذج من المصادر أيضاً، التي نجد فيها ما يؤيد أخذ من ذكرنا أسماءهم عن علماء اليهود والنصارى.

فراجع ما يؤثر في هذا المجال عن: أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وابنه عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعطاء بن يسار، وعوف بن مالك، وسعید بن المسيب، وزرارة بن أوفى، وروح بن زباغ، وعطاء بن يزيد، وشهر بن حوشب، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن مغفل، وعبد الله بن الحرت، وأنس، وعبد الله بن حنظلة، وأبي الدرداء، ومقاتل بن سليمان، بل لقد نسب ذلك إلى ابن عباس أيضاً[\(1\)](#).

ص: 119

1- راجع في ذلك كلاً أو بعضاً: الإسرائييليات وأثراها في كتب التفسير ص 110 و 117 و 160 و 161 و 162 و 154 و 168 و فجر الإسلام ص 201 و 160 وأضواء على السنة المحمدية ص 110 و 125-126 و 172 و 173 و 172، ودائرة المعارف الإسلامية ج 1 ص 20 و ج 11 ص 582-583 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 17 و تهذيب التهذيب ج 8 ص 439 و ج 1 ص 511-512 و جامع البيان ج 1 ص 10 و مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد 26 ص 615 و 783، و الموطاً (مطبوع مع تنوير الحالك) ج 1 ص 131-132 و منحة المعبدود ج 1 ص 140 و الزهد والرقائق ص 434 و 534 و ربیع الأبرار ج 1 ص 559 و السيرة الحلية ج 1 ص 217 و التراتيب الإدارية ج 2 ص 326 و 327 و اختصار علوم الحديث (مع الباعث الحديث) ص 196 و ميزان الاعتدال ج 4 ص 173 ترجمة مقاتل.

هذا إلى جانب عشرات بل مئات آخرين، فراجع تراجم علماء أهل الكتاب، وانظر من روى عنهم ليتضح لك ذلك بصورة جلية [\(1\)](#).

الإرجاعات الصربيحة:

وقد كان بعض الصحابة المتأثرون بأهل الكتاب يوصون بأخذ العلم عنهم.

فقد روي: أنه حينما حضرت معاذًا الوفاة أوصاهم: أن يتلمسوا العلم عند أربعة وهم: سلمان، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وعبد الله بن سلام، الذي كان يهوديا فأسلم [\(2\)](#).

وأوضح من ذلك وأصرح: ما روي من أن رجلا سأله ابن عمر عن مسألة، وعنده رجل من اليهود، يقال له: يوسف، فقال: سل يوسف، فإن الله يقول: [فَسْأَلُوا أَهْلَ الْذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ](#) [\(3\)](#).

زاملنا عبد الله بن عمرو بن العاص:

وفي سياق الحديث عن الأخذ عن أهل الكتاب بعد أن ترخص الناس بذلك، وبدأ أخبارهم وعلماؤهم في نشر أساطيرهم بجد ونشاط نلاحظ: أن بعض الصحابة يكاد يكون متخصصا في النقل عنهم، وفي نشر أباطيلهم وأساطيرهم.

ص: 120

1- راجع تراجمهم في تهذيب التهذيب للعسقلاني، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وميزان الاعتدال، ولسان الميزان، وتهذيب الكمال، وغير ذلك.

2- راجع: التراتيب الإدارية ج 2 ص 326 وتهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 205. والإيضاح ص 456.

3- الآية 43 من سورة النحل.

فها نحن نجد: أن كل من يتحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص لا بد أن يضع في حسابه: أن يذكر الزاملتين اللتين يدعى ابن عمرو: أنه قد وجدهما في حرب اليرموك مملوءتين كتاباً من علوم أهل الكتاب، فكان يحدث عنهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات [\(1\)](#).

وقد قرر بعض المؤلفين [\(2\)](#): أن ابن عمرو إنما اعتمد في الرخصة بذلك على ذلك المرسوم العام، الذي أشرنا إليه فيما سبق، وهو: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.

مع أنه قد تقدم: أن الحديث -لو صحيحة- فالمعنى أنه مقصود به رواية الحديث الثابت صحته، والمأخذ من النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، لا من علماء بني إسرائيل. بالإضافة إلى احتمال آخر ذكرناه هناك.

لماذا كثرة تلامذة كعب الأحبار:

إن من يراجع كتب تراجم الصحابة والتابعين يجد الكثير من الروايات رواها رواتها عن خصوص كعب الأحبار، ولو بالواسطة، الأمر الذي يشير إلى كثرة تلامذة هذا الرجل، وشدة اهتمام فريق من الناس بالأخذ عنه.

ولعل سبب ذلك، هو تلك الثقة الكبيرة التي أولاها إليها الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، كما يعلم من مراجعة كتب الحديث والتاريخ والترجم.

ص: 121

1- راجع: البداية والنهاية ج 1 ص 24 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 102 عن مسندي أحمد، وعن فتح الباري. و تذكرة الحفاظ ج 3 ص 42 والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص 111 و 146 و 147 و 153 و 207 و 91 و 92.

2- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص 111 و 153. و راجع: ص 91 و 92.

وقد قرره الخليفة أكثر من مرة، ومن ذلك أنه حينما تزلف له كعب بما راق له، قال: «وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أَمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ»⁽¹⁾
⁽²⁾.

ثم جاء معاوية بن أبي سفيان ليظهر المزيد من الاهتمام بكعب، وليمتحن المزيد من الأوسمة، وكلماته فيه وتقديراته له معروفة ومشهورة.⁽³⁾

هذا بالإضافة إلى تأثير ذلك المرسوم العام في ترغيب الناس بما عند أهل الكتاب، حسبما تقدم.

أبو هريرة يروي عن كعب:

وقد أفاد كعب من هذه التقديرات، واستخدمها في جلب المزيد من التلامذة إلى حظيرته، وبدأ ينشر على تلامذته ما شاءت له فريحته، ودعته إليه أهدافه. وترخص الناس في الرواية عنه، حتى كان أبو هريرة يروي عن كعب، كما يروي عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وقد روى حديثاً في خلق السموات والأرض حكموا عليه بأن أبو هريرة إنما تلقاه عن كعب⁽⁴⁾.

ويقول بشير بن سعد-كما روي عنه-: اتقوا الله و تحفظوا من الحديث، فوالله، لقد رأينا نجالس أبو هريرة، فيحدث عن رسول الله، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن

ص: 122

1- الآية 159 من سورة الأعراف.

2- لباب الآداب ص 234.

3- راجع على سبيل المثال: الإصابة، والتراث الإدارية ج 2 ص 426 عن الجاسوس ص 502.

4- راجع: البداية والنهاية ج 1 ص 17.

كعب، ويجعل حديث كعب عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» [\(1\)](#).

فترى: أن أبا هريرة يجعل حديثه عن كعب، إلى جانب حديثه عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» . ولا يجد غضاضة في أن يحدث في مجالسه عنهما معا!!

وهذا ربما يكون السبب في صدور الإجازة له بالتحديث بعد أن كان ممنوعاً من ذلك.

كعب الأحبار حكما:

وسرعان ما أصبح كعب الأحبار شخصية مرموقة، يحتكم إليها حتى خليفة المسلمين، ليجد عندها الجواب الكافي والشافعي، والحكم العادل والفاصل.

فقد روى المفسرون: أن خلافاً وقع بين معاوية وابن عباس في قراءة جملة: «عَيْنَ حَمَّةٍ» . كما يقول ابن عباس. أو: «حَامِيَةٍ» كما يقول معاوية: فاتفقا على تحكيم كعب الأحبار؛ فسألاه: كيف تجد الشمس في التوراة؟!

فقال: في طينة سوداء.

فوافق جوابه كلام ابن عباس [\(2\)](#).

ص: 123

1- راجع: البداية والنهاية ج 8 ص 109 وسير أعلام النبلاء ج 2 ص 606 وفي هامشه عن تاريخ ابن عساكر ج 19 ص 121 و الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير.

2- راجع: تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 102 وراجع: الدر المنثور ج 4 ص 248 عن عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

ولا ندري كيف صار كلام كعب دليلاً على صحة الآية القرآنية بهذا النحو أو بذاك؟ .

ومن الذي قال: إن كعب الأخبار لم يكن مسبوق الذهن بالآية القرآنية، فجاء بنص ينسجم معها حذراً من المواجهة مع صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» لو أنه جاء بما يخالف القرآن.

ويلاحظ: أن معاوية-كما ذكرته رواية في الدر المنشور-قد أرسل أولاً إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، فوافق معاوية. ثم سأله كعب الأخبار، فأجابه بما وافق ابن عباس [\(1\)](#).

وفي نص آخر: أن المخالفة كانت بين ابن عباس، وعمرو بن العاص [\(2\)](#).

مع أن ابن عمرو يأخذ من كتب أهل الكتاب، كما كان يأخذ كعب.

بردة كعب:

وقد بلغ مقام كعب عند معاوية مبلغاً عظيماً، جعله يصر عليه هو شخصياً بأن يتولى مهمة القصص، كما أسلفنا.

بل لقد صار هذا الرجل من مواضع البركة لهم، حتى ليقول الكتани: «تغالي معاوية في بردة كعب معروف» [\(3\)](#).

ص: 124

1- راجع: الدر المنشور ج 4 ص 248 عن عبد الرزاق و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم.

2- الدر المنشور ج 4 ص 248 عن سعيد بن منصور و ابن المنذر.

3- التراتيب الإدارية ج 2 ص 446.

وقد كان كعب يعرف كيف يهيمن على عقول الناس، وينال ثقتهم، ويكتسب تأييدهم.

وكان أيضاً من أعرف الناس بمقاييس قلوبهم، وكيف؟ ومتى؟ وبأية صورة يوزع الرشاوى على أتباعه، والمعجبين به، ليحتفظ بولائهم، وحبهم، وثقتهم إلى أبعد مدى.

وقد تحدثنا عن بعض من ذلك فيما سبق، حين الحديث عن كيد وتهويات أهل الكتاب.

ونشير هنا إلى بعض آخر من ذلك أيضاً، فنقول:

ألف: كعب وخلافة علي عليه السلام:

لقد كان كعب الأخبار على علم بالتوجهات العامة لسياسات الحكم تجاه علي (عليه السلام) وأهل بيته، ولم يكن ليخفى عليه: أن ثمة خطة لإبعادهم عن الخلافة وإبعادها عنهم بمختلف الأساليب.

وعلى هذا الأساس نلاحظ: أنه حين استشار عمر كعباً في أمر الخلافة، وطرح له أسماء المرشحين لها، فلما انتهى إلى اسم علي (عليه السلام) نرى كعباً يرفض أن يكون لعلي (عليه السلام) نصيب فيها، بشدة وقوة [\(1\)](#).

وما ذلك إلا لأنه كان على علم بالسياسات الخفية في هذا الاتجاه، وكان يعلم أيضاً: أن رفضه لهذا كان يرود لل الخليفة، وينسجم مع تطلعاته

ص: 125

1- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 12 ص 81

و تدبراته، و طموحاته المستقبلية.

ب : لقب الفاروق:

و بالنسبة لعمر نفسه، فإننا نجد أهل الكتاب يتلفون له بطريقة أخرى أيضاً، و ذلك حينما منحه لقب «الفاروق» الذي كان يعجبه و يروق له.

يقول النص التاريخي: «بلغنا: أن أهل الكتاب أول من قال لعمر: «الفاروق» .

و كان المسلمين يأثرون ذلك من قولهم.

ولم يبلغنا: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» ذكر من ذلك شيئاً[\(1\)](#).

وربما يظهر من رواية الطبرى: أن الذى سماه بذلك هو كعب الأحبار نفسه[\(2\)](#).

و واضح: أن منح هذا اللقب لل الخليفة قد يكون رشوة، وقد يكون مكافأة له على إفساحه المجال لأهل الكتاب لنشر ترهاطهم وأباطيلهم في المسلمين بعد أن حرم المسلمين من حديث نبّيهم رواية و كتابة، و من قرآنهم أيضاً، حسبما ألمحنا إليه.

ص: 126

-
- 1- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 193 و تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 30 و البداية والنهاية ج 7 ص 133 و تاريخ الأمم والملوك ط الاستقامة ج 3 ص 267 حوادث سنة 23 و راجع: ذيل المذيل (مطبوع في آخر تاريخ الطبرى).
 - 2- تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 267.

ج: كعب يقرض أبي هريرة:

و مما يدخل في هذا السياق ما قاله كعب الأحبار، وهو يقرض أبي هريرة: «ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة» [\(1\)](#).

ولأنه من أين حصل أبو هريرة على علوم التوراة، وكيف عرف ما فيها دون أن يقرأها.

وهل يمكن أن يوجد شخص غير هذا الرجل يستطيع أن ينال علم شيء دون أن يطلع عليه، ويعرف ما فيه؟ !

د: محاولة رشوة ابن عباس:

قالوا: كان ابن عباس يقرأ: «في عين حمئة» فقال كعب: ما سمعت أحداً يقرؤها كما هي في كتاب الله غير ابن عباس؛ فإننا نجدها في التوراة: في حمئة سوداء [\(2\)](#).

وقد تقدم ما يدل على أن عبد الله بن عمرو بن العاص قد ذكر: أنه يوجد في التوراة نص آخر يختلف عما ذكره كعب الأحبار، فراجع ما ذكرناه تحت عنوان: «كعب الأحبار حكما» .

ومهما يكن من أمر فإننا نقول: إن كعبا يريد بكلامه هذا مع ابن عباس: أن يرمي عصفورين بحجر واحد.

فهو من جهة يقدم رشوة إلى ابن عباس، ليكتسب حبه و ثقته، و إعجابه

ص: 127

1- الترتيب الإدارية ج 2 ص 228 و تذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ص 36 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 600 و السنة قبل التدوين ص 433 عن الإصابة ج 7 ص 205.

2- الدر المنشور ج 4 ص 248 عن سعيد بن منصور، و ابن المنذر و ابن أبي حاتم.

برجل عنده علم التوراة.

و من جهة ثانية يكون قد كرس في أذهان الناس: أن هذه التوراة التي بين أيديهم هي الكتاب المنزل على موسى، وليس محرفة، كما يزعمون، وعلى هذا الأساس، فلا بد من تعظيمها، والاستفادة مما فيها من علوم، و معارف.

٥ : كعب يقرّض ابن عمرو بن العاص:

و أما عن تقريريات كعب لعبد الله بن عمرو بن العاص، فقد روي عن عبد الله بن السلماني قوله: «الثقة كعب الأخبار، و عبد الله بن عمرو».

قال كعب: أتَطْلِرْ؟ !

قال: نعم.

قال: فما تقول؟ !

قال: أقول: اللهم لا طير إلا طيرك، و لا خير إلا خيرك، و لا رب غيرك، و لا حول ولا قوة إلا بك.

قال: أنت أفقه العرب؛ إنها لمكتوبة في التوراة كما قلت» [\(١\)](#).

و حسبنا ما ذكرناه، فإن المقصود هو الإلمام والإشارة لا الاستقصاء.

سحرة بني إسرائيل يركزون على التوراة:

و إذا رجعنا إلى كتب التاريخ و الحديث فسوف نجد: أن علماء أهل الكتاب كانوا يمارسون على الناس طريقة الإرهاب

ص: 128

1- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 268 ط صادر.

الفكري، حيث يظهرون لهم: أنهم يعرفون كل شيء، لأن التوراة مكتوب فيها كل شيء، حتى الأرض شبراً شبراً.

قال كعب الأحبار لقيس بن خرشة لا عترضه عليه، حين أخبره بما يجري على أرض صفين: «ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة، الذي أنزل الله على موسى، ما يكون عليه، وما يخرج منه إلى يوم القيمة» [\(1\)](#).

وفي نص آخر قال: «ما من شيء إلا وهو مكتوب في التوراة» [\(2\)](#).

ونقول:

إن التوراة التي تحوي كل هذه التفاصيل لا بد أن تكون مئات بلآلاف المجلدات.

ولو صح أن توراة موسى كان فيها كل ذلك، فمن الذي يضمن أن تكون التوراة الحاضرة هي نفس تلك؟

ونحن نرى: أنها تفقد كل ذلك الذي يدعون أنه يوجد فيها.

ومهما يكن من أمر، فقد أنسد الحطئة بيتاً من الشعر، فادعى كعب الأحبار فوراً: أنه مكتوب في التوراة [\(3\)](#).

ودعوى كعب وجود كثير مما يتفق أمامه: أنه مذكور في التوراة بهدف كسب ثقة الناس بعلمه وبمعارفه، ورفع شأن التوراة في أعينهم، كثير لا

ص: 129

1- دلائل النبوة للبيهقي ج 6 ص 476 والدر المنشور للسيوطى ج 3 ص 125 عنه وعن الطبراني.

2- بحوث مع أهل السنة والسلفية ص 82 عن أصنوفة على السنة المحمدية ص 140.

3- المحاسن والمساوئ ج 1 ص 199.

تعظيم و تقديس التوراة:

و من أساليبهم التي ترمي إلى جعل الناس يقدسون توراتهم المحرفة التي يتداولونها، ما زعموه من أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» قد قام للتوراة [\(2\)](#).

ثم جاء الحكم بحرمة مس التوراة و الإنجيل للجنب [\(3\)](#).

و كان أبو الجلد الجوني يقرأ القرآن كل سبعة، و يختتم التوراة في ستة أيام نظرا؛ فإذا كان يوم ختمها حشد إلى ذلك ناسا.

و كان يقول: كان يقال: تنزل عند ختمها الرحمة [\(4\)](#).

كما أن وهب بن منبه قد أجاز النظر في التوراة و كتابتها [\(5\)](#).

و كانوا يستشهدون لبعض القضايا التاريخية بأنها قد وردت في التوراة.

ص: 130

1- راجع على سبيل المثال: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 246 وبهجة المجالس ج 1 ص 368. والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير والحديث ص 95 عن مسندي أحمد.

2- راجع: الترتيب الإدارية ج 2 ص 230 عن شرح المنهاج لابن حجر الهيثمي وغيره.

3- الترتيب الإدارية ج 2 ص 231.

4- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 7 ص 161 والترتيب الإدارية ج 2 ص 228-229.

5- الترتيب الإدارية ج 2 ص 288 عن ابن حجر.

ومن أمثلة ذلك: أن ابن دحية قد كذب الرواية التي تقول:

إن هارون مدفون في أحد؛ لأنه قدم هو وأخوه موسى إلى الحج أو العمرة، فمات هناك، فواراه أخوه موسى فيه.

قال ابن دحية: «هذا باطل يقين، وإن نص التوراة: أنه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام» [\(1\)](#).

إصرار مسلمة أهل الكتاب على العمل بالتوراة:

وتشير النصوص التي بين أيدينا: «إلى أن الذين أسلموا من أهل الكتاب قد استمروا على تعظيم توراتهم وعلى العمل ببعض ما فيها-كما ذكره المفسرون لآية يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة» [\(2\)](#) [\(3\)](#).

وقد روي: أن عبد الله بن سلام، وثعلبة، وابن يامين، وأسد، وأسید بنى كعب، وسعيد بن عمرو، وقيس بن زيد، وكلهم من اليهود جاوزوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فقالوا:

يا رسول الله، يوم السبت كنا نعظمه، فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها بالليل.

فنزلت الآية [\(4\)](#): يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة .

وفي نص آخر: «أن ابن سلام وغيره ممن أسلم من اليهود استمروا على

ص: 131

1- السيرة الحلبية ج 2 ص 216.

2- الآية 208 من سورة البقرة.

3- الدر المنشور ج 1 ص 241 عن ابن أبي حاتم.

4- الدر المنشور ج 1 ص 241 عن ابن جرير.

تعظيم السبت، وكرامة أكل لحم الإبل، وشرب لبنها؛ فأنكر ذلك عليهم المسلمون.

قالوا: «إن التوراة كتاب الله، فنعمل به أيضاً، فأنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوْفِي الْسَّلْمِ كَافَّةً» [\(1\)](#) [\(2\)](#).

وتقديم: أن الخليفة الثاني قد سمح لكتاب الأحبار بأن يقرأ التوراة آناء الليل وأطراف النهار.

ص: 132

1- الآية 208 من سورة البقرة.

2- السيرة الحلبية ج 2 ص 115.

إشارة

ص: 133

إنه لا ريب في أن القصص حينما يكون حقا، وفي خدمة الحق، ووسيلة لتوعية الناس، وتعريفهم بواجباتهم، فإنه يكون حينئذ محبوباً ومطلوبـا لله تعالى، وقد قال عز من قائلـ:

إنَّ هُذَا أَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ (1).

وحيـنـما طـلـبـ الصـحـابـةـ منـ النـبـيـ «صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ أـنـ يـقـصـ عـلـيـهـمـ نـزـلـ قـولـهـ تـعـالـىـ:

نَحْنُ نُنْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (2).

ورـويـ أنـ سـعـدـ الإـسـكـافـ قـالـ لـأـبـيـ جـعـفـرـ: إـنـيـ أـجـلـسـ فـاقـصـ؛ـ وـأـذـكـرـ حـقـكـمـ وـفـضـلـكـمـ!

صـ: 135

1- الآية 62 من سورة آل عمران.

2- الآية 3 من سورة يوسف. وراجع: جامـعـ البـيـانـ جـ 12ـ صـ 90ـ والـدرـ المـنـثـورـ جـ 4ـ صـ 3ـ والـجـامـعـ لـأـحـكـامـ الـقـرـآنـ جـ 9ـ صـ 118ـ وـ رـاجـعـ جـ 15ـ صـ 248ـ.

قال: وددت أن على كل ثلاثة ذراعاً قاصاً مثلك [\(1\)](#).

وكان أباً بن تغلب «قاص الشيعة» [\(2\)](#).

وكان عدي بن ثابت الكوفي المتوفي سنة 116 هـ. إمام مسجد الشيعة وقاصهم [\(3\)](#).

هذا هو رأي الإسلام، وصريح القرآن، ونهج أهل بيته، ومعدن الرسالة و موقفهم.

ولكن الأمر بالنسبة لسياسات الآخرين وأهدافهم من هذا الأمر، لم يكن بهذه البساطة، بل هو يختلف تماماً مع هذا الذي ذكرناه بصورة حقيقة وأساسية، ولتوسيع ذلك نقول:

الطريقة الذكية:

سبق أن قلنا: إنه قد كان لا بد للحكم من إشغال العامة، وملء الفراغ الروحي والنفسي الذي نشأ عن إبعاد العلماء الحقيقيين عن التعاطي مع الناس، وتنقيفهم وتربيتهم.

وبعد أن استقر الرأي على إعطاء دور رائد لأهل الكتاب في هذا

ص: 136

1- راجع: اختيار معرفة الرجال ص 214-215 و جامع الرواية ج 1 ص 353 و تنقية المقال ج 2 ص 12 و منتهى المقال ص 144. و

راجعاً: نقد الرجال ص 148 و قاموس الرجال ج 4 ص 324 و معجم رجال الحديث ج 8 ص 68-69.

2- معرفة علوم الحديث ص 136.

3- تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة 100-120 هـ) ص 418 و 419.

المجال، فقد اتجه الحكم نحو استحداث طريقة جديدة، من شأنها أن تشغل الناس، وتملاً فراغهم، وتوجد حالة من الطمأنينة لديهم، مع ما تقدمه لهم من لذة موهومة، ولكنها محببة.

مع الاطمئنان إلى أن هذه الطريقة لا تؤدي إلى إtrag الحكم في شيء، بطرح أي من الأمور الحساسة، التي لا يريدون التعرض لها، أو المساس بها.

وهذه الطريقة هي السماح بالقصص لمسلمة أهل الكتاب، من الأخبار والرهبان، حيث ينشرون في الناس ما شاؤوا من أساطير وترهات، ويذهبون بأوهام الناس وخيالاتهم في آفاق الخياء والهباء، ثم يقذفون بها في أقبية الأحلام الصفيقة، أو في أغوار النسيان العميق والحقيقة.

وأهل الكتاب هم أجدر وأبرع من تصدى لهذا الأمر، وأولى من حق الغاية المنشودة؛ لأن العرب كانوا إلى عهد قريب يحترمونهم، ويتقدون بهم وبعلمهم، ولم يتسرّ للإسلام رغم ما قام به من جهود—أن ينزع هذه النظرة التي لا تستند إلى أساس موضوعي من النفوس المريضة أو الضعيفة.

وقد قام أخبار أهل الكتاب بالمهمة التي أوكلت إليهم خير قيام، وحققوا كل أهداف الحكم والحاكمين، وأهدافاً أخرى كانوا هم أنفسهم يسعون إليها، ويعملون ليل نهار في سبيل الوصول والحصول عليها.

وإذا كانوا في السابق يعملون في السر والخفاء، فها هم اليوم يمارسون نشاطهم جهراً وطلب من الحكم القائم بالذات.

اعطاء الشرعية:

وقد مارسوا نشاطهم ودورهم هذا في ظل قرار رسمي حكومي، يقضي باحتلال أهل الكتاب للمساجد، وأولها مسجد الرسول الأعظم

«صلى الله عليه وآله» في المدينة (1)، ليسغلوا الناس بما يقصّونه عليهم من حكايا بني إسرائيل، وأي شيء آخر يروق لهم، ويخدم الأهداف التي يعملون من أجلها وفي سبيلها.

وكان تميم الداري، الذي هو في نظر عمر بن الخطاب خير أهل المدينة (2) قد طلب من الخليفة الثاني أن يقص، فسمح له، فكان يقص في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» كل جمعة، فاستزاده يوما آخر فزاده.

فلما تولى عثمان زاده يوما آخر أيضا (3).

ص: 138

1- إنها لمقارقة عجيبة في التناقض بين سلوك النبي «صلى الله عليه وآله» وبين سلوك من يدعون خلافته، فالنبي الذي سعى لطرد اليهود من الجزيرة العربية، إذ بهم بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» يحتلون مكانه بدعاوة من الحكماء الذين يحكمون باسم النبي «صلى الله عليه وآله».

2- الإصابة ج 1 ص 215.

3- راجع: المصنف للصنعاني ج 3 ص 219 وتاريخ المدينة لابن شبة ج 1 ص 11 و 12 و راجع ص 10 و 15 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 446 و تهذيب تاريخ دمشق ج 3 ص 360. و راجع: الخطط للمقرizi ج 2 ص 253. و حول أن عمر قد أمر تمينا الداري بأن يقص، وأنه أول من قص راجع: الزهد والرقائق ص 508 و صفة الصفوحة ج 1 ص 737 و أسد الغابة ج 1 ص 215 و تهذيب الأسماء ج 1 ص 138 و مسند أحمد ج 3 ص 449 و مجمع الزوائد ج 1 ص 190 والإصابة ج 1 ص 183 و 184 و 186 و المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 378 و 379، وفيه: أنه تعلم ذلك من اليهود والنصارى، وأرجع في الهاشم إلى طبقات ابن سعد ج 1 ص 75. و راجع: الإسرائييليات وأثرها في كتب التفسير ص 161 و كنز العمال ج 10 ص 171 و 172 عن المرزوقي في العلم وعن أبي نعيم، وعن العسكري في الموعظ والتراتيب الإدارية ج 2 ص 338 و القصاص و المذكرين ص 20 و 21 و 29 و عن الضوء السارى للمقرizi ص 129 و مختصر تاريخ دمشق ج 5 ص 321.

وكان عمر بن الخطاب يجلس إليه بنفسه، ويستمع إلى قصصه [\(1\)](#).

ويقول البعض: إن تميماً أخذ ذلك من اليهود والنصارى [\(2\)](#) مع أن تميماً كان في بادئ الأمر نصرانياً!

وقيل: إن أول من قص هو عبيد بن عمير. وذلك على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب [\(3\)](#).

وكان معاوية إذا صلى الفجر يجلس إلى القاصص، حتى يفرغ من قصصه [\(4\)](#).

كما أن عمر بن عبد العزيز كان يجلس ويستمع إلى القصاص [\(5\)](#).

وكان محمد بن قيس قاصلاً لعمر بن عبد العزيز بالمدينة [\(6\)](#).

ص: 139

1- راجع: الزهد والرقاء ص 508 والقصاص والمذكرين ص 29.

2- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 378 و 379.

3- راجع: سائر المصادر المتقدمة، وتاريخ المدينة لابن شبة ج 1 ص 13 وكنز العمال ج 10 ص 171 عن ابن سعد، وعن العسكري في الموعظ، والقصاص والمذكرين ص 22.

4- الترتيب الإدارية ج 2 ص 348 عن مروج الذهب ج 2 ص 52.

5- القصاص والمذكرين ص 33.

6- راجع: الجرح والتعديل ج 8 ص 63 والتاريخ الكبير ج 1 ص 212 وتاريخ ابن معين ص 166 وراجع: الحوادث والبدع ص 103 عن المدونة الكبرى، كتاب الوضوء.

وكان الناس يفخرون بفقيئهم وقاصئهم: ابن عباس، وعبيد بن عمير [\(1\)](#).

وما دام أن القصاصين صاروا مصدر فخر للأمة، فمن الطبيعي: أن نرى كثيرين من الأعيان والمعروفين قد تصدوا للقصاص أيضاً، فعدا عن تصدي مثل: كعب الأحبار، الذي كان يقص في عهد معاوية بأمر منه [\(2\)](#).

وكان عمر أيضاً يستدعي من كعب الموعظة [\(3\)](#)، وهذا اصطلاح يقصد به القصاص، كما يظهر من كتاب: القصاص والمذكرين، لابن الجوزي. وكان تباع بن عامر، وهو ابن زوجة كعب ورببه يقص [\(4\)](#).

نعم، عدا عن ذكرنا، فقد كان أبو هريرة يقص، وكذا الأسود بن سريح، و Mohammad bin Kعب القرظي، و قتادة، و عطاء، و سعيد بن جبير، و ثابت الباني، و عمر بن ذر، و أبو وائل، و الحسن البصري، وغيرهم [\(5\)](#).

فراجع المؤلفات التي تعالج موضوع القصاص، والقصاصين، ككتاب: القصاص والمذكرين، وتلبيس إبليس، وقوت القلوب، وغير ذلك
لتطلع على

ص: 140

1- القصاص والمذكرين ص 46-47 و راجع: المعرفة والتاريخ ج 2 ص 33 وطبقات الكبرى ج 5 ص 445.

2- القصاص والمذكرين ص 25 و راجع: ربيع الأبرار ص 588 و تاريخ المدينة ج 1 ص 8 و الترتيب الإدارية ج 2 ص 336 عن أحمد، و حسن الهيثمي إسناده.

3- القصاص والمذكرين ص 30.

4- تهذيب الكمال ج 4 ص 314.

5- راجع: القصاص والمذكرين ص 44 و 45 و 50 و 58 و 62 و 32. و راجع: المصنف للصنعاني ج 3 ص 220 و المعرفة والتاريخ ج 1 ص 391 و مسنند أحمد ج 3 ص 451 و متم طبقات ابن سعد ص 136.

أسماء كثيرين ممن كانوا يمارسون القصص في الصدر الأول.

حتى النساء:

و حتى النساء، فإنهن قد مارسن مهنة القصص، فقد روى ابن سعد: أن أم الحسن البصري كانت تقص على النساء أيضا [\(1\)](#).

اهتمام الحكم بالقصاصين:

و كان الحكم يهتمون بأمر القصاصين بصورة واضحة، وقد تجلى هذا الاهتمام في جهات عديدة:

1- فقد تقدم: أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان يجلس إلى القصاصين، ويستمع إليهم، وكذلك معاوية، وعمر بن عبد العزيز.

2- وقد جعلوا للقصاصين جعلا (أي أجرا) على عملهم [\(2\)](#).

و كان عمر بن عبد العزيز -حسبما يقولون- يعطي القاص الذي رتبه للقيام بهذه المهمة دينارين شهريا، فلما ولّي هشام بن عبد الملك جعل له ستة دنانير [\(3\)](#).

3- كان منصب القصاص منصبا رسميا يتدخل فيه الخليفة بنفسه، نصبا وعزلا، كما تقدم عن عمر، و معاوية، و عمر بن عبد العزيز. وسيأتي ما يدل على ذلك أيضا عن عوف بن مالك، و عبادة بن الصامت، حيث قالا:

ص: 141

1- راجع: التراتيب الإدارية ج 2 ص 338.

2- تاريخ المدينة لابن شبة ج 1 ص 15 و 16 والخطط والأثار للمقرizi ج 2 ص 254.

3- تاريخ المدينة ج 1 ص 15 و راجع: الحوادث والبدع ص 103.

لا يقص إلا أمير، أو مأمور الخ.

و يدل عليه أيضاً كلام غضيف بن الحارث مع عبد الملك بن مروان [\(1\)](#)، فراجع.

و قد ذكر المقريري طائفة ممن تولوا منصب (قصاص) في القرون الأولى على التعاقب، فليراجعه من أراد ذلك [\(2\)](#).

أما من كان يقص بدون إذن من الحاكم، فقد كان يعرض نفسه للمؤاخذة من قبل الحكماء [\(3\)](#).

و لعل القاص الذي ينصبه الحاكم هو الذي كان يقال له: «قاص الجماعة» [\(4\)](#).

ويشير إلى ذلك: أن أبا الهيثم كان قاص الجماعة في عهدبني أمية، فلما جاء بنو العباس عزلوه، فاعتراض على ذلك واستتركه [\(5\)](#).

ـ إن الخلفاء كما أنهم كانوا يجعلون للجماعة قاصاً، فإنهم كانوا يجعلون للجند قاصاً أيضاً، لأجل تحريكيهم، وبعث الحماس فيهم، [\(6\)](#)

ص: 142

ـ 1ـ راجع تاريخ المدينة ج 1 ص 10 و مجمع الزوائد ج 1 ص 188.

ـ 2ـ راجع: الخطط والآثار ج 2 ص 254.

ـ 3ـ راجع: أنساب الأشراف ج 4 قسم 1 ص 34-35.

ـ 4ـ راجع: المصنف للصنعاني ج 3 ص 220 و تاريخ المدينة ج 1 ص 16 و 14.

ـ 5ـ راجع المعرفة والتاريخ ج 2 ص 436.

ـ 6ـ راجع: تمدن إسلام وعرب در قرن چهارم هجری ج 2 ص 80 و 85 و الجرح والتعديل ج 6 ص 163.

و توجيههم سياسيا، حسبما يتواافق مع أهداف الحاكم و طموحاته.

و قد صرَّح الحسن بن عبد الله: أنَّ الْمَلِكَ هُوَ الَّذِي يَتولَى مِنْصَبِ قَاصِ الْجَنْدِ [\(1\)](#).

5-لقد كان الخليفة يتدخل حتى في كيفية و نوع و مقدار العمل الذي يسمح به للقاص، و تقدم أن عمر و عثمان قد عينا لتميم الداري الوقت و المدة و المكان.

كما أنَّ عمر بن عبد العزيز-الذي تلمَّذَ على يدي مسلم بن جندب القاص- [\(2\)](#) قد كتب إلى صاحب الحجاز: أنَّ مِرْ قَاصَكَ: أَنْ يَقْصُّ عَلَى كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مَرَّةً. أو قال: قاصكم [\(3\)](#).

6-لقد كان الأُمَّاءُ أَنفُسَهُمْ يَمْارِسُونْ عَمَلَ الْقَاصِصِ، حَتَّى قِيلَ -بَلْ لَقِدْ جَعَلُوا ذَلِكَ رِوَايَةً عَنِ النَّبِيِّ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» -كَمَا عَنْ عِبَادَةِ بَنِ الصَّامِتِ، وَعُوفِ بْنِ مَالِكٍ:

«لَا يَقْصُّ إِلَّا أَمِيرٌ، أَوْ مَأْمُورٌ، أَوْ مُخْتَالٌ. أو قال: أَوْ مُتَكَلِّفٌ» [\(4\)](#).

ص: 143

1- راجع: الجيش و القتال في صدر الإسلام ص 135.

2- راجع: التاريخ الكبير ج 3 ص 354 و المعرفة والتاريخ ج 1 ص 596.

3- القصاص و المذكرين ص 28. لعل الصحيح: أخبار القصاص و المذكرين.

4- راجع: قوت القلوب ج 2 ص 302 و 303 و كنز العمال ج 10 ص 124 عن الطبراني و المعجم الصغير ج 1 ص 216 و تاريخ المدينة لابن شبة ج 1 ص 8 و 9 و التراطيب الإدارية ج 2 ص 336 عن أحمد، وأبي داود، و الطبراني في الكبير والأوسط، و الهيثمي. و القصاص و المذكرين ص 25 و 28 و سنن ابن ماجة ج 2 ص 1235 و مسند أحمد ج 4 ص 233 و ج 6 ص 29 و ربيع الأبرار ج 3 ص 588 و سنن الدارمي ج 2 ص 319 و مختصر تاريخ دمشق ج 7 ص 240 و ج 10 ص 338 و 339. و راجع: مجمع الروايدج 1 ص 190 و النهاية في اللغة ج 4 ص 70 و لسان العرب ج 7 ص 74 و 75 و عن تحذير الخواص ص 59. و الحوادث و البدع للطرطوشي ص 101 ط تونس سنة 1959.

القصاصون في خدمة سياسات الحكام:

وغني عن القول هنا:

أن القصاصين قد قاموا بدور فاعل في تثبيت دعائم الحكومات الظالمة، وأصبحوا أبواباً لها للدعابة والإعلام، يشيعون في الناس ما يريدون الحكام إشاعته، مما يخدم مصالحهم، ويوصلهم إلى أهدافهم.

ويكفي أن نذكر هنا:

1-أن معاوية حين جاء لحرب الإمام الحسن «عليه السلام» في العراق، استصحب معه القصاص؛ فكانوا يقصون في كل يوم، يحضرون أهل الشام عند وقت كل صلاة؛ فقال بعض شعرائهم:

من جسر منج أضحي غب عاشرة في نخل مسكن تلتى حوله السور [\(1\)](#)

2-ويقولون أيضاً: إن معاوية حينما بلغه:

أن علياً «عليه السلام» قنت فدعا على أهل حربه، أمر القاص الذي

ص: 144

1- تاريخ بغداد ج 1 ص 208 وراجع: سير أعلام النبلاء ج 3 ص 146 وفي هامشه عن ابن عساكر.

يقص بعد الصبح وبعد المغرب: أن يدعوه له و لأهل الشام [\(1\)](#).

3- و كان عبد الملك شكا إلى العلماء! ما انتشر عليه من أمر رعيته، و تخوفه من كل وجه، فأشار عليه أبو حبيب الحمصي القاضي بأن يستنصر عليهم برفع يديه إلى الله تعالى.

فكان عبد الملك يدعو و يرفع يديه، و كتب بذلك إلى القصاص؛ فكأنوا يرفعون أيديهم بالغداة والعشي [\(2\)](#).

4- و كان محمد بن واسع الأزدي من جملة القصاص و الوعاظ في جيش قتيبة بن مسلم في خراسان، و كان يقول قتيبة في حقه: إنه بالنسبة إليه أفضل من ألف سيف و رمح. فراجع [\(3\)](#).

5- قال عبد الملك بن مروان لغضيف بن الحارث: «إنا قد أجمعنا الناس على أمرین: قال: و ما هما؟

قال: رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، و القصاص بعد الصبح و العصر الخ» [\(4\)](#).

6- كما أن القصاصين قد قاموا بدور مهم في إحداث الفتنة بين السنة و الشيعة في بغداد، في زمن عضد الدولة، فمنعهم من القصاص. و ذلك في

ص: 145

1- الخطط للمقريزي ج 2 ص 253 و الولاة و القضاة هامش ص 203 عن رفع الإصر ص 47.

2- الخطط للمقريзи ج 2 ص 254.

3- راجع: البيان والتبيين ج 3 ص 273 و العقد الفريد ج 2 ص 170.

4- مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 105 و تحذير الخواص ص 70.

وكذلك جرى في سنة 398 هـ . ق.

ثم سمحوا لهم بمزاولة أعمالهم بشرط تركهم التعرض للفتن (2).

جرأة القصاصين و سيطرتهم:

كان القصاصون جريئين على الله و رسوله، فلم يكونوا يتورعون عن وضع الحديث، حتى لقد قال ابن حبان:

« كانوا إذا حلو بمساجد الجماعات، و محافل القبائل مع العوام والرعام أكثر جسارة في الوضع » (3). أي في وضع الحديث على لسان رسول الله « صلى الله عليه و آله » .

و قد حدث ابن عون، فقال: « أدركت المسجد، مسجد البصرة، و ما فيه حلقة تنسب إلى الفقه إلا حلقة واحدة تنسب إلى مسلم بن يسار، و سائر المسجد قصاص » (4).

ص: 146

1- راجع: البداية والنهاية ج 11 ص 289 و طبقات الحنابلة ج 1 ص 158 و المنتظم ج 7 ص 88 و سير أعلام النبلاء ج 16 ص 509 و تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة 350-380 هـ) ص 153.

2- راجع: المنتظم ج 7 ص 337 و 338 و تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة 380-400 هـ) ص 337-338 و شذرات الذهب 149 و 150 و بقية المصادر في كتابنا: صراع الحرية في عصر المفید ص 24 و 25 الطبعة الأولى.

3- عن المجرودين ج 2 ص 30، أ.

4- القصاص والمذكرين ص 16.

ودعا عطاء بن أبي رباح بخمسة قصاص، فقال: قصوا في المسجد الحرام.

قال: وهو جالس إلى أسطوانة.

قال: فكان خامسهم عمر بن ذر [\(1\)](#) وأما سيطرتهم على عقول الناس، فذلك أوضح من الشمس، وألين من الأمس، ويوضح ذلك كثير من الحالات والقضايا التي حصلت لبعض المعروفين، الذين كانوا يرفضون طريقتهم، وينظرون إليهم بعين الريب والشنان.

ولكن كانت كلماتهم تجذبهم، وأحاديثهم تسحرهم، رغم علمهم بكونها موضوعة و مكذوبة.

ومن غريب ما يذكر هنا: أن أم الإمام أبي حنيفة لا تقبل بفتوى ولدها، ولكنها ترضى بقول قاص يقال له: زرعة [\(2\)](#).
كما أن أحد الكبار المعروفين يحتاج لبعض الأمور بقول أحد القصاصيين من مسلمة أهل الكتاب، وهو تميم الداري [\(3\)](#).
و حين حاول الشعبي أن ينكر على أحد القصاصيين في بلاد الشام ما يأتي به من ترهات، قامت عليه العامة تضربه، ولم يتركه أتباع ذلك القاص، حتى قال برأي شيخهم نجا بن نفسه [\(4\)](#).

ص: 147

1- المصدر السابق ص 32

2- القصاص والمذكرين ص 90 و تاريخ بغداد ج 3 ص 366

3- عيون الأخبار لابن قتيبة ج 1 ص 297

4- السنة قبل التدوين ص 211 عن تميز المرفع عن الموضوع ص 16 بـ. والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

بل لقد بلغ الاحترام والتقديس لمجلس القصاص و القصاصين أن تخيل البعض:

أن الكلام أثناء القصاص لا يجوز، كما لا يجوز الكلام في خطبة الجمعة، حتى أعلمه عطاء: أن الكلام أثناء القصاص لا يضر [\(1\)](#).

وقال مالك: «.. . وليس على الناس أن يستقبلوهم كالخطيب» [\(2\)](#).

القصاصون على حقيقتهم:

إنه وإن كان كثير من الأعيان والمعروفين كانوا يحضرون مجالس القصاصين، ويستمعون إليهم [\(3\)](#)، وقد استمر ذلك إلى وقت متاخر نسبيا، إلا أن أمراهم قد افتضحك، وظهر لأكثر الناس ما كان خافيا.

وبدأ الناس يجهرون بالحقيقة، ويصرحون بها، ونحن نذكر هنا بعضا من ذلك ليتضح الأمر، ويسفر الصبح لذي عينين، فنقول:

1- قال أبو قلابة: «ما أمة العلم إلا القصاص، يجلس الرجل إلى القاص السنة فلا يتعلم منه شيئا» [\(4\)](#).

ص: 148

1- المصنف للصنعاني ج 3 ص 388.

2- الحوادث والبدع، لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطoshi ص 99 ط تونس سنة 1959 م.

3- راجع: القصاص والمذكرين وغيره.

4- ربيع الأبرار ج 3 ص 588 والقصاص والمذكرين ص 107 وراجع ص 108 وأضواء على السنة المحمدية ص 124.

و قريب من ذلك ما عن أيوب السختياني [\(1\)](#).

2- لقد ذكر أحد الصحابة لواحد من القصاصين: أن ظهور القصاص كان هو السبب في ترك الناس لسنة نبيهم، وقطع أرحامهم [\(2\)](#).

3- عن أحمد بن حنبل: أكذب الناس السؤال، والقصاص [\(3\)](#).

4- قال محمد بن كثير عن القصاص: أكذب الخلق على أنبيائه [\(4\)](#).

5- وصرح البعض: أن السبب في انتشار الإسرائييليات في كتب التاريخ والتفسير هم القصاصون [\(5\)](#).

6- وقال إبراهيم الحربي: «الحمد لله الذي لم يجعلنا ممن يذهب إلى قاص، ولا إلى بيعة، ولا إلى كنيسة» [\(6\)](#).

7- وقال ابن قتيبة: «إن القصاص على قديم الزمان كانوا يمليون وجوه العامة إليهم، ويستدركون ما عندهم بالمناكير، والغريب، والأكاذيب من الحديث» [\(7\)](#).

ص: 149

1- السنة قبل التدوين ص 213 عن الجامع لأداب الراوي وأخلاق السامع ص 147.

2- راجع: مختصر تاريخ دمشق ج 10 ص 202 ومجمع الزوائد ج 1 ص 189 وغير ذلك.

3- القصاص والمذكرين ص 83 وراجع: طبقات الحنابلة ج 1 ص 253 وعن قوت القلوب ج 2 ص 308. والحوادث والبدع ص 102.

4- القصاص والمذكرين ص 84 وراجع: تحذير الخواص ص 80.

5- تاريخ المذاهب الإسلامية ج 1 ص 15.

6- القصاص والمذكرين ص 109.

7- تأويل مختلف الحديث ص 355-357.

8- ويقول آخر: «كانوا يضعون الأحاديث في قصصهم قصداً للتكتسب والارتزاق، وتقرباً للعامة بغرائب الروايات، ولهم في هذا غرائب وعجبات، وصفاقة وجد لا توصف» [\(1\)](#).

9- وعن أيوب: ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص [\(2\)](#).

10- ولما قص إبراهيم الحربي أخرجه أبوه [\(3\)](#).

مع تفاصيل أخرى:

ولا يقتصر الأمر على ما ذكر، فإنهم يقولون عن القصاصين أيضاً:

1- ما هم إلا غوغاء يستأكلون أموال الناس بالكلام [\(4\)](#).

2- إنهم لا يحفظون الحديث [\(5\)](#).

3- إنهم ينسبون ما يسمعونه من الناس إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، ويختلطون الأحاديث بعضها ببعض، ويتصنعون البكاء، والرعدة. ومنهم من يصرف وجهه ببعض الأدوية، وبعضهم يمسك معه ما إذا شمه سال دمعه، ويظهرون بالصعق، ويعملون على استمال النساء، وغير ذلك [\(6\)](#).

ص: 150

1- الباعث الحيث ص 85.

2- القصاص والمذكرين ص 85.

3- القصاص والمذكرين ص 107.

4- ربيع الأبرار ج 3 ص 589.

5- القصاص والمذكرين ص 62-63.

6- راجع: القصاص والمذكرين ص 78 و 79 مما بعدها إلى آخر الباب.

4- وقد أحدثوا وضع الأخبار [\(1\)](#).

5- وعامة ما يحدث به القصاص كذب [\(2\)](#).

و حسبك من جرائمهم على الحق وعلى الدين:

1- أن قصة الغرانيق من صنعتهم [\(3\)](#).

2- و منهم من روى: أن يوسف حل تكته، فلاح له أبوه [\(4\)](#).

3- وأن قصة داود وأوريا من وضعهم [\(5\)](#).

4- وأن قراءة القرآن بالإلحان قد جاءت من قبلهم [\(6\)](#).

5- و وضع بعضهم في ساعة واحدة أحاديث كثيرة حول فضل صيام يوم عاشوراء، حسب اعترافه [\(7\)](#).

إلى غير ذلك مما لا مجال لتبعه واستقصائه.

موقف علي عليه السلام من القصاصين:

أما بالنسبة لموقف علي «عليه السلام» المتشدد جداً من القصاصيين، الذين كان منهم شخصيات مشهورة، و ذات قيمة لدى بعض الفئات،

ص: 151

1- القصاص والمذكرين ص 18.

2- المصدر السابق ص 19.

3- القصاص والمذكرين ص 85.

4- المصدر السابق.

5- المصدر السابق.

6- المصدر السابق ص 96 و 97.

7- المصدر السابق ص 84.

فلسوف يأتي الحديث عنه إن شاء الله في فصل: «لا بد من إمام» .

ونكتفي هنا بالإشارة إلى موقف السائرين على نهج أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ، وذلك في الفقرة التالية.

السائرون على نهج علي عليه السلام:

إننا إنصافاً للحقيقة وللتاريخ نسجل: أن المواقف السلبية من القصاصيين لمن عدا شيعة أهل البيت «عليهم السلام» قد جاءت متأخرة نسبياً عن موقف أتباع مدرسة أهل البيت «عليهم السلام» ، الذين كانوا يسجلون إنكارهم وإدانتهم لهذا الاتجاه في صور ومستويات مختلفة.

وقد تجد ذلك قد ورد على صورة نصائح ربما جاءت خافته إلى حد ما، وذلك انسجاماً مع مقتضيات الواقع الذي كان يفرض قدرًا من التحاشي عن العبر بما يخالف سياسات الحكم، ولو بهذا المستوى الضعيف والضئيل.

ولا نريد هنا أن نسبر أغوار التاريخ لنلقي الدلائل والشواهد الكثيرة والغزيرة من هنا وهناك، بل نكتفي بذكر نماذج تشير إلى ذلك، وهي التالية:

1- روى مسلم بسنده عن عاصم قال: «كنا نأتي أبا عبد الرحمن السلمي - ونحن غلمة أيفاع - فكان يقول لنا: لا تجالسو القصاص غير أبي الأحوص، وإياكم وشقيقاً. وكان شقيق هذا يرى رأي الخوارج، وليس بأبي وائل» [\(1\)](#).

ص: 152

1- صحيح مسلم ج 1 ص 15 والقصاص والمذكرين ص 107.

2- عن عبد الله بن خباب بن الأرت قال: مربى أبي، وأنا عند رجل يقص، فلم يقل لي شيئاً حتى أتيت البيت. فاتزر، وأخذ السوط يضربني، حتى حجره الزنو، وهو يقول: أمع العمالقة؟ ! أمع العمالقة؟ ! ثلاثا. إن هذا قرن قد طلع، إن هذا قرن قد طلع، يقولها ثلاثة (1).

3- بل إن ابن مسعود الذي يقال: إنه يميل إلى علي «عليه السلام» ، رغم أننا نجد: أنه كان يتأثر خطى عمر بن الخطاب بصورة ملفتة وواضحة، قد سجل أيضاً إدانته للقصاص من أهل الكتاب (2)، مما ظنك بغيره من أهل العلم والمعرفة بالدين؟ !

4- ونقدم قول أبي قلابة: ما أمات العلم إلا القصاص، وإن الرجل يجلس إلى القاص السنة، فلا يتعلم منه شيئاً.

5- ونقدم أيضاً قول أحد الصحابة: إن القصاص هم السبب في ترك الناس لسنة نبيهم، وقطيعة أرحامهم. إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه.

ص: 153

1- القصاص والمذكرين ص 104 و خباب صحابي معروف، وقد مات «رحمه الله» وعلي «عليه السلام» في صفين.

2- مجمع الروايد ج 1 ص 189.

اشاره

الفصل الأول: بين الدوافع والأهداف والآثار و النتائج

الفصل الثاني: لا بد من إمام

الفصل الثالث: إجراءات وضوابط مشبوهة

الفصل الرابع: الضوابط العلمية للمبني العلمي

ص: 155

وقد استمر المنع من كتابة الحديث وروايته عشرات السنين، وأصبح التحاشي عنه هو الصفة المميزة لعلماء الأمة وطليعتها المثقفة.

بل لقد صارت كتابة الحديث عيباً أيضاً، حتى في أوائل عهدبني مروان [\(1\)](#).

ومضت السنون والأحقاب، ومات الصحابة الأخيار، بل أوشك التابعون على الانقراض أيضاً.

ونشأت أجيال وأجيال لم تسمع أحداً يذكر شيئاً عن نبيها، ولا عن مواقفه، وتعاليمه، وسيرته ومفاهيمه.

وتربت هذه الأجيال على النهج الفكري الذي أراده لها الحكماء والمسلطون، والموتورون والحاقدون، وتلامذة أهل الكتاب، المعجبون بهم. وذهب الدين وتلاشى، حتى لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين

ص: 159

1- راجع: تقيد العلم ص 114 و 110 و راجع سنن الدارمي ج 1 ص 126 وعن المحدث الفاضل ج 4 ص 23 و جامع بيان العلم ص 73. كان حكم بنى مروان بعد حكم آل أبي سفيان، الذي انتهى بمعاوية بن يزيد.

إلا رسمه، حسبما روی عن أمیر المؤمنین علی علیه الصلاة والسلام (1)، الذي لم يعش إلا إلى سنة أربعين من الهجرة.

ثم ازداد البلاء بعد ذلك، وبرح الخفاء إلى حد الفضيحة، فاضطر عمر بن عبد العزيز إلى القيام بعمل رمزي ضعيف وضئيل، لم يكن له أي أثر يذكر على الصعيد العملي، على مستوى الأجيال والأمة.

ثم بدأت الحركة الحقيقة باتجاه التدوين في أواسط القرن الثاني للهجرة، حسبما تقدم توضيحه.

و خلاصة الأمر: أن الحال قد تردد خلال أقل من ثلاثين سنة من وفاة النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى ذلك الحد الذي أشار إليه سيد الوصيين «عليه السلام» .

وطمست معظم معالم الدين، ومحقت أحكام الشريعة، كما أكدته نصوص كثيرة (2).

وكان ذلك في حين أن الصحابة وعلماءهم كانوا لا يزالون على قيد الحياة، وكان الناس ينقادون إلى الدين وأحكامه، ويطعون رموزه وأعلامه.

فكيف ترى أصبحت الحال بعد أن فتحت الفتوح، ومصررت

ص: 160

1- راجع: نهج البلاغة الحكمة رقم 369 والحكمة رقم 190.

2- راجع: المصنف للصوني ج 2 ص 63 ومسند أبي عوانة ج 2 ص 105 والبحر الزخار ج 2 ص 254. وكشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 260 ومسند أحمد ج 4 ص 428 و 432 و 441 و 444 و مروج الذهب ج 3 ص 85 و الغدير ج 8 ص 166 و مکاتب الرسول ج 1 ص 62.

الأمصال، ودخلت أقطار كثيرة أو أظهرت الدخول في الإسلام، تحت وطأة الفتوحات، التي قامت بها السلطة الحاكمة آنذاك؟

وكان أن تضخم الحالة السكانية، واتسعت رقعة العالم الإسلامي، في فترة قصيرة جداً، وبسرعة هائلة.

لقد كان من الطبيعي: أن يأخذ هؤلاء الوافدون جديداً على الإسلام ثقافتهم الدينية من الناس الذين التقوا بهم، وعاشوا معهم، أو تحت سلطتهم وهيمنتهم.

فإذا كان هؤلاء ضائعين، جاهلين بأحكام الشريعة، وبحقائق الدين، فما ظنك بالتبعين لهم والأخذين عنهم؟ فإنهم سوف لا يأخذون عنهم إلا ثمرات ذلك الجهل، وأثار ذلك الضياع.

نصوص و شواهد:

ومن الشواهد على هول ما حديث: أنتا تقرأ عن عدد من الصحابة وغيرهم: أنهم قد تنبهوا للمسألة، وعبروا عنها بأنحاء مختلفة.

ونذكر من ذلك هنا النصوص التالية: 1- قد تقدم قول أمير المؤمنين «عليه السلام» : لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و من الدين إلا رسمه.

2- روى الإمام مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال: «ما أعرف شيئاً مما أدركت الناس عليه إلا النداء بالصلوة» [\(1\)](#).

ص: 161

1- الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج 1 ص 93 و جامع بيان العلم ج 2 ص 244.

قال الزرقاني، والباجي: «يريد الصحابة، وأن الأذان باق على ما كان عليه، ولم يدخله تغيير، ولا تبديل، بخلاف الصلاة، فقد أخرت عن أوقاتها، وسائر الأفعال دخلها التغيير الخ..» [\(1\)](#)

3-أخرج الشافعی من طريق وهب بن كيسان، قال: رأيت ابن الزبیر يبدأ بالصلاۃ قبل الخطبة، ثم قال: «کل سنن رسول الله «صلی الله علیه وآلہ» قد غیرت، حتى الصلاۃ» [\(2\)](#).

4-يقول الزهری: دخلنا على أنس بن مالک بدمشق، وهو وحده يبكي، قلت: ما يبكيك؟!

قال: «لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وقد ضيّعت» [\(3\)](#).

5-وقال الحسن البصري: «لو خرج عليكم أصحاب رسول الله «صلی الله علیه وآلہ» ما عرفوا منكم إلا قبلتكم» [\(4\)](#).

ونقول: حتى القبلة قد غيرت، وجعلوها إلى بيت المقدس، حيث الصخرة قبلة اليهود، كما تقدم في الفصل الأول من هذا الكتاب.

6-وقال أبو الدرداء: «و الله لا أعرف فيهم من أمر محمد «صلی الله

ص: 162

1- شرح الموطأ للزرقاني ج 1 ص 221 و تنویر الحوالک ج 1 ص 93-94 عن الباجي.

2- كتاب الأم للشافعی ج 1 ص 208 و الغدیر ج 8 ص 166 عنه.

3- جامع بيان العلم ج 2 ص 244 و راجع المصادر التالية: ضحى الإسلام ج 1 ص 365 و الجامع الصحيح ج 4 ص 632 و الزهد والرقة ص 31 وفي هامشه عن طبقات ابن سعد ترجمة أنس، وعن الترمذی، وعن البخاری ج 1 ص 141.

4- جامع بيان العلم ج 2 ص 244.

عليه وآلـهـ» شيئاً إلاـ أنـهـمـ يصلـونـ جـمـيـعاـ» [\(1\)](#).

7- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أنه قال: «لو أن رجلىن من أوائل هذه الأمة خلوا بمصحفيهما في بعض هذه الأودية، لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كان عليه» [\(2\)](#).

و عن الإمام الصادق «عليه السلام» - وقد ذكرت هذه الأهواء عنده - فقال: «لا والله، ما هم على شيء مما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآلـهـ» إلاـ استقبالـ الكـعبـةـ فقطـ» [\(3\)](#).

8- و حينما صلـى عمرـانـ بنـ حـصـينـ خـلـفـ عـلـيـ «عليـهـ السـلامـ» أـخـذـ يـدـ مـطـرـفـ بـنـ عـبـدـ اللهـ، وـ قـالـ: لـقـدـ صـلـىـ صـلـةـ مـحـمـدـ، وـ لـقـدـ ذـكـرـنـيـ صـلـةـ مـحـمـدـ.

وكذلك قال أبو موسى حينما صلـى خـلـفـ عـلـيـ «عليـهـ السـلامـ» [\(4\)](#).

ص: 163

1- مسنـدـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ جـ 6ـ صـ 244ـ .

2- الـزـهـدـ وـ الرـقـائـقـ صـ 61ـ .

3- الـبـحـارـ جـ 68ـ صـ 91ـ وـ قـصـارـ الـجـمـلـ جـ 1ـ صـ 366ـ .

4- راجـعـ: أـنـسـابـ الـأـشـرـافـ جـ 2ـ صـ 180ـ طـ الـأـعـلـمـيـ وـ سـنـنـ الـبـيـهـقـيـ جـ 2ـ صـ 68ـ وـ كـنـزـ الـعـمـالـ جـ 8ـ صـ 143ـ عـنـ عـبـدـ الرـزـاقـ وـ اـبـنـ أـبـيـ شـيـةـ وـ الـمـصـنـفـ لـلـصـنـعـانـيـ جـ 2ـ صـ 63ـ وـ مـسـنـدـ أـبـيـ عـوـانـةـ جـ 2ـ صـ 105ـ وـ مـسـنـدـ أـحـمـدـ جـ 4ـ صـ 428ـ وـ 429ـ وـ 441ـ وـ 444ـ وـ 400ـ وـ 415ـ وـ 392ـ فـيـ مـوـضـعـيـنـ وـ 432ـ وـ الـغـدـيرـ جـ 10ـ صـ 202ـ وـ 203ـ وـ كـشـفـ الـأـسـتـارـ عـنـ مـسـنـدـ الـبـزارـ جـ 1ـ صـ 260ـ وـ الـبـحـرـ الـزـخـارـ جـ 2ـ صـ 254ـ . وـ عـنـ الـمـصـادـرـ التـالـيـةـ: صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ جـ 2ـ صـ 209ـ وـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ جـ 1ـ صـ 295ـ وـ سـنـنـ النـسـائـيـ جـ 1ـ صـ 164ـ وـ سـنـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ جـ 5ـ صـ 84ـ وـ سـنـنـ اـبـنـ مـاجـةـ جـ 1ـ صـ 296ـ وـ فـتـحـ الـبـارـيـ جـ 2ـ صـ 209ـ وـ الـمـصـنـفـ لـابـنـ أـبـيـ شـيـةـ جـ 1ـ صـ 241ـ .

الهاشميون في زمن السجاد:

9- وأخيراً، فقد ذكروا: أن الناس والهاشميين في زمن السجاد «عليه السلام» إلى أن مضت سبع سنين من إمامية الباقي «عليه السلام» كانوا لا يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يبحرون [\(1\)](#).

فإذا كانت الصلاة التي هي عمود الدين، والركن الأعظم في الإسلام، ويؤديها كل مسلم خمس مرات يومياً، كان لا يعرف حدودها وأحكامها حتى بعض من هم أقرب الناس إلى مهبط الوحي والتزييل، الذين يفترض فيهم أن يكونوا أعرف من كل أحد بالشريعة وأحكام الدين!، فكيف تكون حالة غيرهم من أبناء الأمة، الذين هم أبعد عن مصدر العلم والمعرفة، وما هو مدى اطلاعهم على أحكام الشريعة يا ترى؟!

وإذا كانت أوضاع الواضحة قد أصبحت مجهولة إلى هذا الحد، فما هو مدى معرفة الناس، وبالأخص البعيدين منهم عن مصدر العلم والمعرفة، بالأحكام الأخرى، التي يقل الابلاء بها، و التعرض لها، و السؤال عنها؟!

لامبالغة ولا تهويل:

وقد يظن القارئ: أننا نبالغ في تصويرنا لحقيقة ما تم خضته عنه تلك السياسة الخبيثة تجاه حديث الرسول «صلى الله عليه وآله»، وتجاه القرآن والإسلام.

وقد يظن مثل ذلك بالنسبة للأقوال الآثمة الذكر التي تقرر: أنه لم يبق

ص: 164

1- كشف النقاب عن حجية الإجماع ص 67.

من الإسلام إلا اسمه، و من الدين إلا رسمه.

أولم يبق إلا الأذان بالصلاه، أو أن صلاة النبي (صلى الله عليه و آله) أصبحت منسية حتى من قبل صحابته (صلى الله عليه و آله)، حتى ذكرهم بها علي أمير المؤمنين «عليه السلام» . . إلى آخر ما قدمناه.

ولكننا نأسف حين نقول للقارئ: إن هذه هي الحقيقة، كل الحقيقة، وليس فيها أي مبالغة، أو تضخيم.

و من أجل التأكيد على ما سبق نورد للقارئ بعض الشواهد والمواقع لتكون دليلا ملماسا على ما نقول، مع التزامنا القوي في أن لا نذكر شيئا من تلك الشواهد الكثيرة والمتضاده على جهل الخلفاء-باستثناء علي «عليه السلام» - بأحكام شرعية هي من أبده البديهيات، وأوضح الواضحات؛ لأننا نخاف أن توجه إلينا أصابع الاتهام بالتعصب على هذا أو ذاك، و يارادة تسجيل إدانة لهم من موقع التحامل المذهبى عليهم.

مع أننا نطمئن القارئ الكريم بأن العلامة الأميني رحمه الله، قد أغنانا في كتابه القيم «الغدیر» عن ذلك، لأنه حشد فيه من الواقع و الشواهد على ذلك الشيء الكثير، و الكثير جدا، عن مصادر بالغة الكثرة و الوثاقة لدى من يتولونهم، و يدافعون عنهم بكل حيلة و وسيلة.

فضائح لا تطاق:

و الشواهد التي نريد أن نوردها هنا، و تصل إلى حد الفضيحة، هي التالية:

1- يقول ابن عباس لأهل البصرة، و هو على المنبر: أخرجوا صدقة صومكم. فلم يفهم الناس مراده؛ فطلب أن يقوم من كان من أهل المدينة حاضرا بتوضيح

ذلك للناس؛ «فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ زَكَاةِ الْفُطْرَةِ مَا يُحِلُّ»[\(1\)](#).

كان هذا هو حال البصرة، التي مصّرت في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فإن أهلها لا يفهمون حتى لغة الشريعة، ولم يعرفوا عن زكاة الفطرة شيئاً، رغم أن من المفترض أن يكون ذلك من البديهيات، فما ظنك بعد هذا بأولئك الذين تفتح بلادهم، ويعلنون إسلامهم، وهم عشرات الألوف، وليس لديهم من يعلمهم، ولا من يدّهم ويرشدهم؟

وقد كانت لا تزال تضاف إلى الممالك الإسلامية مناطق واسعة، وبلاد شاسعة، مملوءة بالسكان، دون أن يتصدى لتعليمهم وتشييفهم أحد من الناس.

2- وقد كان جيش بأكمله من هؤلاء الفاتحين للبلاد، والمفترض أنهم هم حملة الإسلام إلى سائر الأمم التي تخضع لهم، وتقبل ببساط سلطتهم- إن هذا الجيش- لم يكن فيه أحد يعرف: أن الموضوع على من أحدث، حتى بعث قائدتهم، أبو موسى الأشعري من ينادي فيهم بذلك [\(2\)](#).

مع أن أمر الموضوع من أوضح الواضحات، ويمارسه كل أحد كل يوم عدة مرات.

إذا كان هؤلاء يجهلون ذلك، فما ظنك بالناس الذين يفترض فيهم أن يأخذوا أحكام دينهم وعباداتهم من هؤلاء الجهلة بالذات، وهم المعلمون والأساتذة، والمربون لهم؟ !!

ص: 166

1- الإحکام فی أصول الأحکام ج 2 ص 131.

2- حیاة الصحابة ج 1 ص 505 عن کنز العمال ج 5 ص 114 وعن معانی الآثار للطحاوي ج 1 ص 27.

3-لقد أشار الخليفة الثاني إلى أن الناس كانوا يعرفون جهل كبار الصحابة بأحكام الربا، فهو يقول:

«إنكم تزعمون: آننا لا نعلم أحكام الربا. ولأن أكون أعلمها أحب إلي من أن يكون لي مثل مصر، وكورها» [\(1\)](#).

4-كما أن ابن مسعود لم يكن يدرى: أن صرف الفضة بالفضة لا يصلح إلا مثلا بمثل [\(2\)](#).

5-وأنكر معاوية أيضاً: أن يكون ذلك من الربا [\(3\)](#).

ونقول: إنه إذا كان الصحابة، حتى الخليفة الثاني و معاوية، و حتى ابن مسعود المشهور بعلمه و فضله، لا يدرؤن ذلك، فما حال غيرهم من سائر الناس، فضلا عن أولئك الذين لم يروا النبي ﷺ ولا عاشوا معه، بل سمعوا باسمه، لا أكثر ولا أقل؟ !.

6-لقد شكا أهل الكوفة إلى عمر، سعد بن أبي وقاص: أنه لا يحسن يصلبي [\(4\)](#).

ص: 167

1- المصنف للصنعاني ج 8 ص 26 و السنن الكبرى ج 3 ص 23.

2- راجع: المصنف للصنعاني ج 8 ص 123 و 124 و السنن الكبرى ج 5 ص 282، و مجمع الزوائد ج 4 ص 116.

3- المصنف للصنعاني ج 8 ص 34 و السنن الكبرى ج 5 ص 282 و 277 و 276 و عن صحيح مسلم ج 2 ص 25 و 52.

4- سيأتي ذلك مع مصادره في غزوة أحد.

7- إن ابن عمر لا يحسن أن يطلق امرأة، حيث طلقها ثلاثة في طهر كان واقعها فيه، فاستحemoه لأجل ذلك [\(1\)](#).

8- إن ابن مسعود قد أفتى رجلاً في الكوفة بجواز أن يتزوج أم زوجته التي طلقها قبل الدخول، ففعل ذلك، وبعد أن ولدت له أم زوجته ثلاثة أولاد، وعاد ابن مسعود إلى المدينة، وسأل عن هذه المسألة، فأخبروه بعدم جواز ذلك، فعاد إلى الكوفة، وأمر ذلك الرجل بفارق تلك المرأة، بعد كل ما حصل [\(2\)](#).

كما أن مسروقاً و معاوياً كانوا لا يعرفان حكم هذه المسألة أيضاً [\(3\)](#).

9- إنهم إنما كانوا يعرفون قراءة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في صلاته؛ باضطراب لحيته [\(4\)](#).

ص: 168

1- راجع: صحيح مسلم ج 4 ص 181 و راجع ص 179 و 182 و الغدير ج 10 ص 39 و راجع: مسنـد أـحمد ج 2 ص 51 و 61 و 64 و 74 و 80 و 128 و 145 و عن صحيح البخاري ج 8 ص 76 و عن تاريخ الأمم والملوک ج 5 ص 34 و عن الكامل في التاريخ ج 3 ص 27 و عن الصواعق المحرقة ص 62 و عن فتح الباري ج 7 ص 54 و صحـحـه كل ذلك في الغـدـير.

2- راجع: المصنـف للـصـنـعـانـي ج 6 ص 273 و 274 و السـنـنـالـكـبـرـيـ ج 7 ص 159.

3- راجع: المصنـف ج 6 ص 274 و 275.

4- صحيح البخاري ج 1 ص 90 و 93 ط سنة 1309 هـ . و مسنـد أـحمد ج 5 ص 109 و 112 ، و السـنـنـالـكـبـرـيـ ج 2 ص 37 و 54 عن الصحيحين، و البحر الزخار ج 2 ص 247 و جواهر الأخبار والأثار (مطبوع بهامش البحر الزخار) ج 2 ص 247 عن أبي داود و الترمذـيـ، و الـاتـصـارـ، و النـسـائـيـ، و البـخـارـيـ.

10-لقد أفتى عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو [\(1\)](#): أن ماء البحر لا يجزي من وضوء ولا جنابة.

و قريب من هذا روى عن سعيد بن المسيب [\(2\)](#) وروي مثل ذلك عن أبي هريرة أيضا [\(3\)](#).

و مما يصحك التكالى:

هذا، وقد ذكر لنا الزبير بن بكار وغيره نموذجا مخجلا، يصحك حتى التكالى من خطب عدد من سادة القبائل [\(4\)](#)، ممن كان الخلفاء يولونهم أمور الناس في عنفوان الدولة الأموية. وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى الانحطاط الفكري الذي كان يهيمن على طبقة الرؤساء وأصحاب النفوذ آنئذ، فكيف يمكننا أن نتصور حالة سائر الناس ممن كانوا لا يملكون إمكانيات حتى الحصول على لقمة العيش، والاحتفاظ برمق الحياة؟

قال الزبير بن بكار: «شكا عبد الله بن عامر إلى زياد بن أبيه وهو كاتبه

ص: 169

1- راجع: المصنف للصنعاني ج 1 ص 93 والمغني لابن قدامة ج 1 ص 8 والشرح الكبير بها مشهود ج 1 ص 7 وراجع: تحفة الأحوذى ج 1 ص 231 ط دار الفكر، والخلاف ط جماعة المدرسین ج 1 ص 51 والمحلی ج 1 ص 221 ونيل الأوطار ج 1 ص 20 والجامع لأحكام القرآن ج 13 ص 53 وعن المصنف لابن أبي شيبة ج 1 ص 88.

2- راجع: الخلاف ج 1 ص 51 وتحفة الأحوذى ج 1 ص 231 ونيل الأوطار ج 1 ص 20.

3- نيل الأوطار ج 1 ص 20 والمحلی ج 1 ص 221 وتحفة الأحوذى ج 1 ص 231.

4- المواقفيات ص 203-205 وراجع: جمهرة خطب العرب ج 3 ص 355.

على العراق-الحضر على المنبر، فقال: أما إنك لو سمعت كلام غيرك في ذلك الموقف استكثرت ما يكون منك.

قال: فكيف أسمع ذاك؟

قال: رح يوم الجمعة وكن من المقصورة بالقرب حتى أسمعك خطب الناس.

فلما كان يوم الجمعة قال زياد: إن الأمير سهر البارحة فليس يمكنه الخروج إلى الصلاة.

والتفت إلى رجل من سادةبني تميم، فقال له: قم فاخطب، وصلّ بالناس.

فلما أوفى على ذروة المنبر قال: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أشهر.

قالوا: قبحك الله، جل ثناؤه يقول: في ستة أيام.

و تقول أنت: في ستة أشهر.

فنزل و التفت إلى شريف لربيعة، فقال له: قم فاخطب.

فلما ارتقى المنبر ضرب بطرفه، فوقع على جار له كان يخاصمه في حد بينهما.

قال: الحمد لله. و ارج عليه.

قال لجاره: أما بعد فإن نزلت إليك يا أصلع لأفعلن بك، ولا أفعلن.

فأنزلوه. فالتفت إلى رئيس من رؤساء الأزد، فقال له: انهض فأقم للناس صلاتهم، فلما تسنم المنبر قال: الحمد لله، ولم يدر ما يقول بعد ذلك،

قال: أيها الناس، قد والله هممت أن لا أحضر اليوم، فقالت لي امرأتي: أنسدتك بالله إن تركت فضل الصلاة في المسجد يوم الجمعة، فأطعتها، فووقة هذا الموقف الذي ترون. فاشهدوا جميعاً أنها طالق.

فأنزلوه إنزالاً عنيفاً. وأرسل زياد إلى عبد الله بن عامر، أنه ليس أحد يقيم صلاتهم، ولا بد أن تحمل على نفسك. فخرج خطيب فتبين فضله في الناس على سائر الناس [\(1\)](#).

التركة الموروثة:

أما بالنسبة إلى حجم التركة التي ورثها الناس عن سلفهم الصالح (على حد تعبيرهم) فقد أدعوا: أنه قد وصل إليهم من حديث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» -من غير طريق أهل البيت «عليهم السلام» -نذر قليل، لا يتاسب مع الحاجات التي تواجه الناس، ولا تتوافق مع هذا التراث الضخم جداً، الذي سطره علماؤهم عبر القرون المتمادية، فهم يقولون:

1- إن حديث النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أربعة آلاف حديث [\(2\)](#).

2- عن أحمد بن حنبل: «الأصول التي يدور عليها العلم عن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ينبغي أن تكون ألفاً و مائتين» [\(3\)](#).

ص: 171

1- الأخبار الموقيات ص 203-204 ح 119.

2- علوم الحديث لابن الصلاح ص 367 و الباعث الحيث ص 85 و السنة قبل التدوين عن فتح المغيث ج 4 ص 39 و عن تلقيح فهوم أهل الآثار.

3- إرشاد الفحول ص 251.

3- لكن نصا آخر يقول: إنه لم يصل إلى الأمة سوى خمس مئة حديث في أصول الأحكام، و مثلها في أصول السنة [\(1\)](#).

ثم إنهم يقولون: إن هذا الوالصل لم يصح منه عندهم إلا أقل القليل، حيث قد بلغت رواية أبي حنيفة سبعة عشر حديثاً فقط.

أما مالك، فإنما صحيحة عنده ما في كتاب الموطأ، «وغايتها ثلاثة مئة حديث، أو نحوها» [\(2\)](#).

فمن أين إذن جاءت هذه الآلاف المؤلفة من الأحاديث التي وصفوها بالثبوت والصحة، فملايين صحيح البخاري و مسلم، و مستدركة الحاكم، وبباقي الصحاح ست، و صحيح ابن حبان، و صحيح أبي عوانة. وغير ذلك كثير؟

هذا فضلاً عن غيرها من مئات الآلاف بل الملايين من الأحاديث التي يزعم حفاظ الحديث أنها عندهم.

بل إن أحمد بن حنبل الذي يقول ما قدمناه هو نفسه قد ألف المسند الذي يضم أربعين ألف حديث، منها عشرة آلاف مكررة [\(3\)](#).

ويزعمون: أنه ليس فيه حديث موضوع عدا ثلاثة أو أربعة أحاديث تكلموا فيها. بل لا يتأنى الحكم بكون واحد منها موضوعاً إلا الفرد النادر،

ص: 172

1- مناقب الشافعي ج 1 ص 419 وعن الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص 243.

2- المقدمة لابن خلدون ص 444 وأضواء على السنة المحمدية ص 388.

3- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 236.

مع الاهتمام القوي في دفع ذلك [\(1\)](#).

نعم، من أين جاءت هذه الأحاديث والروايات، إن ذلك لمريب حقا، وإنه أيضاً غريب وعجب!

نظريّة التطوّر عند أهل الحديث:

قد ظهر مما تقدم: أن الأحاديث التي كان قد بلغ تداولها إلى درجة الصفر أو كاد، قد بدأت بعد السماح للناس بالرواية، بعد عشرات السنين تظهر عليها أعراض التضخم المطرد بصورة غير طبيعية، وبدون أية ضابطة أو رابطة، إذ إن مراجعة جامعة لكتب تراجم الحفاظ وأهل الحديث، ومن يسمونهم بالفقهاء مثل تذكرة الحفاظ للذهبي [\(2\)](#) وغيره تعطينا أمرين:

أحد هما: أنها تعظم وتفخم وتخلع مختلف الألفاظ الدالة على الحفظ والعلم، والتبحر على أشخاص كثيرين، بل تصف بعضهم بأنه وحيد في مصره أو في عصره.

ثـم يظهر: أنه إنما كان يحفظ ثلث منه حديث، أو لم يثبت لديه سوى سبعة عشر حديثا، أو لا يعرف أنه يحرم الزواج بأم الزوجة، أو ما إلى ذلك مما ألمحنا إليه.

ص: 173

1- راجع: تعجيل المنفعة ب الرجال الأربعـة ص 6 . وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 37 عنه . والقول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، لابن حجر العسقلاني . و ذيل القول المسدد للمدراسي .

2- شرف أصحاب الحديث ص 115 و فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة لعبد الجبار ص 193 .

الثاني: إن ملاحظة طبقات الحفاظ تعطينا تدرجاً ملفتاً للنظر في حجم الأحاديث، فنجد أن طبقة كبيرة في الصدر الأول يوصف الحفاظ منها بأن عنده ثلاثون أو ستون حديثاً، أو مئة أو عشرة أحاديث، أو مئتا حديث، ونحو ذلك.

ثم إذا نقدم الزمان قليلاً، يتراوح العدد ليتراوح بين الألف والألفين والثلاثة والخمسة، ونحو ذلك. ثم في فترة لاحقة يتراوح العدد إلى بعض عشرات: عشرين ألفاً، ثلاثين.. وهكذا.

ثم تأتي فترة فتصل فيها الأعداد إلى مئة ألف أو مئتين أو ثلاثة مائة،

ثم يقف العدد إلى الست والسبعين مائة، وإلى المليون حديث، وأكثر من ذلك حتى ليفوز بعضهم مثل شعبية بلقب أمير المؤمنين في الحديث [\(1\)](#).

ولَا ننسى هنا: أن نستشهد لهذا الذي ذكرناه بالمقارنة التالية:

في حين نجد: أن القاضي عبد الجبار يصرح: بأن أحاديث التجسيم والتшибيه من أخبار الآحاد [\(2\)](#).
وأن أحمد بن حنبل قد قال: إن بعض أهل الحديث أخبره: أن يحيى بن صالح (المتوفى سنة 222هـ) [\(3\)](#) قال: «لو ترك أصحاب الحديث عشرة أحاديث، يعني هذه التي في الرؤبة».

ص: 174

1- راجع: الباعث للحديث ص 186 و 187.

2- فضل الاعتزال، وطبقات المعتزلة ص 193 و 158.

3- راجع: سير أعلام النبلاء ج 1 ص 456 والتاريخ الكبير ج 8 ص 282 وتهذيب التهذيب ج 11 ص 230.

ثم قال أَحْمَدُ: «كَأَنَّهُ نَزَعَ إِلَى رَأْيِ جَهَنَّمَ» [\(1\)](#).

فيحبي بن صالح الذي يروي له البخاري، وأصحاب الصحاح الست سوى النسائي [\(2\)](#) يريد أن يقول: إن الاعتقاد برؤية الله قائم على عشرة أحاديث فقط.

بل صرخ بعضهم: بأن أخبار الرؤية لا تزيد على ثمانية أحاديث [\(3\)](#).

ولكننا بعد حوالي نصف قرن من الزمن نجد ابن خزيمة الذي يصفونه بأنه «إمام الأئمة» يؤلف كتاباً بعنوان «التوحيد و إثبات صفات الرب» يبلغ عدد صفحاته حوالي أربع مئة صفحة، قد شحنه بأحاديث التجسيم، وأحاديث الرؤية من أوله إلى آخره، وفيه الكثير مما يدل على أن لله تعالى يداً، ورجلًا، وعيناً، وإصبعاً، وساقاً . . . الخ. . تعالى الله عما يقوله الجاهلون والمبطلون علواً كبيراً.

فمن أين جاءت هذه الأحاديث؟

وكيف و متى لفقت و اخترعت؟ !

لا ندري، غير أننا وجدنا الإمام الشافعي ينقل عن القاضي أبي يوسف، الذي عاش في أواخر القرن الثاني قوله: «و الرواية تزداد كثرة،

ص: 175

1- سير أعلام النبلاء ج 10 ص 455 والعلل و معرفة الرجال ج 1 ص 187 و تهذيب التهذيب ج 11 ص 230 و الضعفاء الكبير للعقيلي ج 4 ص 408 و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 408.

2- راجع: مقدمة فتح الباري ص 452 و تهذيب التهذيب ج 11 ص 229.

3- المغني للقاضي عبد الجبار ج 4 ص 228 و ص 225 و ص 235 و ص 233.

ويخرج منها ما لا يعرف، ولا يعرفه أهل الفقه، ولا يوافق الكتاب ولا السنة»[\(1\)](#).

وذلك يفسر لنا العديد من الظواهر الأخرى الملفتة للنظر، مما سنشير إلى بعض منه فيما يلي من مطالب.

الوضع والوضعون:

وبعد ما تقدم، فإننا سوف لن نن saja إذا سمعناهم يحكمون على 12 أو 14 أو 35 ألف حديث، بل على مئات الآلاف من الأحاديث بالكذب والوضع والاختلاق؛ وكثير من هذا المختلق والموضوع قد جاء لأهداف مختلفة، ومنها: لإرضاء الملوك وتأييد سلطانهم، وتحقيق أهدافهم وماربهم⁽²⁾.

وقد ذكر العلامة الأميني في كتابه الغدير ج 5 ص 288-290 قائمة بالموضوعات بلغت 408684 حديثاً فراجع.

وحتى تلك الأحاديث التي سكتوا عنها أو حكموا بصحتها، وهي

ص: 176

1- الأُم لِلشافعِي ج 7 ص 308

2- راجع: على سبيل المثال التراتيب الإدارية ج 2 ص 208 والكافية في علم الرواية ص 431 وراجع: المجرحون ج 1 ص 156 و 185 و 155 و 142 و 96 و 63 و 65 حول وضع الحديث للملوك. وراجع: الباعث الحيث ص 84 وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 32 و 33 ولسان الميزان ج 3 ص 405 وج 5 ص 228 و الفوائد المجموعة ص 426 و 427 وأي كتاب يتحدث عن الموضوعات في الأخبار والآثار مثل الالائى المصنوعة للسيوطي، والأسرار المرفوعة لشوكاني وال الموضوعات للفتني، وغير ذلك.

تعد بعشرات الألوف و الملايين [\(1\)](#)، وقد زخرت بها كتب صحاحهم و مجاميعهم الحديثية، فإنها تصبح موضع شك و ريب، بل إننا لنطمئن لعدم صحة الكثير منها، من الأساس.

الحاجة أم الضراع:

وبعد، فإذا كان كبار الصحابة، و ابن مسعود لا يعرفون أحكام الربا، و ابن عمر لا يعرف كيف يطلق أمرأته، و جيش بأكمله لا يعرف أن الوضوء على من أحده إلى آخر ما تقدم.

فإن من الطبيعي: أن يرى الناس في من يدعى أنه يحفظ ثلاثين أو أربعين حديثا، أو مئة أو مائتي حديث، أو عرف بعض الأحكام عن رسول الله «صلى الله عليه و آله» : أنه أعلم العلماء، وأفقه الفقهاء في عصره، أو في مصره، أو بلده.

وأن يصبح هو الملاذ والمرجع والموئل لهم فيما ينوبهم من أمور دينهم. و يتلمذون عليه، و يأخذون عنه أحكامهم، و شريعة نبيهم، كما يظهر جليا من مراجعة كتب التراجم و الرجال، التي تمثل التيار العام لبعض الفئات، التي كانت تتسمج مع سياسات الحكم، و ترتبط بها بنحو أو آخر.

و من جهة أخرى؛ فإن هذا العالم الجليل !! إذا وجد نفسه في موقع

ص: 177

1- راجع على سبيل المثال: التراتيب الإدارية ج 2 ص 202-208 و الكني و الأنقاب ج 1 ص 407 و لسان الميزان ج 3 ص 414 و تذكرة الحفاظ ج 2 ص 641 و 430 و 1 ص 254 و 276 و هذا الكتاب مملوء بهذه الأرقام العالية و المخيفـة، فليراجعه طالب ذلك.

كهذا، وواجه الواقع، واحتاج إلى المزيد مما ليس عنده منه أثارة من علم، فلسوف يبحث عما يلبي له حاجته، ويوصله إلى بغيته، وأين؟ وآنى له أن يجد ذلك؟ إلا عند أناس،أخذ على نفسه (أو أخذ الحكم عليه وعلى الناس) : أن لا يتصلوا بهم، ولا يأخذوا شيئاً عنهم، وهم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة عليهم الصلاة والسلام.

فلا غرو بعد هذا إذا رأينا هذا الرجل الجليل يبادر إلى ما هو أسهل وأيسر، فيضيف من عند نفسه، وعلى حسابه الخاص ما شاءت له قريحته، وسمحت له به همته، حيث لا رقيب عليه ولا حسيب، ولا مانع من ضمير، ولا رادع من وجдан.

الفقه و الفقهاء :

أما بالنسبة إلى فقه الفقهاء، ومذاهب العلماء، فقد أصبح من المفهوم:

أن وراء الأكمة ما وراءها، حين نرى أن فقه أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وغيرهم يتسع ويتضخم، ويزيد ويتورم، حتى تصيق عنه المجلدات الكثيرة وآلاف الصفحات، مع ما نراه من استنادهم إلى المئات والألف من الروايات التي كانت تلك حالها، وذاك مآلها!

فاقرأ واعجب، فما عشت أراك الدهر عجباً !

أما ما يستندون إليه، ويعتمدون عليه في غير الفقه، فذلك حدث عنه ولا حرج؛ وهو يصل إلى الألوف الكثيرة، كما يظهر من تبع مختلف الموضع والموضع.

و من الطريف أن نذكر هنا:

أنهم في حين يعترفون بأنهم قد وضعوا أحاديث في فضائل أبي بكر، و عمر، و عثمان، ردا على من ينتقص منهم [\(1\)](#).

ويعرفون أيضاً: بأنه عند ما كثر سب الصحابة (و هو أمر لم يحصل، و ما حصل هو مجرد التعريف ببعض ما ارتكبه أشخاص منهم، تحبهم الهيئة الحاكمة، أو من كانوا أحد أركانها، ردا على الغلو الحاصل فيهم، حتى لتعتبر أقوالهم سنة، و ما إلى ذلك) فقد وضعت أحاديث في فضل الصحابة جمياً، أو في فضل جموع منهم [\(2\)](#).

إنهم مع أنهم يعترفون بهذا، لكنهم يتهمون بعض الشيعة بوضع أحاديث في فضل علي، و الطعن في معاوية [\(3\)](#).

مع أن علياً في غنى عن ذلك، و لا يمكن لأحد أن يضع أكثر مما قاله رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في حقه، مما ثبت بالآثار الصحيحة والمتوترة، و التي تفوق حد الإحصاء.

كما أنه يكفي معاوية التعريف بما ثبتت روايته عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»

ص: 179

1- راجع: الالـي المصنوعة ج 1 ص 286 و 315-316 و 417 و بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 22 عنه وعن تنزيه الشريعة ج 2 ص 372 و 372 ص 4.

2- الالـي المصنوعة ج 1 ص 428 و بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 22 عنه.

3- الالـي المصنوعة ج 1 ص 323 و بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 22 عنه وعن ابن تيمية في المنتقى من منهاج الاعتدال ص .313

عليه وآلـهـ» في حقه مما لا يجهله أحد، حتى إن النسائي قد نال شرف الشهادة حينما أظهر حديثا واحدا منها (1)، فكيف لو أراد إظهار كل ما يعرفه، مما رواه عن رسول الله «صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـصـلـيـتـهـ» في حقه؟!

التجمـيـعـ علىـ الـعـراـقـيـنـ:

وقد كان العراق موطننا لعلي «عليه السلام» مدة خلافته، وقد ناصر العراقيون عليا، ورأوا ورووا بعض فضائله «عليه السلام».

وقاتلوا الناكثين والممارقين والقاسطين معه، فعاداهم الناس، واتهموهم بالكذب والوضع لأجل ذلك، وفرضوا عليهم حصارا ثقافيا وإعلاميا.

ولعل أول من بادر إلى اتهامهم بذلك هو أم المؤمنين عائشة (2) التي لقيت على أيديهم في حرب الجمل شر هزيمة.

واتهـمـهـمـ بـذـلـكـ أـيـضاـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ العـاصـيـ الذـيـ لـقـيـ مـنـهـمـ الـأـمـرـيـنـ فـيـ حـرـبـ صـفـيـنـ (3).

ص: 180

-
- 1- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج 1 ص 121 وراجع: وفيات الأعيان ج 1 ص 77 ط بيروت والبداية والنهاية ج 11 ص 124 و مرآة الجنان ج 2 ص 241 و تذكرة الحفاظ ج 2 ص 700 و راجع ص 699 و شذرات الذهب ج 2 ص 240 و راجع: سير أعلام البلاء ج 14 ص 132 و تهذيب الكمال ج 1 ص 339 و تهذيب التهذيب ج 1 ص 38 و المنتظم ج 6 ص 131.
 - 2- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 24 و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج 1 ص 70.
 - 3- الطبقات الكبرى لابن سعد ط صادر ج 4 ص 267.

وكذلك الزهري [\(1\)](#) الذي كان له وجاهة ومكانة خاصة في البلاط الأموي [\(2\)](#).

أما مالك، الذي لم يرو عن أحد من الكوفيين، سوى عبد الله بن إدريس، الذي كان على مذهبها، فقد رأى: أن أحاديث أهل العراق، تنزل منزلة أحاديث أهل الكتاب، أي فلا تصدق ولا تكذب [\(3\)](#).

وكان يقول: لم يرو أولونا عن أوليهم، كذلك لا يروي آخرنا عن آخريهم [\(4\)](#).

السبب هو السياسة والانحراف عن علي عليه السلام:

وقد كانت هذه السياسة سياسة أممية وشامية، ضد علي «عليه السلام»، منطلقاً منها على التبعية والتبعية، وليس تحري الحق، والتزام جانبه.

وقد قالوا عن الجوزجاني: إنه في كتابه في الرجال «يتشدد في جرح الكوفيين من أصحاب علي، من أجل المذهب»، لذلك قال ابن حجر:

ص: 181

1- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 24 و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 70.

2- ستأتي إشارة إلى ذلك حين الحديث حول روایات بدء الوحى، وقصة ورقة بن نوفل.

3- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 25 عن ابن تيمية في المنتهى من منهاج الاعتدال ص 88.

4- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 25 عن الكامل لابن عدي ج 1 ص 3-أ.

«لا عبرة بحثه على الكوفيين» [\(1\)](#).

وقال الأوزاعي: «كانت الخلفاء بالشام، فإذا كانت الحادثة سألا عندها علماء أهل الشام، وأهل المدينة، وكانت أحاديث العراق لا تجاوز جدر بيتهم، فمتى كان علماء أهل الشام يحملون عن خوارج أهل العراق؟!» [\(2\)](#).

ويقول ابن المبارك: «ما دخلت الشام إلا لاستغني عن حديث أهل الكوفة» [\(3\)](#).

بل إن ذلك قد انعكس حتى على علوم العربية، مثل علم النحو وغيره؛ حيث نجد اهتماما ظاهرا بتكريس نحو البصريين، واستبعاد نحو الكوفيين، مهما عاضدته الدلائل والشاهد، فراجع ولاحظ. ولهذا البحث مجال آخر.

فشل المحاولات:

على أن كل تلك الجهود، وإن تركت بعض الأثر بصورة عامة، ولكنها لم تؤت كل ثمارها المرجوة، فقد فرض الفقه والحديث العراقي نفسه على الساحة، ولا يمكنهم الاستغناء عنه بالكلية، فقبلوه على مضض وكره

ص: 182

1- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 93 وراجع تهذيب التهذيب ج 1 ص 93 وج 5 ص 46 وج 10 ص 158.

2- تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 70-71 وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 25 عنه.

3- المصادران السابقان.

منهم، حتى ليقول ابن المديني:

«لو تركت أهل البصرة لحال القدر، وتركـت أهل الكوفة لذلك الرأي (يعني التشـيع) خربـت الكتب»⁽¹⁾.

وقال محمد بن يعقوب: «إن كتاب أستاذـه (يعني صحيح مسلم) ملآن من حديث الشـيعة»⁽²⁾.

وقد روـي البخارـي نفسه عن طائفة كبيرة مـمن ينسبـون إلى التـشـيع من العـراقيـين وغـيرـهم⁽³⁾.

خلاصات لا بد من قراءتها:

ولمزيد من التـأكـيد على ما نـريد أن نـقولـه، نـعود إلى التـذـكـير ببعض النقـاط المـفـيدة في إـيـضـاحـ المـطلـوبـ، فـنـقـولـ:

لا مـعـايـيرـ و لا ضـوابـطـ:

لـقدـ كانـتـ كلـ تـلـكـ السـيـاسـاتـ الـتيـ تـحـدـثـناـعـنـهاـ تـنـفـذـ فـيـ حـيـنـ:ـ أـنـ النـاسـ لـمـ يـكـونـواـ قـادـرـينـ عـلـىـ تمـيـزـ الغـثـ مـنـ السـمـيـنـ،ـ وـ الصـحـيـحـ مـنـ السـقـيمـ،ـ لـأنـهـمـ كـانـوـاـ قدـ فـقـدـواـ الـمـعـايـيرـ وـ الـضـوابـطـ الـمـعـقـولـةـ وـ الـمـقـبـولـةـ،ـ الـتـيـ تـمـكـنـهـمـ مـنـ مـارـسـةـ دـورـ الرـقـابـةـ الـدـقـيقـةـ وـ الـمـسـؤـولـةـ عـلـىـ مـاـ يـزـعـمـ أـنـهـ شـرـيعـةـ وـ دـيـنـ،ـ وـ أـحـكـامـ وـ إـسـلامـ.

ص: 183

1- الكـفـاـيـةـ فـيـ عـلـمـ الرـوـاـيـةـ صـ 129.

2- الكـفـاـيـةـ فـيـ عـلـمـ الرـوـاـيـةـ صـ 129.

3- راجـعـ:ـ فـتـحـ الـبـارـيـ (ـالـمـقـدـمةـ)ـ صـ 460ـ وـ 461ـ وـ بـحـوثـ فـيـ تـارـيخـ السـنـةـ الـمـشـرـفـةـ صـ 28ـ.

وبما أن الناس كانوا يريدون معرفة شيء عن دينهم، ويحبون قرآنهم، وإسلامهم، ونبيهم.

وبما أنه لم يعد ثمة من يستطيع أن يعارض أو أن يعترض، فقد راجت بضائع الكذابين والوضاعين، وقامت سوقهم على قدم وساق.

وتمكنوا من إشاعة أباطيلهم، وترهاتهم، وأضاليلهم.

ولم يكن كثير من الناس يملكون القدرة على تمييز الصحيح من السقيم، والحق من الباطل، والأصيل من الدخيل.

أهل الكتاب يمارسون دورهم:

وكان أهل الكتاب في طليعة المستفيدين من هذه الأجواء، حسبما أوضحتناه.

حيث إن ذلك قد سهل على الذين أظهروا الإسلام منهم: أن ينشروا أباطيلهم وترهاتهم، بعد أن خلت لهم الساحة، وأصبحوا هم مصدر العلم والمعارف الدينية، والثقافة لأكثر الناس، خصوصاً مع ما كانوا ينعمون به من حماية وتأييد من قبل الحكماء آئذ.

إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن الساحة:

إنما أصبح ذلك ممكناً بعد أن تمكن الحكماء من فرض ظروف منعت الصفة من أهل البيت «عليهم السلام»، وشيعتهم الأبرار رضوان الله تعالى عليهم من ممارسة دورهم في التصحيح والتنقيح، والتقليم والتطعيم، وفضح زيف المزيفين، ودفع كيد الخائبين.

وحرص أكثر الناس ولا سيما الحاقدون والمترافقون، وضعفاء النفوس، على الابتعاد عنهم «عليهم السلام»، ولا سيما بعد استشهاد سيد شباب أهل الجنة، الإمام الحسين «عليه السلام»، وصحبه الأخيار، وأهل بيته الأطهار في كربلاء الفداء.

وقد أشار الإمام السجاد إلى ذلك، فقال: «اللهم إن هذا المقام لخلفائك وأصفيائك، ومواضع أمنائك. في الدرجة الرفيعة، التي اختصتهم بها، قد ابتنوها حتى عاد صفوتك، وخلفاؤك مغلوبين، مقهورين، مبتررين. يرون حكمك مبدلا، وكتابك منبذا، وفرائضك محرفة عن جهات أشراعك، وسنن نبيك متروكة الخ..»⁽¹⁾.

والملفت للنظر هنا: أنه «عليه السلام» يقرر هذه الحقيقة ويعلنها في صيغة دعاء، في خصوص يوم عرفة في موسم الحج، حيث يجتمع الناس من مختلف الأقطار والأماكن، ليستفيدوا من هذه الشعيرة العظيمة، ويعودوا إلى بلادهم بمزيد من الطهر، والصفاء، والإخلاص، والوعي لدينهم، ولعقيدتهم.

ثم تكون هذه الفقرات جزءاً من دعاء يدعوه المسلمين كل يوم جمعة في طول البلاد الإسلامية وعرضها وباستمرار، ليس لهم ذلك في المزيد من إيجاد حالة الوعي الرسالي، ولن يكون من ثم واحداً من مسؤولياتهم الإيمانية، والعقائدية.

وقد تعودنا من الإمام السجاد «عليه السلام» هذا الأسلوب الفذ في أكثر من مجال من مجالات الفكر، والعقيدة، والسلوك، كما يتضح ذلك

ص: 185

1- الصحفة السجادية، دعاء 48. وهو الدعاء الخاص بيوم الجمعة وعرفة.

بالمراجعة إلى الصحفة السجادية، وغيرها من الأدعية المنقولة عنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الطيبين الطاهرين.

الاتجاء المبكر إلى الرأي والقياس:

وغني عن القول: إن استبعاد حديث الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، قد أوقع السلطات الحاكمة في مأزق حقيقي على صعيد الفتوى، وإصدار الأحكام، ولذلك كان أول من بادر إلى العمل بالرأي والقياس هم الحكماء أنفسهم، الذين كانوا يصررون على استبعاد أهل البيت «عليهم السلام» -قدر الامكان- عن دائرة الفتوى، وعن بث العلوم والمعارف الصحيحة، والصادقة في الناس.

ثم تبعهم رعيل كبير من تسمى بالفقهاء والمحدثين، الذين كان الكثيرون منهم من طلاب اللبنانيات، ومن المترافقين إلى الحكماء، ومن وعاذه السلاطين. فطغت مدرسة الرأي، وانتشر العمل بالاستحسان وبالقياس [\(1\)](#) «حتى استحال الشريعة، وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة» [\(2\)](#) كما قاله المعتزلي الشافعي.

وسيأتي [\(3\)](#): أن أبو بكر كان أول من عمل برأيه، حينما لا يكون لديه نص عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، كما زعموا.

ثم جاء عمر بن الخطاب، فأكمل ذلك، ورسخه، قوله وعمله.

ص: 186

1- حياة الشعر في الكوفة ص 253 وكتن العمالي ج 1 ص 332 وغير ذلك.

2- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 12 ص 84.

3- في فصل: معايير لحفظ الانحراف رقم: 11-رأي الصحابي حيث لا نص.

وستأتي بعض أقواله ورسائله إلى أبي موسى الأشعري [\(1\)](#)، وشريح القاضي، التي يأمر فيها بالعمل بالرأي والقياس في رقم 28 من هذا الفصل.

مع أنهم يقولون: إن عمر بن الخطاب هو الذي انتقد القائلين بالرأي، وروى عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قوله: «إِنَّ أَصْحَابَ الرَّأْيِ أَعْدَاءَ السَّنَنِ، تَقْلِيَتْ مِنْهُمْ أَنْ يَعْوَهَا، وَأَعْيَتْهُمْ أَنْ يَحْفَظُوهَا، وَسَلَبَوْا أَنْ يَقُولُوا: لَا نَعْلَمْ؛ فَعَارَضُوا السَّنَنَ بِرَأْيِهِمْ» [\(2\)](#).

ولعل ذلك قد كان منه قبل أن يواجه المشكلة، ويحتاج إلى العمل برأيه، أي قبل أن يتشدد في المنع من رواية حديث النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وكتابته، وقبل أن يمنع الصحابة من الفتوى ويحصر حق الفتوى بالأمير، أو من يختاره الأمير.

وربما يكون ذلك منه مختصا بأولئك الذين يفتون الناس برأيهم، دون إجازة من المحاكم أو الأمير.

ولعل التوجيه الأول هو الأنسب بسياق كلامه، حيث ينسبهم إلى الجهل بالسنن، فعارضوا السنن برأيهم.

إلا أن يدعى: أنه يريد أن غير النساء لم يكن لديهم علم بالسنن،

ص: 187

1- سيأتي ذلك إن شاء الله في فصل: معايير لحفظ الانحراف رقم: 28-القياس، والرأي والاستحسان.

2- كنز العمال ج 1 ص 335 عن ابن أبي نصر و الغدير ج 7 ص 119 و 120 عن جامع بيان العلم ج 2 ص 134 و مختصره ص 185 و عن أعلام الموقعين ص 19.

والعلم بها محصور بالأمراء. وهذا كلام لا يمكن قبوله، ولا الموافقة عليه، لمخالفته الظاهرة للبداهة وللواقع.

أصدق الحديث:

وقد أوضح لنا الإمام الصادق «عليه السلام» -فيما روي عنه- سبب لجوئهم إلى الرأي، والقياس في دين الله، ثم ما نشأ عن ذلك.

وهي شهادة ممن كان حاضراً وشاهد عيناً، وخبر الأمور، ووقف على أغوارها، واستكنه أسرارها، فهو يقول:

«يظن هؤلاء الذين يدعون أنهم فقهاء علماء، قد أثبتوا جميع الفقه والدين، مما يحتاج إليه الأمة! وليس كل علم رسول الله «صلى الله عليه وآله» علمه، ولا صار إليهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا عرفوه. وذلك أن الشيء من الحلال، والحرام، والأحكام، يرد عليهم؛ فيسألون عنه، ولا يكون عندهم فيه أثر من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويستحبون أن ينسبهم الناس إلى الجهل، ويكرهون أن يسألوا فلا يجيبون؛ فطلب الناس العلم من معدنه. فلذلك استعملوا الرأي، والقياس في دين الله، وتركوا الآثار ودانوا بالبدع الخ.. [\(1\)](#).

الدowافع والأهداف:

قد قدمنا فيما سبق إيضاحات حول سياسات الحكم تجاه حديث الرسول، روایة وكتابة، وتجاه السؤال عن معانی القرآن وغير ذلك.

ص: 188

1- وسائل الشيعة ج 18 ص 40 و تفسير العياشي ج 2 ص 331.

وبقي أن نشير إلى دوافع هذه السياسة وأهدافها، فنحن نجمل ذلك على النحو التالي:

1-للحليفة مقام الرسول:

لقد كان الخليفة الإسلامي -بنظر الناس- يحتل مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله». وذلك يعني:

أنه لا بد أن يقوم بنفس المهام، ويتتحمل نفس المسؤوليات التي للرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله».

فهو القاضي، والحاكم، والمربى، والقائد العسكري، والمفتى، والعالم، والخ..

وقد كان الناس يرون: أن لهم الحق في توجيه أي نقد له، و مطالبه بأية مخالفة تصدر منه، وأي خطأ يقع فيه.

وإذا رجعنا إلى أولئك الذين سلموا زمام الحكم فور وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإننا نجد:

أنهم ليسوا في مستوى توقعات الناس، لا سيما وأن التناقضات في فتاواهم وأعمالهم مع ما سمعه الصحابة ورأوه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعرفوه من موافقه، كانت كثيرة وخطيرة.

هذا كله عدا عن مخالفاتهم لكثير من النصوص القرآنية، وأخطائهم، أو عدم اطلاعهم على تفسير كثير من آياته.

بالإضافة إلى تناقضهم في الأحكام والفتاوي باستمرار.

وقد اعترفوا هم أنفسهم بالحقيقة، وقرروها في مناسبات عدّة، حتى

وهم يواجهون بعض الاعتراضات من قبل النساء على بعض مخالفاتهم حيث ظهر أنهم لا يملكون الكثير من المعرفة بالأحكام الشرعية، والدينية، التي يحتاجها الناس في معاملاتهم وشأنهم.

بل إن الخليفة الثاني قد سجل كلمة طارت في الآفاق، وأصبحت لها شهرة متميزة، وذلك حينما طالب أبا موسى الأشعري ببيانه على حديث رواه، وإلا فاسوف ينزل به العقاب.

ثم اتضح صحة الحديث، فقال عمر بن الخطاب في هذه المناسبة: إنه ألهاء الصدق بالأسواق [\(1\)](#) عن الحضور عند النبي «صلى الله عليه وآله» لسماع حديثه، والاستفادة منه.

وهو الذي يقول أيضاً: كل الناس أفقه من عمر، حتى ربات المجال في خدورهن.

وقال عشرات المرات: لو لا علي لهلك عمر. ونحو ذلك [\(2\)](#).

ص: 190

1- راجع: صحيح البخاري ج 4 ص 172 وج 2 ص 4 ومسند أحمد ج 4 ص 400 وسنن أبي داود ج 4 ص 346 والتراطيب الإدارية ج 2 ص 7 و 4 و 25 و حياة الصحابة ج 2 ص 569 والغدیر ج 6 ص 158 عن البخاري، وأبي داود وعن مسلم ج 2 ص 234 وعن مسند أحمد ج 3 ص 19 وعن سنن الدارمي ج 2 ص 274 وعن مشكل الآثار ج 1 ص 499. و حول تنكيل عمر بمن لا يأتي على الحديث ببيانه راجع: حياة الصحابة ج 3 ص 360، عن كنز العمال ج 7 ص 34 وغيرها.

2- راجع: الغدیر للعلامة الأميني رحمه الله تجد تفصيل هذه النصوص، و طائفة كبيرة من مصادرها.

ومهما يكن من أمر، فقد كثرت الاعتراضات، و ظهر القصور جليا واضحا في نطاق تطبيق الرواية، والفتوى، والقضاء، والموقف السياسي، وغير ذلك، على النص القرآني، والسنة النبوية بصورة عامة.

وقد بدا واضحاً أن استمرار الوضع على هذا المنوال لسوف يضعف موقع الحاكم، وسيهتز و يتزعزع، ولن تبقى له تلك المصداقية والفاعلية، ولا الهيمنة القوية التي يتواхها.

2- إحراجات لا بد من الخروج منها:

ومن جهة أخرى، فقد كانت هناك تصريحات كثيرة للرسول الأعظم «صلى الله عليه وآلـه»، و مواقف حاسمة و حساسة تجاه بعض القضايا وبعض الناس، إيجابية هنا، و سلبية هناك.

كان إظهارها و شيوخها بين الناس لا يخدم مصلحة الحكام، بل هو يضرهم ويجرحهم بصورة كبيرة و خطيرة، فلا بد من معالجة هذا الأمر وتلافي سلبياته، فكان انتهاج هذه السياسة مفيدة جدا لهم في ذلك.

وإليك تفصيل ذلك: إن مما يدل أو يشير إلى أنه قد كان ثمة مواقف للرسول «صلى الله عليه وآلـه»، ونصوص لم يكن إظهارها في مصلحة الحاكم، فكان لا بد من التعتيم عليها، و طمسها، قول ابن أبي الحديد المعتزلي:

«قد أطبقت الصحابة إطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك»⁽¹⁾.

ص: 191

1- شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 83

و واضح: أن مراده من الصحابة المجمعين من عداؤه «عليه السلام»، لأن المعتزلي نفسه يقول: «إنما قال أعداؤه: لا رأي له؛ لأنه كان متبعاً بالشريعة، لا يرى خلافها».

إلى أن قال: «وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه، ويستوفقه، سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن. ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله إلى الانتظام أقرب»⁽¹⁾.

و قد قال عثمان للناس على المنبر: «أيها الناس، إني كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله «صلى الله عليه و آله» كراهة تفرقكم عنِّي، ثم بدا لي الخ..»⁽²⁾.

وهناك مواقف إيجابية لرسول الله «صلى الله عليه و آله» تجاه بعض المخلصين من أصحابه، الذين كانوا يملكون مؤهلات نادرة، و ميزات فريدة، تجعل لهم الحق دون كل من عداهم بالتصدي لإمامنة الأمة، و قيادتها. وأعني به علياً أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام.

و قد ركزت كلمات و مواقف الرسول الأعظم «صلى الله عليه و آله» على إظهار تلك الميزات الفريدة بالذات، سواء منها ما يرتبط بفضائله «عليه السلام» الذاتية، أو فيما يرتبط بما له من جهاد و سوابق.

ثم أوضحت تلك المواقف النبوية، و النصوص عنه «صلى الله عليه

ص: 192

1- شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 28.

2- حياة الصحابة ج 1 ص 455 عن مسند أحمد ج 1 ص 65 و راجع ص 61.

وآله» بالاستناد إلى ذلك: أن الإمامة وقيادة الأمة إنما هي حق له، وللأنّمّة من ولده «عليهم السلام»، دون كل أحد سواهم.

وذلك من شأنه: أن يضع الهيئة التي تصدت للحكم بعد النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أمّا إحراجات كبيرة في مسألة مصيرية، وخطيرة وحساسة، بل وفي منتهى الحساسية، ويضع علماء استفهام واضح على مجمل الوضع القائم آنذاك، ومدى شرعيته.

فكان لا بد من محاربة هذا النوع من النصوص، والتعميم على تلکم المواقف، تلافيًا لما هو أعظم وأدھى.

فعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه، قال: « جاء علقة بكتاب من مكة أو اليمن، صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت-بيت النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» - فاستأذنا على عبد الله [\(1\)](#) ، فدخلنا عليه، قال: فدفعنا إليه الصحيفة.

قال: فدعا الجارية، ثم دعا بطست فيه ماء.

فقلنا له: يا أبا عبد الرحمن، انظر فيها؛ فإن فيها أحاديث حسانا!

قال: فجعل يميّثها فيها وهو يقول:

نَحْنُ نُتْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَاصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ [\(2\)](#) ، القلوب أوعية؛ فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بما سواه [\(3\)](#) .

ص: 193

1- أبي ابن مسعود.

2- الآية 3 من سورة يوسف.

3- تقدير العلم ص 54 والسنة قبل التدوين ص 312 وراجع: غريب الحديث لابن سلام ج 4 ص 48. وليس فيه: أن الأحاديث في أهل البيت.

ويذكرون: أن ابن عباس أتى أيضاً بكتاب فيه قضاة على «عليه السلام»، فمحاه إلا قدر ذراع [\(1\)](#).

وإن كنا نشك في صحة ذلك، ونرى، أن ابن مسعود هو الذي فعل ذلك، وسيأتي في مواضع من هذا الكتاب بعض النماذج للحرب الإعلامية التي كانت تمارس ضد علي وأهل بيته «عليهم السلام» وشيعته الأبرار رضوان الله تعالى عليهم.

وهناك أقوال صحيحة، وموافق صريحة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تبين انحراف و زيف كثير من الشخصيات والرموز التي كانت تدعم الحكم الجديد، وتشد من أزره، و تعمل على بسط سلطته، و ترسّيخ نفوذه، بل فيهم بعض من أصبح جزءاً من تكوينه وهيكليته، ومن ركائزه ودعائمه، الأمر الذي جعل الحكم الجديد يرى نفسه مسؤولاً عن الحفاظ على سمعة هؤلاء الناس، ورفع شانهم، وبسط نفوذهم، وإظهارهم على أنهم شخصيات على درجة من الفضل والنبل، و لهم من المواقف المشرفة، و من الكرامات ما ليس لغيرهم، بل لا بد أن يظهروا للناس ولو عن طريق الاختلاق، و التحرير، و التزوير -أن هؤلاء الناس هم الذين شيدوا أركان الدين، وضحوا و جاهدوا حتى قام عموده، و اشتد عوده.

أما أقوال النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» في حقهم، و مواقفه «صلى الله عليه وآله» تجاههم، فلا ضير في أن تكتتم و تنسّتر، ثم تتلاشى وتندثر، بل لا بد لها من ذلك، و حيث لا يمكن ذلك، فلا أقل من التأويل والتبديل، و التحرير

ص: 194

1- صحيح مسلم ج 1 ص 11 .

والتربيف، أو اختلاف ما ينافق ويعارض. وذلك هو أضعف الإيمان.

وقد روى أحمد بن حنبل: أنه كان بين حذيفة وسلمان شيء؛ فسأله أبو قرة الكندي عن ذلك، فقال: «إن حذيفة كان يحدث بأشياء يقولها رسول الله «صلى الله عليه وآله» -في غضبه (1)- لأقوام، فأسأل عنها، فأقول:

حذيفة أعلم بما يقول، وأكره أن يكون ضغائن بين أقوام، فأتى حذيفة، فقيل له: إن سلمان لا يصدقك ولا يكذبك بما تقول.

فجاءني حذيفة فقال: يا سلمان ابن أم سلمان.

قلت: يا حذيفة ابن أم حذيفة، لستهين، أو لاكتبن إلى عمر، فلما خوفته بعمر تركني الخ. . (2).

إذن، فقد كان حذيفة يحدث الناس بما كان يوقع سلمان الذي كان أميرا على المدائن من قبل عمر في حرج شديد فكان لا بد لسلمان من أن يوقف حذيفة عن الإستمرار في ذلك، فاستفاد من هذه الوسيلة لتحقيق هذا الهدف.

وبعبارة أخرى: إن السياسة كانت قد فرضت حظرا على تناقل بعض ما يتعلق بأحوال الأشخاص.

وقد كان حذيفة بنقله تلك الأمور قد أخرج سلمان، فلما هدده بالكتابة إلى الخليفة كف عن ذلك، غير أنه قد وردت في آخر الحديث زيادة نحسب

ص: 195

1- هذه الكلمة لا يمكن أن يقولها سلمان الذي هو من أعرف الناس بأمر عصمة الرسول في جميع حالاته، بل هي من إقحامات محبي أولئك المنحرفين الذين لا مانع عندهم من انتقاد شخص الرسول، شرط أن لا يمس أحداً من أحبابهم.

2- مسند أحمد ج 5 ص 439

أنها لم ترد على لسان سلمان، وهي أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «أيما مؤمن لعنته لعنة، أو سببته سبة، في غير كنهه، فاجعلها عليه صلاة»⁽¹⁾.

فإن ذلك لا شك في كونه من الأكاذيب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى سلمان، فراجع ما ذكرناه في غزوة أحد من هذا الكتاب، ثم ما سنذكره حول موضوع السب واللعن أيضاً.

3- التأثير بأهل الكتاب:

هناك فرقتان من اليهود:

إحداهما: «فقهاء الفريسيين»، وهم يؤمنون بكتابة العلم وتدوينه.

ويكتبون كلام علمائهم وأحبارهم. كما هو الحال بالنسبة إلى التلمود، الذي له أهمية كبيرة عند معظم اليهود، بل إن أهميته لدى بعض فرقهم لتزيد على أهمية العهد القديم نفسه⁽²⁾.

الثانية: فرقة يقال لها: «القراء»، وهم الذين كثروا ونشطوا بعد ضعف أمر الفريسيين، وهم يقولون بعدم جواز كتابة شيء غير التوراة⁽³⁾.

وقد صرخ البعض: بأن فرقة الصدوقين لا تعرف إلا بالعهد القديم، وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى «عليه السلام»⁽⁴⁾.

ص: 196

1- مسند أحمد ج 5 ص 439.

2- راجع: اليهودية واليهود ص 23.

3- راجع: التفكير الديني عند اليهود، لمحمد حسن ظاظا وراجع: مقارنة الأديان (اليهودية) ص 227.

4- اليهودية واليهود ص 86 و مقارنة الأديان (اليهودية) ص 226.

بل لقد جاء في التلمود نفسه: «إن الأمور التي تروي مشافهة ليس لك الحق في إثباتها بالكتاب» [\(1\)](#).

وقد علق على ذلك بعض العلماء بقوله: «من العجيب: أن اليهود كتبوا التلمود والمشنة حتى هذا النهي. وأهل الحديث من المسلمين كتبوا الأحاديث حتى الحديث المكذوب: لا تكتبوا عنني.. الخ» [\(2\)](#).

غير أننا نقول: إن المقصود هو المنع من الروايات الشفووية عن الأنبياء، أما أقوال العلماء فهي الشريعة، تماماً كما يقول البعض الآن: إن آراء الصحابة شريعة وسنة.

والذي يظهر لنا هو: أن كعب الأحبار قد كان من الفرقة التي لا تجيز كتابة غير التوراة.

ويشير إلى ذلك: أنه حينما سأله الخليفة الثاني عن الشعر، أجابه كعب واصفاً العرب بقوله: «أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل، أناجيلهم في صدورهم، ينطقون بالحكمة» [\(3\)](#).

ص: 197

1- الفكر الديني الإسرائيلي للدكتور ظاظا ص 79 عن التلمود: حيطين 60 ب-تمور.

2- بحوث مع أهل السنة والسلفية هامش ص 97.

3- راجع: العمدة لابن رشيق ج 1 ص 25 وقد صرخ بذلك كعب في حديث آخر في الدر المنشور ج 3 ص 125 ثم روى ذلك أبو هريرة وقتادة عن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ» فراجع الدر المنشور ج 3 ص 124 و 123 و 122، وقد استدل البعض بهذا الحديث على حفظ القرآن عن ظهر قلب، فراجع مناهل العرفان ج 1 ص 235 والنشر في القراءات العشر ج 1 ص 6، وفي ربيع الأبرار ج 2 ص 150 ذكر هذا الحديث عن التوراة على لسان راهب آخر فراجع.

وقد روى مثل ذلك وهب بن منبه أيضاً-الذي كان أيضًا في الأساس من أهل الكتاب-فقد جاء في رواية مطولة له قوله: «يا رب، إني أجد في التوراة قوماً ناجلهم في صدورهم، يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرؤون كتبهم نظراً، ولا يحفظونها، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة محمد»⁽¹⁾.

فلعل كعب الأحبار، وغيره ممن كان مقرباً من السلطة قد استفاد من حسن الظن به من قبل الصحابة والحكام، فألقى هذا الأمر إليهم، وهم غافلون، فوافق قبولاً منهم، بسبب ما كانوا يعانونه من مشكلات المحناء آنفاً.

و مما يشير إلى أن السلطة كانت تخترن في وعيها شيئاً من ذلك هو التعليل الذي جاؤوا به حينما أرادوا إحراق ما جمعوه من أحاديث كتبها الصحابة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث ذكروا: أن سبب إقادتهم على هذا الأمر هو الالتفات إلى أن أمماً كانوا قبلهم كان بينهم كتاب الله، فلما كتبوا أقوال علمائهم أكبوا عليها، وتركوا كتاب الله (فراجع ما تقدم).

والملفت للنظر هنا: أن يتخيّل هؤلاء المساواة فيما بين أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى، وبين أقوال علماء أهل الكتاب الذين كانوا يخلطون الحق بالباطل عن عمد و إصرار في كثير من الأحيان، إن لم يكن في أكثرها.

ص: 198

1- راجع: البداية والنهاية ج 6 ص 62 ونزهة المجالس ج 2 ص 199.

بغضهم لعلي عليه السلام سبب آخر:

هذا، ولا بد من الإشارة هنا: إلى أن السياسة التي انتهجهت تجاه حديث النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن كانت سبباً مهماً لما حاصل بالإسلام من بلاء، على صعيد تجھیل الناس به، والتلاعُب بالدين، وتغيير أحكام الشريعة.

ولكن ذلك ليس هو كل شيء في هذا المجال، بل إن ثمة سبباً آخر كان له دوره وتأثيره في ذلك، وهو: بغض عالي «عليه السلام»، والإصرار على مخالفته في كل شيء.

قال ابن عباس: «اللهم العنهم، قد تركوا السنة من بعض علي» [\(1\)](#).

قال السندي: «أي و هو كان يتقيد بها» [\(2\)](#).

وقال النيسابوري حول السبب في تركهم الجهر بالبسملة في الصلاة: «وأيضاً، ففيه تهمة أخرى، وهي: أن علياً رضي الله عنه كان يبالغ في الجهر بالتسمية؛ فلما كان زمن بنى أمية بالغوا في المنع عن الجهر، سعياً في إبطال آثار علي» [\(3\)](#).

ورغم اعتراف الحجاج بأن أمير المؤمنين «عليه السلام» المرء الذي لا يرحب عن قوله، فإنه يصر على مخالفته، والعمل برأي عثمان! [\(4\)](#).

ص: 199

1- سنن النسائي ج 5 ص 253 و سنن البيهقي ج 5 ص 113 و الغدير ج 10 ص 205 عندهما وعن كنز العمال عن ابن جرير نص آخر.

2- تعليقه السندي على سنن النسائي ج 5 هامش ص 253.

3- تفسير النيسابوري (مطبوع بهامش جامع البيان للطبراني) ج 1 ص 79.

4- مروج الذهب ج 3 ص 85 والكامل في الأدب ج 1 ص 207 ومكاتب الرسول ج 1 ص 62.

وقد عاش الحسنان «عليهما السلام» في الناس دهرا طويلا، وهم إمامان قاما أو قعوا، لكن ما روي عنهما في أحكام الشريعة قليل جدا لا يكاد يذكر.

ولا يمكن أن يصغي إلى ما اعتذر به ابن شهر آشوب هنا، حيث قال: «وأما من قل منهم الروايات، مثل الحسن والحسين، فقلة أيامهما»
[\(1\)](#).

والصحيح هو أن الناس أهملوا أقوالهم، ولم يهتموا بنقل شيء عنهم، بغضنا منهم لهم، أو خوفا من معاقبة الحكماء.

ص: 200

1- مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 274.

الفصل الثاني: لا بد من إمام

إشارة

ص: 201

ولسنا بعد ذلك كله بحاجة إلى التأكيد على أنه كان لا بد لهذا الدين من رائد وحافظ، وإمام يحفظ له مسيرته، وينشر تعاليمه، ويربي الناس تربية إلهية صالحة وقويمة. ويكون هو الضمانة الحقيقة له على مر العصور، وكر الأيام والدهور.

وقد كان أئمة أهل البيت الأطهار «عليهم السلام» هم هذه الضمانة، التي بها حفظ الدين وأحكامه، وبهم سلمت رسومه وأعلامه. وكيف لا، وهم سفينة نوح، وأحد الثقلين الذين لا يضل من تمسك بهما، واهتدى بهديهما.

وهذا ما يفسر لنا ما روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» في قوله للحكم بن عيينة (عتبة)، وسلمة بن كهيل: شرقاً وغرباً، فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا [\(1\)](#).

ويقول «عليه السلام» عن الحسن البصري: «فليذهب الحسن يميناً وشمالاً؛ فو الله، ما يوجد العلم إلا هنا» [\(2\)](#).

ص: 203

1- اختيار معرفة الرجال ص 210 و 209 والكافي ج 1 ص 399 وبصائر الدرجات ص 9 والوسائل (ط دار الإسلامية) ج 15 ص 196.

2- الكافي ج 1 ص 50 والوسائل (ط دار الإسلامية) ج 18 ص 42-43 و 8.

وعنه «عليه السلام» : فليذهب الناس حيث شاؤوا، فو الله ليس الأمر إلا ههنا، وأشار إلى بيته (1).

وعنه «عليه السلام» أيضاً: كل شيء لم يخرج من هذا البيت فهو وبال (2).

موقف الأئمة عليهم السلام من رواية الحديث وكتابته:

لا أعتقد: أننا بحاجة إلى التذكير بموقف الأئمة من رواية الحديث وكتابته، فإن ذلك أوضح من الشمس، وأبين من الأمس.

فعلي «عليه السلام» هو الذي رفع الحظر عن رواية حديث النبي «صلى الله عليه وآلها» (3) و هو الذي يقول: تزاوروا، وأكثروا مذاكرة الحديث، فإن لم تتعلموا يندرس الحديث (4).

وهو الذي يقول: «قيدوا العلم، قيدوا العلم» ، مرتين. ونحوه غيره (5).

وقد قال «عليه السلام» : «من يشتري مني علمابدرهم؟» .

قال الحارث الأعور: فذهبت، فاشترت صحفا بدرهم، ثم جئت بها» .

ص: 204

1- الكافي ج 1 ص 399 وبصائر الدرجات ص 12.

2- الاختصاص ص 31.

3- راجع: سرگذشت حديث (فارسي) هامش ص 28 وراجع: كنز العمال ج 10 ص 171 و 172 و 122.

4- معرفة علوم الحديث ص 60 و كنز العمال ج 10 ص 189.

5- تقيد العلم ص 89 و 90 وفي هامشه قال: «وفي حصن علي «عليه السلام» على الكتابة انظر معادن الجوهر للأمين العاملی ۱، ۳» .

قال الراوى: «فكتب له علما كثيرا» [\(1\)](#).

وعنه «عليه السلام» : «إذا كتبتم الحديث فاكتبوه بأسناده، فإن يك حقا كنتم شركاء في الأجر، وإن يك باطلًا كان وزره عليه» [\(2\)](#).

ومثل ذلك كثير عنه «عليه السلام» [\(3\)](#).

كما أن الإمام الحسن «عليه السلام» دعا بنيه، وبني أخيه، فقال: «يا بنّي، وبني أخي، إنكم صغاري قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين؛ فتعلموا العلم؛ فمن لم يستطع منكم أن يرويه؛ فليكتبه، ولি�ضعه في بيته» [\(4\)](#).

وقد كتب علي «عليه السلام» عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتابا كثيرة، كما هو أشهر من أن يحتاج إلى تفصيل وبيان.

وقد حث الأئمة «عليهم السلام» شيعتهم على هذا الأمر، كما يظهر بأدبي مراجعة لكتب حديثهم وروايتهم.

ص: 205

-
- 1- التراتيب الإدارية ج 2 ص 259 وطبقات ابن سعد ج 6 ص 116 وتاريخ بغداد ج 8 ص 357 وكنز العمال ج 10 ص 156 وتقيد العلم ص 90 وفي هامشه عمن تقدم، وعن كتاب العلم لابن أبي خيثمة ص 10 وعن المحدث الفاضل ج 4 ص 3.
 - 2- كنز العمال ج 10 ص 129 عن المحاكم، وأبي نعيم، وابن عساكر.
 - 3- راجع على سبيل المثال: كنز العمال ج 10 كتاب العلم.
 - 4- تقيد العلم ص 91 ونور الأبصار ص 122 وكنز العمال ج 10 ص 153 وسنن الدارمي ج 1 ص 130 وجامع بيان العلم ج 1 ص 99 والعلل ومعرفة الرجال ج 1 ص 412 وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 227 والتراطيب الإدارية ج 2 ص 246-247 عن ابن عساكر، وعن البيهقي في المدخل، وفي هامش تقيد العلم عن بعض من تقدم، وعن: تاريخ بغداد ج 6 ص 399 (ولم أجده) وعن ربيع الأبرار 12 عن علي «عليه السلام» .

بل إن الأئمة «عليهم السلام» كانوا يطّلعون على بعض الكتب التي كانت تؤلف في زمنهم، ويدون ملاحظاتهم عليها.

ونرى أن ذكر الشواهد والمصادر لكل ذلك، مع هذه الكثرة الكاثرة فيها ليست في محلها، وهي تضييع للوقت وللمجهد.

موقف الأئمة عليهم السلام من الإسرائيليات ورواتها:

وقد واجه الأئمة «عليهم السلام» ترهات بنى إسرائيل، بالكلمة والموقف، بصرامة وبحزم.

وأعلنوا للملأ زيف تلك الأباطيل، وكذبوا من جاؤوا بها بصرامة ووضوح في مناسبات كثيرة.

بل إن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام»، لم يكتف بالتكذيب والتفنيد، وإنما هدد وتوعد بالجلد أحياناً، كما حصل منه لمن يروي قصة أوريا، وفق زعم القصاصين، كما سيأتي.

وقد وصف «عليه السلام» كعب الأحبار، فقال: إنه لكذاب [\(1\)](#).

وكان كعب منحرفاً عن علي عليه الصلاة والسلام [\(2\)](#).

هذا بالإضافة إلى أنه قد طرد القصاصين من المساجد، كما سترى.

وقد كذب الإمام الباقر «عليه السلام» كعب الأحبار في بعض

ص: 206

1- أضواء على السنة المحمدية ص 165 وشرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 77 والبحار ط قديم ج 8 ص 675.

2- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 77.

أباطيله، كروايته: أن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل صباح [\(1\)](#).

وذلك من أجل أن يتوصل إلى تبرير جعل الصخرة التي في بيت المقدس قبلة لأهل نحلته من اليهود، وأنها هي القبلة الأولى والأعلى، بملائحة أن الكعبة التي هي قبلة المسلمين تسجد للصخرة كل صباح.

هذا، وللإمام الصادق «عليه السلام» موقف يكذب فيه أباطيل أهل الكتاب أيضا [\(2\)](#).

كما أنه «عليه السلام» قد قال وهو يتحدث عن العلماء: «ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزره به علمه، ويكثر به حديثه، فذاك في الدرك الخامس من النار» [\(3\)](#).

الشيعة في مواجهة الفكر الإسرائيلي:

وقد اقتدى الشيعة الأبرار رضوان الله تعالى عليهم بأئمتهم «عليهم السلام»، في محاربة الفكر الإسرائيلي الدخيل، وتصدوا لرموزه، وللمروجين له

ص: 207

1- الكافي ج 4 ص 240 و البخاري ج 46 ص 354، و يبدو أن كعبا قد استمر على تعظيم الصخرة، حتى إنه حينما كان مع عمر في بيت المقدس، و سأله عمر: أين يجعل المسجد و القبلة، قال: خلف الصخرة، فقال له عمر: ضاهيت اليهودية يا كعب. فراجع هذه القضية بنصوصها المترابطة في: الأنس الجليل في أخبار القدس والخليل ج 1 ص 256 والأموال لأبي عبيد ص 225 والإصابة ج 4 ص 105 والأسرار المعرفة ص 457.

2- البخاري ج 71 ص 259 ط إيران وج 46 ص 353-354 وسفينة البخاري ج 2 ص 167، والكافي ج 4 ص 239.

3- البخاري ج 2 ص 108.

بحزم، وشجاعة، وصلابة، رغم ما كان يتمتع به أولئك الأفакون من حصانة قوية من قبل الحكم على أعلى المستويات، لقد واجههم الشيعة، وتصدوا لهم، عملاً بالتكليف الشرعي، الذي أكدته ما روي عن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» ، من أنه قال:

«إن الله قضى بالجهاد على المؤمنين في الفتنة بعدي. . .» .

إلى أن قال: «.. يجاهدون على الإحداث في الدين، إذا عملوا بالرأي في الدين، لا رأي في الدين الخ. ..» [\(1\)](#).

ونذكر هنا بعض النماذج لمواقف أتباع مدرسة أهل البيت «عليهم السلام» ، وهي التالية:

1- لقد أعلن ابن عباس بالنكير على أولئك الذين يسألون أهل الكتاب، مع وجود كتاب الله بين ظهرانيهم [\(2\)](#).

2- وروي نظير ذلك عن ابن مسعود أيضا [\(3\)](#).

ص: 208

1- تفسير فرات ص 614 ط جديد.

2- راجع: صحيح البخاري ج 4 ص 193 وج 2 ص 173 و المصنف للصنعاني ج 10 ص 314 وج 11 ص 110 و جامع بيان العلم ج 2 ص 51 و الفصل في الملل والأهواء والنحل ج 1 ص 216 و البداية والنهاية ج 2 ص 134 و مجمع الزوائد ج 1 ص 192 و الدر المنشور ج 1 ص 83 عن البخاري، و عبد الرزاق، و ابن أبي حاتم، و البيهقي في شعب الإيمان.

3- راجع: المصنف للصنعاني ج 6 ص 112 وج 11 ص 160 و ج 10 ص 313 و جامع بيان العلم وفضله ج 2 ص 50 و البداية والنهاية ج 2 ص 134 وفتح الباري ج 13 ص 281 و راجع: سنن الدارمي ج 1 ص 122 و تقسيم العلم ص 53 و 56.

3- وقد تصدى ابن عباس، و حذيفة بن اليمان لتكذيب كعب الأحبار صراحة في بعض الموارد [\(1\)](#).

4- أما أبو ذر ذلك الرجل الصابر المجاهد، فالكل يعلم موقفه من كعب الأحبار في مجلس الخليفة الثالث عثمان، حينما جاؤوا بتركة عبد الرحمن بن عوف، و تصدى كعب الأحبار لإصدار فتاواه في دين الله؛ فضرر به أبو ذر رحمه الله بعصاه، وقال له: «يا ابن اليهودية، تعلمنا ديننا»؟ !

أو «متى كانت الفتيا إليك يا ابن اليهودية؟!» [\(2\)](#).

ثم كان جزاء هذا الصحابي الجليل هو النفي والتشريد، و مكابدة المحن و البلایا، حتى مات مظلوماً غريباً في الربذة، منفاه [\(3\)](#).

على عليه السلام يواجه القصاصين بالحقيقة:

أما موقف علي «عليه السلام» من القصاصين، فتوضّحه النصوص التالية:

ص: 209

1- أضواء على السنة المحمدية ص 165 عن الكاف الشاف ص 139.

2- راجع: مروج الذهب ج 2 ص 340 و مسند أحمد ج 1 ص 63 و راجع: حلية الأولياء ج 1 ص 160 و تاريخ الأمم و الملوك ج 3 ص 336 و ج 4 ص 284 و الغدير ج 8 ص 351 عنه. و راجع: أنساب الأشراف ج 5 ص 52 و شرح النهج للمعتزلية ج 3 ص 54 و ج 8 ص 256 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 67-69 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 232 و الأولئ ج 1 ص 279 و مجمع الروايات ج 10 ص 239 و حياة الصحابة ج 2 ص 157 و 158 و عن كنز العمال ج 3 ص 310. وأشار إليه العلامة الطباطبائي في تقسيم الميزان ج 9 ص 258 و 251.

3- راجع كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ج 1 ص 111-141.

1-عن الحارث، عن علي، أنه دخل المسجد، فإذا بصوت قاص، فلما رأه سكت، قال علي «عليه السلام» : من هذا؟ !

قال القاص: أنا.

فقال علي «عليه السلام» : أما أني سمعت رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يقول: سيكون بعدي قصاص لا ينظر الله إليهم [\(1\)](#).

2-عن سعيد بن أبي هند: أن عليا «عليه السلام» مر بقصاص، فقال: ما يقول؟ !

قالوا: يقص!

قال: لا، ولكن يقول: إعرفوني [\(2\)](#).

3-عن أبي عبد الرحمن السّلمي، قال: مر علي بن أبي طالب «عليه السلام» برجل يقص، فقال: أعرفت الناسخ من المنسوخ؟

قال: لا.

قال: هلكت وأهلكت [\(3\)](#).

4-عن أبي يحيى، قال:

مر بي علي وأنا أقص؛ فقال: هل عرفت الناسخ من المنسوخ؟

قلت: لا.

ص: 210

1- كنز العمال ج 10 ص 172 عن أبي عمير بن فضالة في أماليه.

2- كنز العمال ج 10 ص 172 عن مسدد، وصحح.

3- الدر المتشور ج 1 ص 106 عن أبي داود في ناسخه، وعن النحاس في ناسخه، وعن سنن البيهقي ونشر الدرج 1 ص 312 وذكر أخبار

أصبان ج 1 ص 89.

قال: أنت أبو إعرفوني [\(1\)](#).

علي عليه السلام يضرب القصاصين و يطردهم:

لم يقتصر موقف علي «عليه السلام» من القصاصين على الإدانة الكلامية، بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك، فجاء متميزاً و حاسماً في الوقت نفسه، وقد تجلى ذلك في أنه «عليه السلام» قد استعمل في مواجهتهم الأساليب التالية:

1-تعريفهم أمام الناس، وتعريفهم بنو آياتهم، وذلك ببيان حقيقة حبهم للظهور، كما تقدم.

2-تهجين عملهم عن طريق نشر أقوال النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» فيهم حيث إنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قال: سيكون بعدي قصاص لا ينظر الله إليهم.

3-إظهار جهلهم، وقلة معرفتهم، ثم ما يترب على ذلك من هلاك لهم أنفسهم، ثم إهلاك لآخرين. وقد تقدمت الأمور الثلاثة الآنفة الذكر.

4-طردتهم من المساجد.

5-ضربيهم

ويوضح هذين الأمرين النصوص التالية:

ألف: عن أبي البختري، قال: دخل علي بن أبي طالب المسجد، فإذا

ص: 211

1- كنز العمال ج 10 ص 171 عن المروزي في العلم. وراجع: ربيع الأبراج 3 ص 588.

رجل يخوّف، فقال: ما هذا؟

قالوا: رجل يذكّر الناس.

قال: ليس برجل يذكّر الناس، ولكنه يقول: أنا فلان بن فلان، إعرفوني.

فأرسل إليه فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟!

قال: لا.

قال: فاخرج من مسجدنا، ولا تذكّر فيه [\(1\)](#).

والذكر هو القاص في اصطلاحهم، كما يظهر من الكتب التي تتحدث عن القصاصين، فراجع تلبيس ابليس، والقصاص والمذكرين لابن الجوزي.

ب: وحين قدم البصرة طرد القصاصين من المسجد، حيث إنه لا ينبغي القصاص في المسجد [\(2\)](#).

ج: عن أبي عبد الله «عليه السلام»، أنه قال: «إن أمير المؤمنين «عليه السلام» رأى قاصاً في المسجد فضربه، وطرده» [\(3\)](#).

ص: 212

1- كنز العمال ج 10 ص 171 عن المروزي في العلم، والنحاس في ناسخه، والعسكري في المواعظ، الدر المنشور ج 1 ص 106 و الجامع لأحكام القرآن ج 2 ص 62.

2- عن قوت القلوب ج 2 ص 302 وراجع: الحوادث والبدع ص 100.

3- الكافي ج 7 ص 263 و تهذيب الأحكام للطوسي ج 10 ص 149 و الوسائل ج 12 ص 111 وج 18 ص 578 وج 3 ص 515 وج 8 ص 468 وج 11 ص 567 وج 8 ص 14 و 82 وسفينة البحار ج 2 ص 433 وراجع: الصافي ج 4 ص 296 و مجمع البيان ج 472 و تفسير البرهان ج 4 وراجع: الدر المنشور ج 1 ص 106.

6-التهديد بالضرب الوجيع، وياقامة الحدود عليهم ويوضح ذلك:

ألف: ما روي، من أنه حينما بلغه «عليه السلام» ما ي قوله القصاصون في قصة أوريا قال:

«من حديث بحديث داود على ما يرويه القصاص، جلدته ماءة وستين جلدة، وذلك حد الغرية على الأنبياء» [\(1\)](#).

ب: وسيأتي أنه «عليه السلام» قد امتحن أحد القصاصين، فأجابه، ولو أنه عجز عن الجواب لكان قد أوجعه ضربا [\(2\)](#) على حد تعبيره.

موقف سائر الأئمة عليهم السلام من القصاصين:

ولا- يختلف موقف سائر الأئمة «عليهم السلام» عن موقف أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه من القصاصين، ويوضح ذلك النصوص التالية:

1-إن الإمام السجاد «عليه السلام» قد نهى الحسن البصري عن مزاولة عمل القصاص. فاستجاب للنبي [\(3\)](#).

2-وفي محاورة جرت بين الإمام الحسن «عليه السلام» وبين أحد القصاصين، نجد الإمام الحسن يكذب ذلك الرجل في دعواه كونه قصاصا تارة، ومذكرا أخرى؛ باعتبار أن هاتين الصفتين هما للنبي «صلى الله عليه

ص: 213

1-راجع: سمير الليالي ص 324 والإسرائيليات في كتب التفسير والحديث ص 204 عن تفسير النسفي ج 4 ص 29-30 وراجع: ربيع الأبراج ج 3 ص 588 والصافي ج 4 ص 296 ومجمع البيان ج 8 ص 472.

2-كنز العمال ج 10 ص 172 عن وكيع في الغرر، والقصاص والمذكرين ص 23.

3-راجع وفيات الأعيان ج 1 ص 70.

وآله» ، فلما سأله عن نفسه أي شيء هو؟ .

قال له «عليه السلام» : المتكلف من الرجال [\(1\)](#). أي الذي يتكلف أمرًا ليس له.

3- وعن الإمام الباقر «عليه السلام» في تفسير قوله تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا [\(2\)](#) أن منهم القصاص [\(3\)](#).

4- ذكر للإمام الصادق «عليه السلام» : أن بعض القصاص يقول: هذا المجلس لا يشقى به جليس.

فقال «عليه السلام» : هيئات هيئات أخطأت استاهم الحفرة [\(4\)](#). أي أنهم أرادوا شيئاً فوقعوا في غير ما أرادوا.

5- كما أنه «عليه السلام» قد لعنهم، واعتبرهم يثرون الناس ضد هم «عليهم السلام» .

ثم إنه «عليه السلام» قد حرم الاستماع إلى القصاصين.

هذا بالإضافة إلى أنه «عليه السلام» قد اعتبر أنهم هم الغاوون أتباع الشعرا، كما نصت عليه الآية الكريمة [\(5\)](#).

ص: 214

1- تاريخ العقوبي ج 2 ص 227 و 228.

2- الآية 68 من سورة الأنعام.

3- راجع: تفسير العياشي ج 2 ص 362.

4- البحار ج 74 ص 259.

5- بحار الأنوار ج 69 ص 264 و 265 و راجع: وسائل الشيعة ج 6 ص 111.

و مما نقدم نعرف: أن معرفة الناسخ من المنسوخ شرط في السماح للقصاص بأن يقص على الناس.

وثمة شرط آخر: وهو أن يكون عارفاً بالدين، واقعاً على مراميه وأهدافه، كما يظهر من سؤال أمير المؤمنين للقاضي امتحنه، فأجاب، فسمح له بمواصلة عمله، ولو لا ذلك لكان «عليه السلام» قد أوجعه ضرباً.

ولأجل أن البعض لم يكن يعرف الناسخ من المنسوخ، فإنه «عليه السلام» قد حكم عليه بأنه قد هلك وأهلك. وبين أن من لا يعرف ذلك ويتصدى لهذا العمل الخطير فإنه يكون طالباً للدنيا وللشهرة بين الناس.

أما حين يطمئن «عليه السلام» إلى أن القاضي جامع للشروط المطلوبة، فإنه «عليه السلام» يسمح له بمزاولة عمله ذاك، فقد: «قال علي «عليه السلام» للقاضي: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ !

قال: نعم.

قال: قال: قص» [\(1\)](#).

ومعنى ذلك، هو أن القصاصين كانوا إلى جانب وعظهم الناس، يقومون بمهام أخرى، وهي بيان الأحكام الشرعية، وتفسير القرآن، إلى جانب أمور تقدمت، وستأتي الإشارات إليها في الموارد المختلفة.

ونقدم في فصل: «القصاصون يثقفون الناس رسمياً»: أن الإمام الباقر «عليه السلام» قد قال لسعد الإسکاف: «وددت أن على كل ثلاثة ذراعاً

ص: 215

قاصاً مثلك» .

وأن أباً بن تغلب كان قاص الشيعة.

وأن عدي بن ثابت الكوفي كان إمام مسجد الشيعة وقاصهم.

امتحان القصاصين:

ثم إننا قد رأينا أمير المؤمنين «عليه السلام» يجري امتحاناً لأحد القصاصين، فلو لم ينجح في الامتحان لكان «عليه السلام» قد أوجعه ضرباً.

فقد رواه: أنه «عليه السلام» انتهى إلى قاص يقص، فقال: نقص، ونحن حديثو عهد (رسول الله «صلى الله عليه وآله»)؟ ! أما إني سألك فإن تجيز بما سألك وإن لا أدتك.

(وفي نص آخر: أما إني أسألك عن مسألتين، فإن أصبت وإن أوجعتك ضرباً).

فقال القاص: سل يا أمير المؤمنين عمما شئت.

فقال: ما ثبات الإيمان وزواله؟

قال: ثبات الإيمان الورع، وزواله الطمع.

قال علي: بذلك فقص.

قيل: إن هذا القاص هو نوف البكالي [\(1\)](#).

ص: 216

1- البداية والنهاية ج 9 ص 31 وكتن العمال ج 10 ص 172 عن وكيع في الغرر، والقصاص والمذكرين ص 23.

وبعد، فإن التصدّي للفكر الإسرائيلي، وإن أفلح في حفظ وصيانته الإسلام إلى حد بعيد، ولكن آثار هذا الحفظ إنما ظهرت، أو فقل: قد اقتصرت على التيار الذي كان يقوده الأئمة «عليهم السلام» وشيعتهم، ومن تخرج من مدرستهم، واختار طريقتهم ونهاجمهم.

أما الآخرون؛ الذين كانوا في الخط الآخر، فقد استمروا في التحرك في دائرة السياسة المعلنة، والمصرح بها من قبل الحكماء، فأخذوا عن أهل الكتاب الشيء الكثير مما هو محرف ومدسوس، ونقدوا والتزموا بالإسلام الذي راق للحكام، وروجوا له.

فكان أن شحنوا كتبهم ومجاميعهم الحديبية بالشيء الكثير من الفتاوى، والمعارف، والعقائد، والسياسات، والسير والتاريخ، التي تسجّم مع ما يريدون أولئك الحكماء، مما أحفهم به أهل الكتاب، أو غيرهم من المرتزقة والمتزلفين.

نعم، لقد شحنوا بها كتبهم، ومجاميعهم، من دون أي تحقيق، أو تمحيص، إلا فيما يمس القشر، ولا يتعرض لما دونه في شيء؛ لأنها قد جاءت محكومة لضوابط ومعايير من شأنها أن تكرس الإنحراف، وتنقوي من تياره، وتعمق

جذوره، لأنها إنما وضعت لتأكيد تلك الأباطيل والترهات ومن خلالها، ومن أجل حفظ الإنحراف و تكريسه لا لإزالته والتخلص منه.

أما المعايير الحقيقة والضوابط الأصلية، القادرة على كشف الزيف، وإحقاق الحق، فقد كانت مرفوضة من هؤلاء الناس جملة وتفصيلا، حتى إن ما ورد من الأمر بعرض الحديث على كتاب الله سبحانه قد رفض، وضرب به عرض الجدار، بل قد اعتبروه من وضع الزنادقة، كما سيأتي في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

نماذج يسيرة:

ونحن من أجل جلاء الحقيقة، والتعريف بحقيقة المؤامرة، نذكر هنا نماذج يسيرة من ضوابط تهدف لحفظ الإنحراف، ومعايير لتكريس الباطل و ترسیخه، بكل ما فيه من فتاوى باطلة، وروایات مختلفة، أو محرفة، وأساطير وترهات عن أهل الكتاب وغيرهم.

بالإضافة إلى أساليب تبرير المواقف الالإنسانية واللاشرعية، التي صدرت وتصدر عنمن يهمهم حفظهم، والاحتفاظ بهم بأي ثمن كان، و النماذج التي نريد تقديمها إلى القارئ الكريم هي التالية:

1- الصحابة كلهم عدول:

اشارة

لقد كان الكثيرون من الصحابة، ممن تهتم السلطة وبعض الفئات والإتجاهات المذهبية والسياسية بإعطائهم دوراً متميزة وأساسياً، سواء على الصعيد السياسي، أو العقيدي، أو في مجال الحديث، والرواية، أو الفتيا، أو على صعيد المواقف، تأييداً و تأكيداً، أو غير ذلك.

ص: 220

مع أن أولئك الأشخاص لا يملكون تاريخاً نظيفاً ولا مشرفاً، لا في حياتهم السلوكية من حيث الالتزام بأحكام الدين، ولا في مجال التحلية بمكارم الأخلاق، وحميد الخصال.

فكان أن عملوا من أجل تبرير انحرافاتهم ومخالفاتهم، وتبريتهم مما ارتكبوا من جرائم، وموبقات، حتى ما هو مثل الزنى، وشرب الخمر، وقتل النفوس، وسرقة بيت مال المسلمين، وما إلى ذلك، على اختراع إكسير يستطيع أن يحول تلك الجرائم والموبقات، والمعاصي، إلى خيرات، وطاعات ومبرات، وحسنات، يستحقون عليها المثوبة، وينالون بها رضا الله و الجنّة.

و كان هذا الأكسير هو دعوى:

أن الصحابة بساطهم مطوي، وإن جرى ما جرى، وإن غلطوا كما غلط غيرهم من الثقات [\(1\)](#).

و «الصحابة كلهم عدول، سواء منهم من لابس الفتنة، و من لم يلابس» و ذلك بإجماع من يعتد به من الأمة [\(2\)](#).

ص: 221

1- أضواء على السنة المحمدية ص 342 عن الذهبي في رسالته التي ألفها في الرواية الثقات.

2- راجع: الكفاية في علم الرواية ص 46-49 و الباعث الحيث ص 182 و 181 و تدريب الراوي ج 2 ص 214 و السنة قبل التدوين ص 394 و 403 و عنهم وعن فتح المغیث ج 4 ص 35. و راجع: علوم الحديث لابن الصلاح ص 264 و 265 و 268 و علوم الحديث لصبحي الصالح ص 353 الطبعة الثامنة و قواعد في علوم الحديث للتهانوي ص 202 و 203 و الإصابة ج 1 ص 9 و 10 و الإحکام في أصول الأحكام ج 2 ص 81 و 82 و فوائح الرحموت ج 2 ص 156 و إرشاد الفحول ص 70 و 69 و 64 و 65 و الخلاصة في علوم الحديث ص 124 و 94 و 67 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 608.

و عمدة مستندهم في ذلك آيات كريمة ورد فيها ثناء على الصحابة في ظاهر الأمر، مع أن الثناء ناظر إلى بعض منهم، و هم خصوص المتصفين بصفة الإيمان، مع مواصفات معينة أخرى أشارت إليها، أو صرحت بها تلك الآيات بالذات.

و قد تحدثنا عن ذلك باختصار في كتابنا: «صراع الحرية في عصر المفید» ، فراجع.

أضف إلى ذلك: أن تلك الآيات لم تتناول الأفراد بالخصوصية، إنما غايتها عموم، يرد التخصيص عليه بحسب الموارد، مع أن دليل شمول الصحبة لمطلق من رأى النبي «صلى الله عليه وآله» ركيك جدا [\(1\)](#).

للتنظر:

لا أدرى إن كان قولهم بعدهلة كل صحابي، يشبه القول بعصمة الحاخامات لدى اليهود [\(2\)](#)، أو أنه مستوحى منهم، أم لا؟ .

2-من هو الصحابي؟ :

و قد يكون من بين من يراد تبرير جرائمه و موبقاته، من كان حين وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» صغيرا جدا، أو لم ير النبي «صلى الله عليه وآله»

ص: 222

1- أضواء على السنة المحمدية ص 349 عن العلم الشامخ للمقبلبي ص 297-312.

2- راجع: مقارنة الأديان (اليهودية) ص 222.

سوى مرة واحدة، في ساعة من نهار، وبصورة عابرة، فجاءت المعالجة من قبل من يهمهم أمر هؤلاء؛ فقررت: أن الصحابي هو كل من صحب النبي «صلى الله عليه وآله» سنة أو شهراً، أو يوماً، أو ساعة، أو رأه [\(1\)](#).

وعدوا من الصحابة صبياناً وأطفالاً رأوا النبي «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح، وفي حجة الوداع، وغيرهما [\(2\)](#).

3- صحابية المرتد:

و حين يجدون: أن بعض من يعز عليهم من الصحابة يرتد عن الدين، ويحارب النبي «صلى الله عليه وآله» ، ثم يعود فيظهر الإسلام كطليحة بن خوبيل، وبعضاً منهم ارتد، وأهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه، كما هو

ص: 223

1- راجع: الكتابة في علم الرواية ص 51 وراجع ص 50 والباعث الحديث ص 179 و 181 (متنا و هامشا) والإصابة ج 1 ص 5 و 7 و 4 و نهاية الوصول ج 3 ص 179 وإرشاد الفحول ص 70 وأضواء على السنة المحمدية ص 352 و تدريب الراوي ج 2 ص 208 و 209 و 215-216 والسنة قبل التدوين ص 387 و مقدمة في علوم الحديث لابن الصلاح ص 263 والخلاصة في أصول الحديث للطبيبي ص 124 و 125 و علوم الحديث لصحي الصالح ص 352 ط 8. و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 4 ص 188 وأسد الغابة ج 1 ص 13، و راجع: الأحكام في أصول الأحكام ج 2 ص 82 و فوائح الرحموت ج 2 ص 158 و سلم الوصول ج 3 ص 180 وعن فتح المغيث ج 4 ص 31 و 32 و عن تلقيح فهوم أهل الآثار ص 27 ب.

2- راجع: الباعث الحديث ص 184 والسنة قبل التدوين ص 392 و معرفة علوم الحديث ص 24 و علوم الحديث لصحي الصالح ص 356 و 357 ط 8 و راجع: سلم الوصول ج 3 ص 180.

الحال بالنسبة لعبد الله بن سعد بن أبي سرح.

وكذا الحال بالنسبة للأشعث بن قيس الذي ارتد عن الإسلام، ثم لما أسر، وأظهر التوبة في عهد أبي بكر أطلقه الخليفة، وزوجه أخته في نفس الساعة [\(1\)](#).

إنهم حين يجدون ذلك، يبادرون إلى ادعاء: أن الصحابي إذا ارتد ذهبته صفاتيه، فإذا عاد إلى الإسلام عادت إليه صفاتيه، من دون حاجة إلى أن يرى النبي «صلى الله عليه وآله» من جديد [\(2\)](#)، أي وتعود إليه عدالته أيضا!

4- السكوت عما شجر بين الصحابة:

لقد كان ولا يزال الجهر بما فعله بعض الصحابة محرجاً، بل مخجلاً لمن يعتقدون لزوم موالاتهم، والارتباط بهم، ويوجب سلب ثقة الناس بأناس يراد لهم أن يتقوّبوا بهم، بل يراد لهم أن يقدسوا بهم.

ولوفرض أنه يمكن إسكات بعض العوام، بواسطة إطلاق بعض الشعارات البراقة والرنانة، أو بواسطة بعض الفتاوى المختلفة، أو بشيء من الترغيب أو الترهيب، فإن ذلك لا يتيسر بالنسبة لجميع الناس، فلا بد من اعتماد أسلوب آخر للخروج من المأزق.

ص: 224

1- راجع: الإصابة ج 1 ص 51.

2- راجع الإصابة ج 1 ص 158 وص 8 وترجمة طليحة وتدريب الراوي ج 2 ص 209 وراجع فواح الرحموت ج 1 وسلم الوصول ج 3 ص 180.

قالوا عن الصحابة: «الواجب علينا أن نكف عن ذكرهم إلا بخير» [\(1\)](#).

وقالوا: ينبغي للقاص «أن يترحم على الصحابة، ويأمر بالكف عما شجر بينهم، ويورد الأحاديث في فضائلهم» [\(2\)](#).

وقد أخذوا على أبي عمر بن عبد البر: أنه قد شان كتابه «الاستيعاب» بذكر ما شجر بين الصحابة [\(3\)](#).

5- من ينتقد الصحابة زنديق:

وحيث لم ينفع الأمر بالسكتوت عما شجر بين الصحابة، فقد لجأوا إلى أسلوب آخر للخروج من المأزق، وهو اتهام من ينتقد الصحابة بالزندة، والخروج من الدين، والإلحاد.

قال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول «صلى الله عليه وآله» عندنا حقيقة، والقرآن حقيقة، وما جاء به حقيقة.

وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ص: 225

1- السنة قبل التدوين ص 397 عن المنهج الحديث في علوم الحديث ص 62 عن شرح مسلم الثبوت.
2- القصاص والمذكرين ص 115.

3- الباعث الحديث ص 179 وعلوم الحديث لابن الصلاح ص 262 وتقريب النواوي (مطبوع مع تدريب الراوي) ج 2 ص 207 و
الخلاصة في أصول الحديث للطبيبي ص 124.

وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى. وهم زنادقة»[\(1\)](#).

وقال السرخي: «من طعن فيهم فهو ملحد، منايند للإسلام، دواؤه السيف، إن لم يتبا»[\(2\)](#).

ومن الواضح: أن حملة الإسلام وتعاليمه إلى الأمم ليسوا هم الوليد بن عقبة ولا مروان بن الحكم، ولا ابن أبي سرح ونظارتهم، وإنما هم علي «عليه السلام» وأهل البيت «عليهم السلام» وأبوزر وسلمان وابن مسعود، وأبي بن كعب ونظارتهم من أعلام الأمة وعلمائها. وما كلام أبي زرعة وغيره هنا إلا مغالطة ظاهرة، لا تسمن ولا تغني من جوع.

6- لا يفسق الصحابي بما يفسق به غيره:

أما بالنسبة إلى المعاشي التي ارتكبواها، ولا يمكن دعوى التأويل والاجتهاد فيها، فقد جاء تبريرها بدعوى: أن الصحابي لا يفسق بما يفسق به غيره[\(3\)](#).

7- حتمية توبة الصحابي:

وإذا ارتكب الصحابي ما يوجب العقاب له أخرويا، مما توعد الله عباده عليه بالعقاب بالنار، ولم يمكن دفع ذلك عنه، لا بدّعوى الاجتهد،

ص: 226

1- الكفاية في علم الرواية ص 49 والسنة قبل التدوين ص 405 عنه.

2- أصول السرخي ج 2 ص 134.

3- السيرة الحلبية ج 2 ص 203 و 204 عن الخصائص الصغرى، عن شرح جمع الجواب و راجع: فتح الباري ج 7 ص 237.

والتأويل، ولا بغير ذلك.

فإن علاج ذلك هو بالقول: إن التوبة حتمية الوقوع ممن يعصي منهم [\(1\)](#).

8- ذنب البدرى يقع مغفورة:

ولبعض الشخصيات مزيد من الأهمية، فلا يمكن تركها تعصي الله ثم تنتظر إلى أن تصدر التوبة منها، وهي قد تتأخر بعض الوقت.

بل لا بد من مغفرة ذنوب هؤلاء فورا، ففتشوا عن تاريخ هؤلاء الأشخاص، فوجدوا أنهم ممن حضر بدرًا وإن لم يعلم عنه أنه قاتل - فجاءت المعالجة لتقدم معيارا جديدا يقول:

إن ما يقع من معاصي لا يحتاج إلى التوبة، إذا كان مرتكب ذلك ممن شهد بدرًا لأن أهل بدر مغفور لهم [\(2\)](#).

9- الصحابة مجتهدون:

اشارة

وكان لا بد من تبرير أخطاء وقع فيها بعض الصحابة، سواء في مواقفهم، أو في فتاواهم، حتى حارب بعضهم بعضا، وأزهقت أرواح كثيرة، وسفكت دماء غزيرة، وخرج بعضهم على إمام زمانه، وقاتلوه، كما جرى في الجمل، وصفين، والنهرونان، فاخترعوا للصحابة مسألة الإجتهداد، فكلهم مجتهدون [\(3\)](#)، ولا اعتراض على المجتهد، بل هو إن أصاب فله

ص: 227

1- راجع: فتح الباري ج 7 ص 238 و السيرة الحلبية ج 2 ص 203.

2- راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه و آله» الجزء الرابع حين الحديث حول غفران ذنب من شهد بدرًا.

3- راجع: التراتيب الإدارية ج 2 ص 364-366.

أجران، وإن أخطأ كان له أجر واحد.

وبهذا أدخلوا معاوية، وطلحة والزبير الجنة، و منحوم المزید من الشواب على ما فعلوه و ما ارتكبوا من جرائم في حق الإمام والأمة. و أصبح من حلل منهم الربا، و شرب الخمر مأجوراً و مثاباً، بل إن خالد بن الوليد، الذي قتل مالك بن نويرة بدون جرم، ثم نزا على زوجته في نفس الليلة مثاب و مأجور على ذلك أيضاً.

والخلاصة: أن المصيّب منهم له أجران، كعليٍّ «عليه السلام» وأصحابه. والمخطئ كمعاوية، و من معه لهم أجر واحد، بل كان ما فعلوه بالاجتهاد، و العمل به واجب، و لا تقسيق بواجب [\(1\)](#).

وبتعبير آخر: «إن جميع من اشترك في الفتنة من الصحابة عدول، لأنهم اجتهدوا في ذلك» [\(2\)](#).

وقال الكيا الطبرى: «وأما ما وقع بينهم من الحروب و الفتنة، فتلك أمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيّب، والمصيّب واحد، و المخطئ معذور، بل مأجور» [\(3\)](#).

ص: 228

1- راجع: فواح الرحموت في شرح مسلم الثبوت ج 2 ص 158 و 156 و سلم الوصول (مطبوع مع نهاية السؤل) ج 3 ص 176 و 177 و السنة قبل التدوين هامش ص 396 و 404 و 405.

2- السنة قبل التدوين ص 404 و راجع: اختصار علوم الحديث (الباعث الحديث) ص 182.
3- إرشاد الفحول ص 69.

أننا نجد البعض لا تطاوعله نفسه على تخطئة الفئة الباغية على إمام زمانها، فيقول: إن عليا «عليه السلام» وأصحابه كانوا أقرب إلى الحق [\(1\)](#).

وكانه يريد أن يوحى للقارئ بأن معاوية قريب أيضاً لكن علياً أقرب، كما أنه بتعبيره هذا يكون قد تجنب التصریح بكون علي «عليه السلام» مع الحق، والحق معه.

ولا نستغرب على هؤلاء مثل هذا البغى والظلم، فإنما هي شنونة أعرفها من آخرم.

وقال المقبلي، ونعم ما قال: «بعد أن تم لهم تعريف الصحابة، ذيلوها باطراح ما وقع من مسمى الصحابي؛ فممنهم من يتستر بدعوى الإجتهاد، دعوى تكذبها الضرورة في كثيرة (كذا) من المواقع، ومنهم من يطلق -ويا عجبه من قلة الحياة- في ادعائهم الإجتهاد لبسراً بن أرطأة، الذي انفرد بأنواع الشر؛ لأنَّه مأمور المجتهد معاوية، ناصح الإسلام في سب علي بن أبي طالب وحزبه. وكذلك مروان، والوليد الفاسق، وكذلك الإجتهاد الجامع للشروط في البيعة ليزيد، ومن أشار بها، وسعى فيها، أو رضي بها» [\(2\)](#).

وللعلامة أبي رية تعلیقات هامة على كلام المقبلي هذا، يذكر فيها فأعلى بعض الصحابة مع رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وأمروا أخرى، فراجع.

ص: 229

1- اختصار علوم الحديث (الباعث الحديث) ص 182.

2- أضواء على السنة المحمدية ص 352 عن الأرواح النواخ (المطبوع مع العلم الشامخ) ص 687 و 688.

كما أن ابن خلدون قد انتقد دعوى اجتهاد جميع الصحابة هذه؛ فقال:

«إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن، العارفين بناسخه ومسوخه الخ..»[\(1\)](#).

10- إجماع الأئمة المحدثين:

وقال مالك بن أنس: «سن رسول الله «صلى الله عليه و آله» و ولادة الأمر بعده سنتنا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز و جل، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، و من استنصر بها منصور، و من خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، و ولاده ما تولى»[\(2\)](#).

وعن عمر بن الخطاب، أنه قال لشريح، حين و لاه القضاء: «إإن لم تعلم كل أقضية رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، فاقض بما استبان لك من أمر الأئمة المحدثين»[\(3\)](#).

وقال الخطيب البغدادي، بالنسبة للأمور التي لم يسمع من النبي «صلى الله عليه و آله» فيها شيء: إن كانوا قد قالوا رأيا و اجتهادا ولم يسمع من النبي «صلى الله عليه و آله» فيه شيء فإجماع الأئمة (الأمة خ ل) على التحليل والتحريم يثبت به الحكم، كأمر النبي «صلى الله عليه و آله»[\(4\)](#).

ص: 230

-
- 1- المقدمة لابن خلدون ص 389.
 - 2- تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 307.
 - 3- شرف أصحاب الحديث ص 7.
 - 4- الكفاية في علم الرواية ص 421-422.

والمراد بالأئمة المحدثين حسب الظاهر هم الخلفاء الثلاثة الأول، ما عدا عليا «عليه السلام»، كما سترى.

11-رأي الصحابي حيث لا نص:

قد ألمحنا سابقا إلى قول الخطيب: إن كانوا قد قالوا رأيا واجتهادا .[\(1\)](#)

وذكر المقرizi أيضا: أن أبا بكر كان يقضي بما كان عنده من الكتاب والسنة، فإن لم يكن عنده شيء، سأله من بحضرته من الأصحاب، فإن لم يكن عندهم شيء اجتهد في الحكم.[\(2\)](#)

وذكر بعض آخر: أن الصحابة كانوا يغيبون عن مجلس النبي «صلى الله عليه وآله»، فكانوا يجتهدون فيما لم يحضروه من الأحكام.[\(3\)](#)

ومهما يكن من أمر: فقد ذهب الأكثرون إلى جواز الاجتهاد في عصر النبي «صلى الله عليه وآله» ووقوعه، وقد ذكروا في ذلك أقوالا كثيرة، وتفصيلات عديدة، فلتراجع في مظانها.[\(4\)](#)

ص: 231

1- الكفاية في علم الرواية ص 421-422.

2- راجع: الخطط والأثار ج 2 ص 332 و تاريخ حصر الاجتهاد ص 90-93 و راجع: الغدير ج 7 ص 119 عن سنن الدارمي ج 1 ص 58 وعن الصواعق المحرقة ص 10 وعن تاريخ الخلفاء ص 71 وعن أعلام المؤمنين ص 19 وعن جامع بيان العلم ج 2 ص 51 وعن ابن سعد في الطبقات.

3- المصادر السابقة.

4- راجع: إرشاد الفحول ص 256 و 257.

12-الاجتهاد في مقابل النص كرامة للصحابه:

و تجد من العلماء من يقول:

إن الصحابة «كانوا مخصوصين بجواز العمل والفتوى بالرأي كرامة لهم، فيجوز لهم العمل بالرأي في موضع النص، وقد فعلوا ذلك في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم ينكر (صلى الله عليه وآله) ذلك عليهم، وهذا من الأمور الخاصة بهم دون غيرهم» [\(1\)](#).

13-الصحابه يشرعون و فتاواهم سنة:

اشارة

و قد رأينا في أحيان كثيرة: أن بعض الصحابة يصرحون بأن ما يفتون به ما هو إلا رأي رأوه، وقد ظهر خطأً كثير منهم في فتاواه و آرائه هذه، و مخالفتها للنص القرآني، ولما ثبت بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله (صلى الله عليه و آله).

فكان لا بد من علاج ذلك، وتلافي سلبياته، فجاءت النظرية الغربية عن روح الإسلام لتقرر: أن للصحابه حق التشريع، وأن فتاواهم سنة، إلا ما أفتى به علي (عليه السلام).

ويوضح ذلك بمراجعة النصوص التالية:

قال أبو زهرة: «وجدنا مالكا يأخذ بفتواهم على أنها من السنة» [\(2\)](#).

و قد رأينا أنهم يعقدون في كتب أصولهم بباب لكون قول الصحابي فيما يمكن فيه الرأي ملحق بالنسبة لغير الصحابي بالسنة.

ص: 232

1- راجع: أصول السرخسي ج 2 ص 134 و 135 ثم إنه ناقش هذه النظرية ورددها.

2- ابن حنبل ص 251-252 و مالك لأبي زهرة ص 290.

وقيل: «إن ذلك خاص بقول الشيختين أبي بكر وعمر»[\(1\)](#).

وخطب عثمان حينما بُويع فقال: إن لكم علىّ بعد كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ثلاثاً: «اتباع من كان قبلني فيما اجتمعتم عليه وسنتكم، وسن سنة أهل الخير فيما لم تنسوا عن ملأ»[\(2\)](#).

وقال البعض: السنة هي: «ما سنه رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» و الصحابة بعده عندنا»[\(3\)](#).

وأمثال ذلك كثير، فراجع كتب أصول الفقه، وكتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص 86-90.

للتـ نظر:

ونعود فنذكر بأن اليهود يقولون: إن أقوال الحاخامات كالشريعة[\(4\)](#).

14-سنة الشيختين والخلفاء سوي علي عليه السلام:

قد تقدم: أنهم يعتقدون ببابا في كتب الأصول يذكرون فيه: أن قول الصحابي فيما يمكن فيه الرأي ملحق بالسنة، وقيل: إن ذلك خاص بقول الشيختين أبي بكر وعمر.

ص: 233

-
- 1- راجع على سبيل المثال: فواحة الرحموت ج 2 ص 186 والتراطيب الإدارية ج 2 ص 366-367 وسلم الوصول في شرح نهاية السؤال ج 4 ص 410 وراجع نهاية السؤال ج 4 ص 410 وأصول السرخسي ج 2 ص 114-115.
 - 2- حياة الصحابة ج 3 ص 505 عن تاريخ الأمم والملوک ج 3 ص 446.
 - 3- أصول السرخسي ج 2 ص 113 وراجع: نهاية السؤال ج 4 ص 416
 - 4- مقارنة الأديان (اليهودية) ص 222 تأليف الدكتور أحمد شلبي.

وقال عمر بن عبد العزيز: «ألا إن ما سنه أبو بكر وعمر، فهو دين نأخذ به، وندعو إليه» .

وزاد المتفقى الهندي: «وما سنه سواهما فإننا نرجيه» [\(1\)](#).

ورووا عن النبي «صلى الله عليه وآلها» قوله: «عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين» [\(2\)](#).

وبهذا استدل الشافعى على حجية قول أبي بكر وعمر [\(3\)](#).

مع أننا قد أشرنا إلى: أن هذا الحديث -لو صحي- فالمقصود بالخلفاء الراشدين هم الأئمة الائعة عشر «عليهم السلام» ، الذين ذكرهم النبي «صلى الله عليه وآلها» مرات كثيرة، كما في صحيح مسلم و البخاري وأبي داود وغير ذلك [\(4\)](#).

والمقصود بسنة الخلفاء هو ما تلقوه عن رسول الله، واستفادوه من كتاب الله من أحكام وسنن وتشريعات.

وأما إخراج عثمان، فلعله لأجل تسهيل إخراج علي، ولعله لأجل

ص: 234

1- كنز العمال ج 1 ص 332 عن ابن عساكر، وكشف الغمة للشغراني ج 1 ص 6 والنص له.

2- راجع: الثقات لابن حبان ج 1 ص 4 ونهاية السؤال ج 3 ص 266 و 267 وسلم الوصول في شرح نهاية السؤال ج 4 ص 410 وأصول السرخيسي ج 1 ص 116 و 114 وإرشاد الفحول ص 33 والأحكام في أصول الأحكام للأمدي ج 4 ص 204 وحياة الصحابة ج 1 ص 12 وعن كشف الغمة للشغراني ج 1 ص 6.

3- راجع المصادر التي في الهاشم السابق.

4- راجع كتابنا: الغدير والمعارضون ص 61-70.

ظهور عوار سلوكه، حتى إن الرعية لم تتحمل سياساته، فقتلته..

ويقول عثمان: «إن السنة سنة رسول الله وسنة صاحبيه» [\(1\)](#).

وفي قضية الشورى يعرض عبد الرحمن بن عوف على أمير المؤمنين علي «عليه السلام» : أن يبأيه على العمل بسنة النبي «صلى الله عليه وآله» ، وسنة الشيختين: أبي بكر وعمر؛ فأبى «عليه السلام» ذلك، فحولت البيعة إلى عثمان [\(2\)](#).

وقد بلغ من تأثير الشيختين على الناس، ونفوذهما فيهم: أنها نجد ربيعة بن شداد لا يرضى بأن يبأي عالياً أمير المؤمنين «عليه السلام» على كتاب الله وسنة رسوله.

وقال: على سنة أبي بكر وعمر.

فقال له «عليه السلام» : «ويلك، لو أن أبياً بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسوله لم يكونا على شيء» [\(3\)](#).

وهذا الكلام لا يعني أن الشيختين قد عملا بكتاب الله وسنة رسوله بل معناه تعليم ذلك الجاهل ما ينبغي أن يكون بديهيًا عنده بغض النظر عن

ص: 235

1- سنن البيهقي ج 3 ص 144 والغدیر ج 8 ص 100 عنه وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 قسم 2 ص 135. وراجع رواية صالح بن كيسان والزهري في تقييد العلم ص 106 و 107 وفي هامشه عن العديد من المصادر.

2- راجع قصة الشورى في أي كتاب تاريخي شئت. وراجع: أصول السرخسي ج 2 ص 114 والأحكام في أصول الأحكام للأمدي ج 4 ص 133.

3- بهج الصباغة ج 12 ص 203.

حقيقة سلوك الشيختين في هذا المجال. .

ومهما يكن من أمر فقد قال ابن تيمية: «فأحمد بن حنبل وكثير من العلماء يتبعون عليا فيما سنته، كما يتبعون عمر وعثمان فيما سناه، وآخرون من العلماء-كمالك وغيره-لا يتبعون عليا فيما سنته. وكلهم متفقون على اتباع عمر وعثمان فيما سناه» [\(1\)](#).

15-سنة كل إمام عادل:

ثم لما مسست الحاجة إلى فتاوى و تبريرات أخرى اقتضتها سياسات الحكماء، و تصدى الحكماء لسن بعض السنن، جاء المبرر الآخر المنسوب إلى ابن عباس، ليكون أكثر قبولاً لدى أهل العلم، وإن كنا لا نوافق على نسبته له، ليقول:

«السنة ستان: من نبي، أو من إمام عادل» [\(2\)](#).

16-سنة و فتوى كل أمير:

و حين زاد تدخل الحكماء في شرع الله، وفي دينه، واتسع نطاقه، و تعدى دائرة الخلفاء، و كان لا بد من تبرير ذلك أيضاً، قالوا: إنه بعد موت أبي بكر، وفتح سائر البلاد في عصر عمر، وبعد ذلك، تزايد تفرق الصحابة في البلاد. فكان أمير كل بلد يجتهد، ولو لم يكن فيها صاحب [\(3\)](#).

ص: 236

1- منهاج السنة ج 3 ص 205 وقواعد في علوم الحديث ص 446.

2- كنز العمال ج 1 ص 160 عن الديلمي في الفردوس.

3- راجع: الخطط والآثار للمقرئي ج 2 ص 332 و تاريخ حصر الاجتهاد ص 90 و 92 و 93.

وكانهم يريدون بصياغة الأمور على هذا النحو الإيحاء بأن ذلك قد كان بسبب الضرورة، حيث لم يكن ثمة مخرج إلا ذلك، مع أن المخرج موجود، برأي منهم وسمع وهو الأخذ بقول النبي «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بالتمسك بالعترة.

فإنهم سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها عرق، وهم أحد التقلين، اللذين لن يصل من تمسك بهما.

17-رأي الصحابي أقوى في رأي غيره:

قد عرفنا: أن بعض الصحابة يصدرون فتاوى لم يستندوا فيها إلى آية ولا إلى رواية، وإنما هو الرأي منهم، وهو قد يخطئ ويصيب، وصار ينافق بعضهم بعضاً أحياناً، بل قد نجد التناقض في آراء الصحابي الواحد.

يقول البعض: إن الصحابة كانوا يغيبون عن مجلس النبي «صلى الله عليه وآله»، فكانوا يجتهدون فيما لم يحضروه من الأحكام، ولعدم تساوي هؤلاء المجتهدin في العلوم والإدراكات، وسائر القوى والملكات، تختلف -طبعاً- الآراء والإجتهادات، ثم ترايدت تلك الاختلافات، بعد عصر الصحابة [\(1\)](#).

فكان لا بد من علاج هذه الحالة، وتلافي سلبياتها، فكان أن اخترعوا لنا دعوى: «أن قول الصحابي إن كان صادراً عن الرأي؛ فرأيهم أقوى من رأي غيرهم؛ لأنهم شاهدوا طريق رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بيان

ص: 237

1- راجع: الخطط والآثار للمقرizi ج 2 ص 332 و تاريخ حصر الإجتهاد ص 90 و 92.

أحكام الحوادث، وشاهدوا الأحوال التي نزلت فيها النصوص، والمحال التي تتغير باعتبارها الأحكام. .» [\(1\)](#) ثم قرروا على هذا الأساس لزوم تقديم رأيهم على رأينا، لزيادة قوة في رأيهم.

18- قول الصحابي يعارض الحديث الصحيح:

وإذا خالفت فتوى الصحابي قوله صريحاً، وحديثاً صحيحاً عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فإن مالك بن أنس يعاملهما معاملة المتعارضين.

قال أبو زهرة: «إن مالكا يوازن بينها وبين الأخبار المروية، إن تعارض الخبر مع فتوى صحابي.

وهذا ينسحب على كل حديث عنه «صلى الله عليه وآله» ، حتى لو كان صحيحاً [\(2\)](#).

ونقل عن الشوكاني ما يقرب من ذلك أيضاً [\(3\)](#).

وقال الأسنوي عن قول الصحابي: «فهل يخص به عموم كتاب أو سنة؟ فيه خلاف لأصحاب الشافعی، حکاه الماوردي» .

و«قال في جمع الجوامع: وفي تخصيصه للعموم قوله.

قال الجلال: الجواز كغيره من الحجج. والمنع الخ. .» [\(4\)](#).

وقال ابن قيم الجوزية عن أحمد بن حنبل: «وكان تحريره لفتاوي الصحابة

ص: 238

1- أصول السرخسي ج 2 ص 108.

2- ابن حنبل لأبي زهرة ص 251 ومالك لأبي زهرة ص 290.

3- ابن حنبل لأبي زهرة ص 254 و 255 عن إرشاد الفحول ص 214.

4- نهاية السؤل، وسلم الوصول بها مشه ج 4 ص 408.

كتحري أصحابه لفتاويه ونصوصه، بل أعظم، حتى إنه ليقدم فتاواهم على الحديث المرسل» برجال ثبت [\(1\)](#).

وقال التهانوي: «لا لوم على الحنفية إذا أخذوا في مسألة بقول ابن مسعود وفتواه، وتركوا الحديث المرفوع؛ لاعترافكم بأن فتوى الصحابي هو الحكم وهو الحجة، وإذا تعارض الحديثان يعمل بالترجيح؛ فإن رجح القياس أو مرجع آخر سواه قول الصحابي على الخبر المرفوع، فينبغي أن يجوز عندكم الأخذ بقول الصحابي» .

ولكنه عاد فقال: «إن غالب أقوال الصحابة وفتاواهم كان على سبيل التبليغ عن قول النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، أو فعله أو أمره، وإذا كان كذلك فيجوز للمجتهد أن يرجح فتوى الصحابي على المرفوع الصریح أحياناً، إذا ترجح عنده كون فتوى الصحابي مبنية على جهة التبليغ دون الرأي» [\(2\)](#).

ولكن مراجعة فتاوى الصحابة توضح عدم صحة قوله: إنها كانت على سبيل التبليغ، لكنه أراد تخفيف قبح هذا العمل.

19- عمل الصحابي يوجب ضعف الحديث:

قال التهانوي: «عمل الصحابة أو صحابي بخلاف الحديث يوجب الطعن فيه، إذا كان الحديث ظاهرا عليهم أو عليه» [\(3\)](#).

ص: 239

1- أعلام الموقعين ج 1 ص 29.

2- قواعد في علوم الحديث ص 460 و 461.

3- قواعد في علوم الحديث ص 202.

وقال السرخسي: «أما ترك العمل بال الحديث أصلا، فهو بمنزلة العمل بخلاف الحديث، حتى يخرج به عن أن يكون حجة» [\(1\)](#).

20- مراasil الصحابة:

كثيراً ما نجد أنهم قد نسبوا إلى بعض الصحابة أموراً يدعى أنهم شهدوها، أو سمعوها من النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أو من غيره، تهدف إلى تأييد اتجاه سياسي، أو مذهبي معين، ثم يظهر البحث العلمي أن أولئك الصحابة ما كانوا قد ولدوا في تلك الفترة، أو ما كانوا موجودين في بلد الحدث، أو حين صدور ذلك القول أو الفعل، فتأتي قاعدة جديدة لتحليل المشكل، وتحسم الأمر لصالح ذلك الاتجاه السياسي أو المذهب.

حيث تقرر كما ذكره جماعة: أن مرسلات الصحابة حجة.

ثم يحاولون تبرير هذه القاعدة بدعوى لا تثبت أمام النقد العلمي الصحيح فيقولون:

لأن الظاهر: أن ذلك الصحابي قد سمع بذلك من النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، أو من صحابي آخر سمعه من النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، بل لقد قبل بعضهم مراasil التابعين، وتابعهم التابعين أيضاً [\(2\)](#).

وكان أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ يَقُولُ عَنِ الصَّحَّافَةِ وَالْتَّابِعِينَ عَلَى

ص: 240

1- أصول السرخسي ج 2 ص 7.

2- راجع تفصيل ذلك في: إرشاد الفحول ص 64 و 65 والخلاصة في أصول الحديث ص 67 والكتفافية في علم الرواية ص 385 و 384 و
راجع ص 404 و قواعد في علوم الحديث للتهانوي ص 138.

21- تصويب الصحابة وغيرهم في اجتهاد الرأي:

اشارة

قد يقال: إن الاجتهاد معناه:

أن المجتهدين قد يصيرون في اجتهادهم، وقد يخطئون؛ فلا بد لنا نحن من معرفة الصواب من الخطأ في ذلك. فإن الاجتهاد إذا كان عذرا لهم إذا أخطأوا فليس عذرا لنا في متابعتهم على الخطأ، ولا سيما بعد ظهوره لنا.

فجاء العلاج ليقول: أما بالنسبة لفتاواهم في الأحكام، فإنهم مصيرون جمیعاً في اجتهادهم؛ فقد قال الشهاب الهیشمي في شرح الھمزیة على قول البوصیری عن الصحابة: «کلھم فی أھکامه ذو اجتھاد-أی صواب- وکلھم أکفاء» [\(2\)](#).

وأما بالنسبة لما جرى بين الصحابة من الفتنة، فهو أيضاً اجتهاد منهم؛ وقد يقال بصواب هذا الاجتهاد من الجميع أيضاً، فقد قال الأمدي: «وعلى هذا، فإما أن يكون كل مجتهد مصيباً، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ في اجتهاده، وعلى كلا التقديرین، فالشهادة والرواية من الفریقین لا تكون مردودة، أما بتقدير الإصابة فظاهر، وأما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع» [\(3\)](#).

ص: 241

1- الكفاية في علم الرواية ص 392 وقواعد في علوم الحديث للتهاوني ص 139 و 141.

2- التراتیب الإداریة ج 2 ص 366 و راجع ص 364 و 365.

3- الأحكام في أصول الأحكام ج 2 ص 82 والسنة قبل التدوین ص 404 عنه.

وعن العنبرى فى أشهر الروايتين عنه: «إنما أصوب كل مجتهد فى الذين يجمعهم الله. و أما الكفرة فلا يصوبون» [\(1\)](#).

وقال الشوكانى: «ذهب جم إلى أن كل قول من أقوال المجتهدين فيها (أى في المسائل الشرعية التي لا قاطع فيها) حق وأن كل واحد منهم مصيب، و حكاه الماوردي و الروياني عن الأكثرين.

قال الماوردي: و هو قول أبي الحسن الأشعري و المعتزلة».

إلى أن قال: «و قال جماعة منهم أبو يوسف:

إن كل مجتهد مصيب، وإن كان الحق مع واحد، وقد حكى بعض أصحاب الشافعى عن الشافعى مثله».

إلى أن قال: «فمن قال: كل مجتهد مصيب، و جعل الحق متعددًا بتنوع المجتهدين فقد أخطأ» [\(2\)](#).

و قال حول حجية الإجماع:

«فغاية ما يلزم من ذلك أن يكون ما أجمعوا عليه حقا، ولا يلزم من كون الشيء حقا وجوب اتباعه؛ كما قالوا: إن كل مجتهد مصيب، ولا يجب على مجتهد آخر اتباعه في ذلك الا جهاد بخصوصه» [\(3\)](#).

وقال الأسنوي حول الاجتهاد وفي الواقعه التي لا نص عليها: فيها قولان:

ص: 242

1- إرشاد الفحول. ص 259

2- إرشاد الفحول ص 261

3- إرشاد الفحول ص 78

«أحدهما: أنه ليس لله تعالى فيها قبل الاجتهاد حكم معين بل حكم الله تعالى فيها تابع لظن المجتهد.

و هؤلاء هم القائلون بأن كل مجتهد مصيّب، وهم الأشعري، والقاضي، وجمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعزلة الخ»⁽¹⁾.

ونقل عن الأئمة الأربعـة، و منهم الشافعي، التخـطـة و التصـوـيـب فراجع⁽²⁾.

22- النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ وَيَخْطُئُ:

لقد أظهرت الروايات التي زعموها تاريخاً لرسول الله «صلى الله عليه و آله» : أن النبي «صلى الله عليه و آله» يجتهد و يخطئ في اجتهاده. و يجتهد عمر فيصيّب، فتنزل الآيات لتصوّب رأي عمر و تخطّئ النبي «صلى الله عليه و آله» كما زعموه في وقعة بدر الكبرى، في قضية فداء الأسرى⁽³⁾ و آية الحجاب و غيرها.

ولأجل ذلك تجد هم يقرّون بأن النبي «صلى الله عليه و آله» يخطئ في اجتهاده، ولكن لا يقرّ على الخطأ⁽⁴⁾.

ص: 243

1- نهاية السؤال ج 4 ص 560 وراجع ص 558 وراجع: الأحكام للأمدي ج 4 ص 159.

2- نهاية السؤال ج 4 ص 567.

3- سياق تفصيل ذلك، وبيان فساده حين الحديث حول غزوة بدر.

4- راجع: أصول السرخي ج 2 ص 318 وص 5 و 96 و 91 و إرشاد الفحول ص 35 ونهاية السؤال ج 4 ص 537 والأحكام في أصول الأحكام ج 4 ص 187 واجتهاد الرسول ص 122-124 عن العديد من المصادر.

ولكن قولهم: إنه «صلى الله عليه وآلها» لا يقرر على خطئه لا يتلاءم مع ما يروونه عنه «صلى الله عليه وآلها» من أخطاء في اجتهاده، مع عدم صدور رادع عنه، كما هو الحال في قصة تأثير النخل، حيث لم يرد ما يرفع خطأه، وقع الناس نتيجة لذلك في الخسارة والفشل فراجع.⁽¹⁾

23- سهو النبي صلّى الله عليه وآلها ونسianne:

وأما بالنسبة لسهو النبي «صلى الله عليه وآلها» ونسianne، واعترافه هو بذلك ⁽²⁾، فذلك حدث عنه ولا حرج.

وستأتي قصة ذي الشماليين، وسهو النبي «صلى الله عليه وآلها» في صلاتة، بعد غزوة بدر إن شاء الله تعالى. فإذا جاز على النبي «صلى الله عليه وآلها» ذلك، فإن أهدافاً كثيرة يمكن تحقيقها عن هذا الطريق، ويمكن تصحيح روایات عديدة تخدم هوسياسياً أو مذهبياً بعينه.

24- عصمة الأمة عن الخطأ:

وإذا كان الرسول «صلى الله عليه وآلها» يخطئ في اجتهاده، فإن الأمة معصومة عن الخطأ، بل سيأتي حين الحديث حول صحة ما في البخاري ومسلم:

أن ظن الأمة لا يخطئ أيضاً، أي أنه إذا حصل إجماع بعد الخلاف؛ فإن ذلك يلغى أي تشكيك بصحة ما أجمعوا عليه، بل لا بد من الحكم بصححته

ص: 244

1- سيأتي الحديث عن قصة تأثير النخل في هذا الكتاب أيضاً إن شاء الله تعالى.

2- راجع على سبيل المثال: إرشاد الفحول ص 35 والأحكام في أصول الأحكام ج 4 ص 187 و 188 و اجتهاد الرسول.

وصوابه، لأن الأمة مخصوصة [\(1\)](#).

وقد واجه القائلون بعصمة الأمة فكرة أن تكون الأمة أعلى رتبة من النبي «صلى الله عليه وآله» ، فكيف وجب عليها طاعته واتباعه؟ !
فأزعجهم ذلك، وحاولوا التخلص منها، فما أفلحوا في ذلك فراجع [\(2\)](#).

25- الإجماع: نبوة بعد نبوة:

وقد يحتاج الحاكم أحياناً من أجل ثبيت سلطانه، وإحكام قبضته على مقدرات الشعوب إلى التصرف في بعض الشؤون العقائدية، أو الفقهية الثابتة، أو المفاهيم الدينية، فيواجه اعترافاً من علماء الأمة، وأهل الفضل والدين.

فلا بد إذن من إيجاد تبرير لما يقدم عليه من تصرف، ومن تغيير في الدين وأحكامه، ورسومه وأعلامه؛ فجاءت القاعدة لتقول: إنه إذا حصل ذلك، واستطاع أن يحصل على موافقة الناس في عصره،

ص: 245

1- راجع: تهذيب الأسماء ج 1 ص 42 وراجع: الإمام ج 6 ص 123 والباعث الحديث ص 35 وشرح صحيح مسلم للنووي (مطبوع بهماش إرشاد الساري) ج 1 ص 28. وراجع: نهاية السؤال ج 3 ص 325 وسلم الوصول ج 3 ص 326 وعلوم الحديث لابن الصلاح ص 24، وإرشاد الفحول ص 82 و 80 والإحكام في أصول الأحكام للأمدي ج 4 ص 188 و 189.

2- راجع: الإحكام في أصول الأحكام ج 4 ص 188. فقيه ما يستفاد منه ذلك، وناقشه بما لا يجدي، وكذا في كتاب: اجتهاد الرسول ص 141 و 142 عن مصادر أخرى.

وإجماعهم، فإن هذا الإجماع يصبح تشریعاً إلهياً، ولا مجال لنقضه، ولا لمعارضته، والاعتراض عليه، إلا بتحصيل إجماع مثله وذلك لأن الإجماع نبأة بعد نبوة [\(1\)](#).

وهو حجة قاطعة للعذر، متى انعقد، وفي أي عصر كان [\(2\)](#).

وكمواذج من ذلك نشير إلى: أن هذا ما حدث بالفعل بالنسبة إلى الخلافة الإسلامية، فقد كان ثمة إجماع على اشتراط القرشية في خليفة المسلمين، حتى جاء السلطان سليم إلى مصر، وخلع الخليفة القرشي، وتسمى هو بالخليفة، وألغى عملياً هذا الشرط، ثم أجمعوا الأمة على إلغائه ولا تزال، وأصبح عدم القرشية من الدين، كما كانت القرشية من الدين في السابق.

26- ظن المقصوم لا يخطئ:

وبعد، فإنه إذا كانت الأمة معصومة، وكان أفراد الصحابة مصيبين في اجتهداتهم كلها ولا يخطئون، فإن ضابطة أخرى لا بد من مراعاتها، لأنها تفع في حل مشكلات كثيرة تواجههم.

ص: 246

1- راجع: المنتظم ج 9 ص 210 والإمام ج 6 ص 123 والاحكام في أصول الأحكام ج 1 ص 204 و 205 وبحوث مع أهل السنة والسلفية ص 27 عن المنتظم.

2- راجع: الإحکام في أصول الأحكام ج 1 ص 208 وتهذيب الأسماء ج 1 ص 42 والنشر في القراءات العشر ج 1 ص 7 و 33 و 31. أي كتاب أصولي، يبحث حول حجية الإجماع، وفق مذاق أهل السنة.

وهي قاعدة: ظن المقصود عن الخطأ، لا يخطئ [\(1\)](#).

وسيأتي استدلالهم بهذه القاعدة في مورد حساس في هذا البحث بالذات.

27- اجتهاد الفقهاء يقدم على النص:

و حين ظهر أن كثيرا من اجتهادات أئمة المذاهب تخالف النص الوارد عن رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، فقد أجازوا مخالفته نص رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، والالتزام بآراء أئمة مذاهبيهم.

فقد قال البعض، وهو يتحدث عن الشافعية: و العجب منهم من يستجيز مخالفته الشافعي لنص له آخر في مسألة بخلافه، ثم لا يرون مخالفته لأجل نص رسول الله «صلى الله عليه و آله» [\(2\)](#).

ونقول: إن ملاحظة طريقتهم في التعامل مع الحديث، ومع فتاوى أئمتهم تعطينا:

أن ذلك لا ينحصر بالشافعى وأصحابه، بل هو ينسحب على غيرهم من أتباع المذاهب الأخرى الأربع، وغيرها أيضا.

وقد أحصى ابن القيم في أعلام الموقعين حوالي مئة حديث لم يأخذ بها مقلدة الفقهاء، حسبما يتضح من مراجعة الأحاديث المبثوثة في الكتب المعتبرة لدى أهل السنة.

ص: 247

1- الباعث الحيث ص 35 وعلوم الحديث لابن الصلاح ص 24 وشرح صحيح مسلم (بها مش إرشاد الساري) ج 1 ص 28.

2- مجموعة المسائل المنيرية ص 32.

وذكر سبط ابن الجوزي جملة من أحاديث الصحيحين لا يأخذ بها الشافعية، لما ترجم عندهم مما يخالفها، ورد أبو حنيفة على رسول الله أربع مئة حديث أو أكثر.

وفي رواية: ورد مئتي حديث.

بل قال حماد بن سلمة: إن أبا حنيفة استقبل الآثار والسنن فردها برأيه [\(1\)](#).

28-القياس، و الرأي، و الاستحسان:

ثم ومن أجل سد النقص الناتج عن ابتعاد الناس عن حديث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، وابتعادهم عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» ، فقد قرروا إجازة العمل بالقياس، والرأي، والاستحسان، وما إلى ذلك.

وقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري:

«فاعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور بعضها ببعض، أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق، فاتبعه، واعمد إليه» [\(2\)](#).

وقال لشريح: «إِنَّمَا تَعْلَمُ كُلَّ مَا قَضَتْ بِهِ الْأَئِمَّةُ الْمَهْتَدُونَ، فَاجْتَهِدْ رَأِيكَ» .

ص: 248

1- راجع ما تقدم: في أضواء على السنة المحمدية ص 370 و 371.

2- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 155 والكامل في الأدب ج 1 ص 13 وأعلام المؤquinين ج 1 ص 86. وراجع: سنن الدارقطني ج 4 ص 206 و 207 و راجع: المحلبي ج 1 ص 59 و عيون الأخبار لابن قتيبة ج 1 ص 66.

أو قال: «ولم يتبيّن لك في السنة فاجتهد فيه رأيك» [\(1\)](#).

وقد عمل بالرأي كل من أبي بكر، [\(2\)](#) وابن مسعود، وعثمان، وعمر [\(3\)](#) وغيرهم من الصحابة، فراجع.

وقد كان من نتيجة ذلك أن: «استحالـت الشريـعة وصار أصـحـاب الـقـيـاس أصـحـاب شـرـيـعة جـدـيدـة» على حد تعبير ابن أبي الحـدـيدـ المـعـتـزـلـي [\(4\)](#).

وقد أعلـنـ الأئـمـةـ «ـعـلـيـهـمـ السـلـامـ» رـفـضـهـمـ لـهـذـاـ النـهـجـ،ـ وـأـدـانـوـهـ بـشـدـةـ وـإـصـرـارـ،ـ وـرـفـضـهـ غـيـرـهـمـ أـيـضاـ.

وقد قال الشـعـبـيـ فيـ إـشـارـةـ إـلـىـ رـفـضـهـ الـعـمـلـ بـالـرـأـيـ:

ما حدثوك عن أصحاب محمد «صلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـبـنـيـهـ» فـخـذـ بـهـ،ـ وـمـاـ قـالـواـ بـرـأـيـهـمـ،ـ فـبـلـ عـلـيـهـ [\(5\)](#).

وقـالـ اـبـنـ شـبـرـمـةـ:ـ دـخـلـتـ أـنـاـ وـأـبـوـ حـنـيفـةـ عـلـىـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ،ـ فـقـالـ لـهـ جـعـفـرـ:

«اتـقـ اللـهـ،ـ وـلـاـ تـقـسـ الدـيـنـ بـرـأـيـكـ،ـ إـنـاـ نـقـفـ غـدـاـ نـحـنـ وـأـنـتـ،ـ وـمـنـ خـلـفـنـاـ يـبـنـ يـدـيـ اللـهـ تـعـالـىـ،ـ فـنـقـولـ:ـ قـالـ اللـهـ،ـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ «ـصـلـى اللـهـ عـلـيـهـ

ص: 249

1- تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 307

2- الإحـكامـ فـيـ أـصـوـلـ الـأـحـكـامـ جـ 4ـ صـ 162ـ،ـ وـقـدـ تـقـدـمـتـ بـقـيـةـ الـمـصـادـرـ فـيـ فـقـرـةـ رقمـ 11ـ رـأـيـ الصـحـابـيـ حـيـثـ لـاـ نـصـ،ـ فـرـاجـعـ.

3- الإـحـكمـ فـيـ أـصـوـلـ الـأـحـكـامـ جـ 4ـ صـ 162ـ وـالـمـحـلـيـ جـ 1ـ صـ 61ـ.

4- شـرـحـ النـهـجـ جـ 12ـ صـ 84ـ.

5- شـرـفـ أـصـحـابـ الـحـدـيـثـ صـ 74ـ.

وآله»، وقول أنت وأصحابك:

سمعنا ورأينا، فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء [\(1\)](#).

29-ما دل عليه القياس ينسب للنبي صلى الله عليه وآله:

وقد أراد العاملون بالقياس إضفاء هالة من القدسية على آرائهم، وتكريسها كمعيار عملي، ونهج فكري، ثابت ومحبوب، فسمحوا بنسبة ما دل عليه القياس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإن لم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قاله.

يقول البعض: «استجاز بعض فقهاء أهل الرأي نسبة الحكم الذي دل عليه القياس الجلي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نسبة قولية.

فيقولون في ذلك: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : كذا .

ولهذا ترى كتبهم مشحونة بأحاديث متونها بأنها موضوعة؛ لأنها تشبه فتاوى الفقهاء، ولأنهم لا يقيمون لها سندًا [\(2\)](#).

30-لا اجتهاد بعد اليوم:

اشارة

ومن أجل تكريس المذاهب الأربعة، ولكي لا يفكر أحد بالتعمدي عنها، وتكون هي المعيار والضابطة دون سواها؛ فقد قرروا:

أنه لا يحق لأحد أن يجتهد في هذه العصور المتأخرة إلا في حدود

ص: 250

1- شرف أصحاب الحديث ص 76.

2- الباعث الحثيث ص 85 عن السخاوي في شرح ألفية العراقي ص 11 والمتبولي في مقدمة شرحه الجامع الصحيح.

المذهب الذي ينتمي إليه، أو في دائرة خصوص مذاهب الأئمة الأربع، وفق أصول محددة لا مجال للتعدي عنها.

ذكر ابن الصلاح: «أنه يتعمّن تقليد الأئمة الأربع دون غيرهم؛ لأن مذاهب الأربع قد انتشرت، وعلم تقدير مطلقها، وتصنيف عامتها، ونشرت فروعها؛ بخلاف مذهب غيرهم»⁽¹⁾.

وقال الشيخ محمد نجيب المطيعي: (قد بنى ابن الصلاح على ما قاله إمام الحرمين قوله بوجوب تقليد واحد من الأئمة الأربع دون غيرهم).

إلى أن قال: بل الحق: أنه إنما منع من تقليد غيرهم، لأنه لم تبق رواية مذاهبيهم محفوظة.

إلى أن قال: امتنع تقليد غير هؤلاء الأئمة الأربع من الصحابة وغيرهم، لتعذر نقل حقيقة مذاهبيهم، وعدم ثبوته حق الشبه»⁽²⁾.

ونقل محمد فريد وجدي عن بعضهم: أنه بعد الماءتين كان الواجب على كل من المقلدين والمجتهدين المنتسبين أن ينتموا لمذهب واحد معين من المجتهدين المستقلين.

وأما من نشأ من المسلمين بعد المائة الرابعة إلى زمن صاحب كتاب (الإنصاف في بيان سبب الاختلاف)، فهم إما عامي أو مجتهد منتسب، فيجب على العامي تقليد المجتهد المنتسب لا غير، لامتناع وجود المستقل

ص: 251

1- نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ج 4 ص 632.

2- سلم الوصول لشرح نهاية السؤل ج 4 ص 631.

من هذا التاريخ حتى اليوم [\(1\)](#).

من ترك التقليد خرج من الإسلام:

قال التهانوي الحنفي: «و من ترك هذا التقليد، وأنكر اتباع السلف، وجعل نفسه مجتهداً أو محدثاً، واستشعر من نفسه أنه يصلح لاستبطاط الأحكام، وأجوبة المسائل من القرآن والحديث في هذا الرمان، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، أو كاد أن يخلع، فأيم الله لم نر طائفة يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية إلا هذه الطائفة المنكرة لتقليد السلف، الذامة لأهلها الخ..» [\(2\)](#).

وقال المقرizi: «ولي بمصر القاهرة أربعة قضاة، وهم شافعي، ومالك، وحنفي، وحنيلي؛ فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة، حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربع، وعقيدة الأشعري، وعملت لأهلها المدارس، والخوانك، والزوايا، والربط فيسائر ممالك الإسلام، وعودي من تمذهب بغيرها، وأنكر عليه، ولم يول قاض، ولا قبلت شهادة أحد، ولا قدم للخطابة والإمامية والتدريس أحد ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب، وأفتى فقهاء هذه الأمصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب، وتحريم ما عداها، والعمل على هذا إلى اليوم» [\(3\)](#).

ص: 252

1- راجع: دائرة معارف القرن العشرين لوجدي ج 3 ص 223.

2- قواعد في علوم الحديث ص 462.

3- الخطط والآثار للمقرizi ج 2 ص 334.

وقد ذكر ابن الفوطي ما يدل على أن رسم التمذهب بالمذاهب الأربعة في بغداد، والمنع من ذكر آراء غيرهم قد كان قبل هذا التاريخ بحوالي عشرين سنة أو أكثر، فراجع كلامه حول افتتاح المدرسة المستنصرية، ثم رسم تعليم المذاهب الأربعة فيها، والمنع مما عدتها .[\(1\)](#)

وقد كان ابن الصلاح المتوفى سنة 643 هـ . قد أفتى بحرمة الخروج على تقليد الأئمة الأربعة، مستدلا له بإجماع المحققين [\(2\)](#).

تكريس المذاهب بالأموال:

ونقل البعض: أن العباسيين في بغداد طلبوا من أهل المذاهب أموالا، فلم يستطع الشيعة تأمين المال المطلوب، لكن الحنفية، والمالكية، والحنبلية، والشافعية قد دفعوا المال المطلوب لأجل اتساع حالهم، وتسير المال لديهم، وكان ذلك في زمن الشريف المرتضى المتوفى سنة 436 هـ . فآل ذلك إلى تكريس المذاهب في الأربعة، واتفقوا على بطلان ما عدتها، وجوزوا الاجتهاد في المذهب، ولم يجوزوا الاجتهاد عن المذهب [\(3\)](#).

وقد فصل ابن قيم الجوزية أقوال القائلين بانسداد باب الاجتهاد، وزمان ذلك الانسداد، وقولهم: لا يجوز الاختيار بعد الماءتين، وناقش تلك الأقوال، فراجع [\(4\)](#).

ص: 253

1- تاريخ حصر الاجتهاد ص 105-107.

2- المصدر السابق ص 108.

3- راجع: رياض العلماء ج 4 ص 33 و 34.

4- أعلام الموقعين ج 2 ص 275-278. والاجتهاد في الإسلام ص 218-246.

وقد لاحظنا: أنهم، وهم يحكمون على من مارس الاجتهاد، ولم يقلد من يحبون، أو من استشعر من نفسه أنه يصلح لاستنباط الأحكام، بالمرور من الدين، وخلع رقبة الإسلام من عنقه، حسبما تقدم عن التهانوي، قد مهدوا لسد باب الاجتهاد، ولكن بذكاء حينما ناقشوا أو لا مسألة خلو العصر من المجتهد، فلما جوزوه، انتقلوا إلى القول بأن الخلق كالمتفقين على أنه لا مجتهد اليوم.

فقد «حكى الزركشي في البحر عن الأثريين: أنه يجوز خلو العصر من المجتهد، وبه جزم صاحب المحسوب».

قال الرافعي: **الخلق كالمتفقين على أنه لا مجتهد اليوم**.

قال الزركشي: **و لعله أخذه من كلام الإمام الرازى، أو من قول الغزالى في الوسيط: قد خلا العصر من المجتهد المستقل»** (1).

وقد ناقشهم الشوكاني، وأبطل هذا الزعم منهم، فراجع كلامه (2).

ويقول نص آخر: «قد استدل بما صرخ به الإمام حجة الإسلام قدس سره، والرافعي، والفال بأنه وقع في زماننا هذا الخلوق» (أي من المجتهد).

إلى أن قال: «من الناس من حكم بوجوب الخلو من بعد العلامة النسفي، و اختتم الاجتهاد به. وعنوا الاجتهاد في المذهب» .

أما الاجتهاد المطلق، فقالوا: «اختتم بالأئمة الأربع، حتى أوجبوا

ص: 254

1- إرشاد الفحول ص 253.

2- إرشاد الفحول ص 253 و 254.

ومهما يكن من أمر، فإن سد باب الاجتهاد إنما هو لدى فريق معين غير الشيعة، أما شيعة الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام»، وأتباعهم، فهم في غنى عن كل هذا، فهم يفتحون باب الاجتهاد على مصراعيه، ويمارسونه بصورة مطردة على مر التاريخ، وإلى يومنا هذا، وهذه نعمة كبرى، هي نعمة العلم والفهم حباهم الله بها، وحرم الآخرون أنفسهم منها، وقد فيما قيل: على نفسها جنت برافق.

مع تبريرات وجدي:

أما محمد فريد وجدي فقد اعتبر: أن السبب في دعوى انسداد باب الاجتهاد، هو ما طرأ على المسلمين من جمود اجتماعي، وقصور عن فهم أسرار الشريعة، فسروا ذلك بالدعوى المذكورة، وحقيقة أنه مفتوح بنص الكتاب والسنة إلى يوم القيمة.⁽²⁾ لكن ملاحظتنا التي نريد تسجيلها هنا هي:

أولاً: لماذا قصرت أفهام المسلمين عن فهم أسرار الشريعة؟!

وهل دعوى هذا القصور صحيحة من أساسها؟!

ثانياً: ما فائدة فتح باب الاجتهاد، مع وجود ذلك القصور عن الفهم؟!

وماذا يفيد فتح باب لا يجرؤ أحد على الولوج فيه، أو لا يستطيع الولوج أصلاً؟!.

ص: 255

1- فواتح الرحموت ج 2 ص 399 والاجتهاد في الإسلام ص 219.

2- دائرة معارف القرن العشرين ج 3 ص 197.

وقد كنا نحب أن نعرف: إن كان ثمة ارتباط بين ما يقال عن سد باب الإجتهاد لدى هؤلاء، وبين ما يقوله الفريسيون من اليهود، من أنه لا اجتهاد [\(1\)](#).

31- التقديس الأعمى حتى للحديث المكذوب:

أما بالنسبة لما تناقلوه على أنه حديث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، فقد حاولوا إضفاء هالة من التقديس الأعمى عليه، وكأنه نفس كلامه الصادر عنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» مع أن أكثره محضر أخلاق، وتروير.

وقد قدست كتب بأكملها على هذا الأساس، فراجع ما يذكرونه عن صحيح البخاري، وموطأ مالك، وسنن أبي داود، وغير ذلك.

بل لقد حرصوا على المنع من مناقشة الحديث، حتى ولو خالف العقل، والوجдан، وضرورة العقل، والتاريخ القطعي؛ لأن السماح بالمناقشة فيه لسوف يبرر المناقشة ثم التشكيك في أمور هي أكثر أهمية وحساسية بالنسبة إليهم.

وقد تصدى الحكماء لمواجهة ذلك بصورة قوية وصارمة وحازمة، لا سيما وأن ذلك قد مكنهم من توجيه الناس حيثما يريدون، وكيفما يشاوفون، من خلال حفنة من وعاظ المسلمين، لا يتورعون عن الإخلاق والإفتراء، حتى على الله ورسوله، دونما مانع من دين، أو رادع من وجدان.

وقد روى بعض هؤلاء المرتزقة عن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» محااجة

ص: 256

1- راجع: مقارنة الأديان (اليهودية) ص 223.

جرت بين آدم و موسى «عليهما السلام»؛ فحج آدم موسى! فاعتراض البعض بأنه: متى اجتمع آدم و موسى؟ فتدخل الخليفة و دعا بالنطع و السيف ليقتل ذلك المعترض المستفهم، بحجة أنه زنديق يكذب بحديث رسول الله «صلى الله عليه و آله» !![\(1\)](#).

بل لقد كان الاتهام بالزندة هو الوسيلة الميسورة للتخلص حتى ممن لا يرى الصلاة خلف الخليفة العاتي و المتجر [\(2\)](#).

32-أصح الكتب بعد القرآن:

و قد يعترض البعض: بأن في البخاري، و مسلم، وغيرهما من كتب الصحاح أحاديث كثيرة تضمنت ما يخالف الحقائق الثابتة، و صریح العقل و الوجدان.

فجاء الرد: أن البخاري أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله [\(3\)](#).

وماقرئ في كربلة إلا فرجت، ولا ركب به في مركب فغرقت. ويستسقى بقراءته الغمام، وأجمع على قوله، وصحة ما فيه أهل الإسلام [\(4\)](#).

ص: 257

-
- 1- راجع: تاريخ بغداد ج 14 ص 7 و 8 و البداية والنهاية ج 10 ص 215 و البصائر و الذخائر ج 1 ص 81 و تاريخ الخلفاء ص 285.
 - 2- البداية والنهاية ج 10 ص 153.
 - 3- إرشاد الساري ج 1 ص 29.
 - 4- إرشاد الساري ج 1 ص 29. و راجع: تدريب الراوي ج 1 ص 96 و فتح الباري (المقدمة) ص 11 و تذكرة السامع و المتكلم ص 127 (هامش) عن مفتاح السعادة ص 127 وقال: إن السلف و الخلف قد أطبقوا على أنه أصبح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

وقال أبو نصر السجزي: «أجمع أهل العلم و الفقهاء، وغيرهم على أن رجلاً لو حلف بالطلاق: أن جميع ما في كتاب البخاري، مما روی عن النبي ﷺ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد صح عنه، ورسول الله ﷺ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قاله، لا شك فيه، لا يحيث، والمرأة بحالها في حاليه» .[\(1\)](#)

وقالوا: أصح كتب بعد كتاب الله الصحيحان: البخاري، و مسلم [\(2\)](#).
بل قال البعض: «اتفق علماء الشرق و الغرب على أنه ليس بعد كتاب الله أصح من صحيحي البخاري و مسلم» [\(3\)](#).

وعن سenn أبي داود يقول ابن الأعرابي: «لو أن رجلاً لم يكن معه من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب لم ي يحتاج معهما إلى شيء من العلم بتة» [\(4\)](#).

33-هذا الإجماع ظن لا يخطئ:

اشارة

ولعلك تقول: إجماع الأمة على صحة ما في الصحيحين لا يمنع من كون بعض ما فيهما خطأ، لأن حجية الخبر وإن كانت قطعية، ولكن ذلك لا

ص: 258

-
- 1- علوم الحديث، لابن الصلاح ص 22.
 - 2- راجع: فتح الباري (المقدمة) ص 8 و تدريب الراوي ج 1 ص 91 و علوم الحديث لابن الصلاح ص 14 و الخلاصة في أصول الحديث ص 36 و علوم الحديث ومصطلحه ص 396 و الغدير ج 9 ص 35 عن شرح صحيح مسلم للنحوبي.
 - 3- عمدة القاري ج 1 ص 5.
 - 4- راجع: تذكرة السامع و المتكلم (هامش) ص 128 عن تذكرة الحفاظ للذهبي ج 3 ص 210.

يمنع من كون مضمونه مظنونا، لكنه من الظن الذي هو حجة، والظن الحجة قد يخطئ الواقع أيضا.

فيأتيك الرد: «ظن المعصوم عن الخطأ لا يخطئ، والأمة في إجماعها معصومة عن الخطأ» [\(1\)](#).

و حول تلقي الأمة للصحيحين بالقبول قال ابن كثير: «لأن الأمة معصومة عن الخطأ، فما ظنت صحته، و وجب عليها العمل به، لا بد أن يكون صحيحًا في نفس الأمر، وهذا جيد» [\(2\)](#).

رواية الصحاح عن الخوارج والمبتدةة:

و تسجل إدانة لكتب الصحاح خصوصا البخاري و مسلم، وهي روايتم عن الخوارج، والمبتدةة، حتى إن البخاري و مسلما، وسائر أصحاب الصحاح قد روا عن الخوارج والمبتدةة، مثل عمران بن حطان، وهو من أكبر الدعاة إلى البدعة [\(3\)](#)، فإنه مادح ابن ملجم على قتله وصي النبي «صلى الله عليه و آله» عليا «عليه السلام» .

وررووا عن كثريين آخرين من مبغضي علي «عليه السلام» و شانيه، مثل:

بهز بن أسد، و عبد الله بن سالم، و حصين بن نمير، و عكرمة، و قيس بن أبي حازم، و الوليد بن كثير، و عروة بن الزبير، و إسحاق بن سويد، و حرizer

ص: 259

1- علوم الحديث لابن الصلاح ص 24 و شرح صحيح مسلم للنووي (مطبوع بها مش إرشاد الساري) ج 1 ص 28.

2- الباعث الحيث ص 35.

3- الباعث الحيث ص 100.

بن عثمان، وأزهر بن عبيد الله، وزياد بن أبيه، وميمون بن مهران، وأسد بن وداعة، ومحمد بن هارون، ونعميم بن أبي هند، ودحيم، وعبد المغيث الحنبلـي، وخالد بن مسلمة [\(1\)](#) وعليـي بن الجهم [\(2\)](#)، ومحمد بن زيـاد، وعبد الله بن شقيق، والمغيرة بن عبد الله [\(3\)](#)، وعشرات غيرـهم.

وكل هؤلاء، ومن هو علىـ شاكلـتهمـ، قد حكموا لهمـ بالـوثـقةـ، ورووا عنـهمـ، وـعـظـمـوـهـمـ، وـوصـفـوـهـمـ بـكـلـ جـمـيلـ، معـ مـعـرـوفـيـتـهـمـ بـالـنـصـبـ وـالـبغـضـ لـعـلـيـ «ـعـلـيـ السـلـامـ»ـ، وـآلـهـ الـأـطـهـارـ [\(4\)](#).

الرواية عن الرافضة والشيعة:

ومن جهة ثانية، فقد روى أصحاب الصلاح أيضاً لبعض الشيعة والرافضة [\(5\)](#) وقد ذكر الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه طائفـةـ كـبـيرـةـ منـ الشـيـعـةـ، أوـ المـتـهـمـيـنـ بـالـتـشـيـعـ، مـمـنـ روـيـ لـهـمـ أـصـحـابـ الصـلاحـ، فـراـجـعـ.

ص: 260

1- راجـعـ فيـ جـمـيعـ ماـ تـقـدـمـ: الغـدـيرـ جـ 5 صـ 293ـ 295ـ وجـ 7 صـ 273ـ وـمـقـدـمـةـ فـتـحـ الـبـارـيـ صـ 460ـ وـ 461ـ وـ الـكـفـاـيـةـ فـيـ عـلـمـ الـرـوـاـيـةـ صـ 125ـ.

2- راجـعـ: الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ جـ 11 صـ 4ـ وـالـغـدـيرـ جـ 5 صـ 244ـ.

3- راجـعـ: الغـدـيرـ جـ 11 صـ 87ـ وجـ 3 صـ 123ـ وجـ 6 صـ 143ـ وـ 144ـ.

4- راجـعـ: فـتـحـ الـبـارـيـ (ـالـمـقـدـمـةـ)ـ صـ 460ـ وـ 461ـ وـ تـدـرـيـبـ الـرـاوـيـ جـ 1 صـ 328ـ 329ـ.

5- راجـعـ: مـقـدـمـةـ فـتـحـ الـبـارـيـ صـ 460ـ وـ 461ـ وـ راجـعـ: الـكـفـاـيـةـ فـيـ عـلـمـ الـرـوـاـيـةـ صـ 125ـ.

اشارة

فروايتهم عن النواصب والخوارج، والمبتدعة، وعن الشيعة، والرافضة، تتناقض مع قولهم: إن الرواية عن كل هؤلاء لا تصح.

فهم يقولون:

ألف: الخوارج:

عن ابن لهيعة: أنه سمع شيخا من الخوارج يقول بعد توبته:

«إن هذه الأحاديث دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم؛ فإننا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا» [\(1\)](#).

أو قال: «انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه، فإننا كنا إذا تراءينا رأيا، جعلنا له حديثا» [\(2\)](#).

ويلاحظ هنا: أن نفس هذا النص مروي عن حماد بن سلمة، ولكن عن شيخ من الرافضة! [\(3\)](#).

ولما حدث إيسابن معاوية الأعمش بحديث عن بعض الحرورية،

ص: 261

1- لسان الميزان ج 1 ص 10 و 11 و الكفاية للخطيب ص 123 و 128 و آفة أصحاب الحديث ص 71 و 72 و اللالكي المصنوعة ج 2 ص 468 و راجع: العتب الجميل ص 122. وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 29 عن الأولين، وعن الموضوعات لابن الجوزي ص 38 وعن السنة و مكانتها في التشريع للسباعي ص 97.

2- اللالكي المصنوعة ج 2 ص 468.

3- راجع: لسان الميزان ج 1 ص 11.

قال: «تريد أن أكنس الطريق بثوابي، فلا أدع بعراة، ولا خنفباء إلا حملتها؟!» [\(1\)](#).

وقال الجوزجاني عن الخوارج، الذين تحركوا في الصدر الأول، بعد الرسول «صلى الله عليه وآله» : «نبذ الناس حديثهم اتهاما لهم» [\(2\)](#).

ب: أهل البدع:

قد وردت أحاديث رواها أهل السنة أيضا تنهى عن الرواية عن أهل البدع [\(3\)](#) فلتراجع في مظانها.

ج: الشيعة والرافضة:

إن أدنى مراجعة لكتب الرجال على مذاق أهل السنة تظهر: أن أكثر المجروحيين عندهم إنما جرحوهم بالتشيع أو الرفض، وقد اعتبروا ذلك جريمة لا مجال للسكوت عليها، أو التساهل فيها [\(4\)](#).

وسائل مالك عن الرافضة، فقال: لا تكلمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون [\(5\)](#).

ص: 262

1- الكفاية في علم الرواية ص 403 وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 29 عن المحدث الفاضل للرامه مزي ج 1 ص 12.

2- أحوال الرجال ص 34.

3- راجع: لسان الميزان ج 1 ص 10 و 12 و 7 و ميزان الاعتدال ج 1 ص 3.

4- وراجع على سبيل المثال: السنة قبل التدوين ص 443 و 442 والكفاية في علم الرواية ص 123 و 130 و 31.

5- لسان الميزان ج 1 ص 10 و ميزان الاعتدال ج 1 ص 27-28 و مقدمة فتح الباري ص 431 وفتح الباري ج 2 ص 153 وقواعد في علوم الحديث ص 407 و 422.

وعن الشافعى: لم أر أحدا من أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضة [\(1\)](#).

وقال أبو عصمة لأبي حنيفة: «ممن تأمرني أن أسمع الآثار؟! قال: من كل عدل في هواه إلا الشيعة، فإن أصل عقيدتهم تضليل أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله»، ومن أتى السلطان طائعاً الخ..» [\(2\)](#).

وعن شريك: إحمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث، ويستخدمونه دينا [\(3\)](#).

وقال التهانوى: «نحن نعلم: أنهم كذبوا في كثير مما يروونه في فضائل أبي بكر، وعمر، وعثمان.

كما كذبوا في كثير مما يروونه في فضائل علي. وليس في أهل الأهواء أكثر كذباً من الرافضة» [\(4\)](#).

ويقول هارون الرشيد: «طلبت أربعة فو جدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث» [\(5\)](#).

وعن يزيد بن هارون: يكتب عن كل صاحب بدعة، إذا لم يكن داعية

ص: 263

1- الكفاية في علم الرواية ص 126 وراجع لسان الميزان ج 1 ص 10.

2- الكفاية في علم الرواية ص 126.

3- لسان الميزان ج 1 ص 10 و ميزان الاعتلال ج 1 ص 27 و 28.

4- قواعد في علوم الحديث ص 444 وراجع ص 443.

5- شرف أصحاب الحديث ص 55 وراجع ص 78.

إلا الرافضة، فإنهم يكذبون [\(1\)](#).

العلاج المتطور:

كانت تلك بعض أقوايلهم حول هؤلاء وأولئك، وهي تناقض موقفهم منهم، وروايتهم عنهم، فكان علاجهم لهذا المشكل بتقديم عدة ضوابط، رأوا أنها تكفي لدفع الخطر، وتجنب الكثير من الضرر.

ونذكر من هذه المعالجات:

34- رد روایات الشیعة فی المطاعن و الفضائل:

فكل ما فيه تأكيد على الحق، وإظهار له، فيما يرتبط بفضائل علي «عليه السلام»، وكذا فيما يرتبط بما صدر من خصوم أهل البيت «عليهم السلام» من أفاعيل تدينهم، وتظهر بعض مساوئهم، فإنهم لا يقبلونه، ويتهمون الرافضة بالكذب فيه.

إنهم لا يقبلون منهم أي شيء فيه تأييد لمذهب الشيعة، وتفنيد لمذاهب غيرهم.

35- الرافضة لا إسناد لهم:

ومن أجل استبعاد فقهه، ورؤى، و المعارف أهل البيت «عليهم السلام» الذين هم أحد الثقلين اللذين أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالتمسك بهما إلى يوم القيمة، وهم سفيننة نوح التي ينجو من ركبها.

ولكي تبقى الساحة مفتوحة أمام الآخرين ليأخذوا بفتاوي أنس عاشوا، أو قتل: ولدوا بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بعشرين

ص: 264

1- لسان الميزان ج 1 ص 10 و ميزان الاعتدال ج 1 ص 27 و 28.

الستين، ليسوا من أهل بيته، ولا من معدن رسالته، ولا من مهبط الوحي والتذليل.

نعم، من أجل ذلك، نجد لهم يحاولون قطع الصلة بين الرافضة وبين الرسول بالكلية.

فقد قال التهانوي حول المعرفة بالإسناد: «لا ريب أن الرافضة أقل معرفة بهذا الباب، وليس في أهل الأهواء والبدع أحجم منهم به؛ فإن سائر أهل الأهواء، كالمعترلة والخوارج يقتصرُون في معرفة هذا، لكن المعترلة أعلم بكثير من الخوارج، والخوارج أعلم بكثير من الرافضة، والخوارج أصدق من الرافضة».

إلى أن قال: «أهل البدع سلكوا طريقاً آخر ابتدعوها واعتمدوها، ولا يذكرون الحديث بل ولا القرآن في أصولهم إلا للاعتماد، لا للاعتماد.

والرافضة أقل معرفة بل وعناء بهذا، إذ كانوا لا ينظرون في الأسناد، ولا في سائر الأدلة الشرعية والعقلية، هل توافق ذلك أو تخالفه. ولهذا لا يوجد لهم أسانيد متصلة صحيحة قط.

بل كل إسناد متصل لهم؛ فلا بد أن يكون فيه من هو معروف بالكذب، أو كثرة الغلط، وهم في ذلك شبيه باليهود والنصارى، فإنه ليس لهم أسناد».

وقال: والأسناد من خصائص هذه الأمة، وهو من خصائص الإسلام، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة، والرافضة أقل عناء به، إذ كانوا لا يصدقون إلا بما يوافق أهواءهم، وعلامة كذبه أنه يخالف هواهم»⁽¹⁾.

ص: 265

1- قواعد في علوم الحديث ص 443 و 444.

36-رواية ما لا يضر:

وأما رواية الشيعي، وحتى الرافضي لما يؤيد مذهب أهل السنة، أو فقل ما لا يضر بنهجهم، ولا بمذهبهم، فهي مقبولة، بل يمكن أن يصبح الشيعي بل الرافضي من رواة الصاحب أست أيضاً، وبذلك يكون قد جاز القنطرة، كما سرني.

37-حديث الداعية إلى البدعة يرد:

وأما بالنسبة للخوارج والنواصب، وحتى الشيعي والرافضي أحياناً حين يوافق هواهم، ويخدم اتجاههم بزعمهم، فقد قالوا: إن صاحب البدعة إذا لم يكن داعية، أو كان وتاب، أو اعتضدت روایته بمتابع، فإن روایته تقبل، أما إذا كان داعية، فلا خلاف بينهم في عدم قبول روایته [\(1\)](#).

وقيل لا تقبل رواية غير الداعية أيضاً [\(2\)](#).

ص: 266

1- علوم الحديث لابن الصلاح ص 104 و الباعث الحيث ص 99 و إرشاد الفحول ص 51 و فتح الباري (المقدمة) ص 459 و 450 و معرفة علوم الحديث ص 135 والخلاصة في أصول الحديث ص 95 و المجرحون ج 1 ص 168 و الكفاية في علم الرواية ص 121 و 123 و 126-128 و قواعد في علوم الحديث للتهاوني ص 230 و 231 و 402 و 207 و تقريب النووي و شرحه للسيوطى المسماى بتدريب الراوى ج 1 ص 325.

2- الخلاصة في أصول الحديث ص 95 و الكفاية في علم الرواية ص 120 و قواعد في علوم الحديث للتهاوني ص 227-230 و تقريب النووى و شرحه (تدريب الراوى) ج 1 ص 324 و بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 46 عنه وعن الكامل لابن عدي ج 1 ص 39: أو عن: المجرحون ج 2 ص 27 ب وعن المحدث الفاضل ج 1 ص 12.

وبما أن ما تقدم لا يكفي في علاج بعض جهات القضية، لا سيما وأنهم يردون روایات من يتهم بالتشیع، مع أن أصحابهم تروي عن الشیعة، فقد اتجهوا نحو الحديث عن حجم البدعة و مقدارها، فقالوا:

إن كانت البدعة صغرى، جازت الرواية عن أصحابها، وإن كانت كبرى لم تجز؛ فالبدعة الكبرى هي الرفض الكامل، والصغرى كغلو التشیع، أو كالتشیع بلا غلو ولا تحرق [\(1\)](#).

وبذلك يفسحون المجال أمام الرواية عن بعض علمائهم الذين ينسبون إليهم التشیع لمجرد:

أنه روى حديثا في فضل علي «عليه السلام»، أو تكلم في معاوية، كالنسائي، و عبد الرزاق الصنعاني، و الحاكم النيسابوري، و أضرابهم.

39- من روى له الشیخان، جاز القنطرة:

ولكن تبقى مشكلة روایتهم عن بعض المبتدعة، الذين هم من أشد الدعاة إلى بدعهم، مثل عمران بن حطان، وغيره من التواصب والخوارج، فحلوها بطريقة جبرية، وقاطعة، حين قالوا: من روى له الشیخان، فقد جاز القنطرة [\(2\)](#).

ص: 267

1- لسان الميزان ج 1 ص 9 و 10 و ميزان الاعتدال ج 1 ص 30.

2- قواعد في علوم الحديث للتهانوي ص 463 عن أبي الوفاء القرشي في كتاب الجامع الذي جعله ذيلا للجواهر المضية ج 2 ص 428.

وقال الذهبي في ترجمة يحيى بن معين: «وأما يحيى فقد جاز القنطرة (يعني برواية الشيخين له) فلا يلتفت إلى ما قيل فيه، بل قفز من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي -يعني أنه في أعلى مراتب التعديل والتوثيق»⁽¹⁾.

وذكر التهانوي: إن كل من حديث عنه البخاري فهو ثقة، سواء حديث عنه في الصحيح، أم في غيره، وكذا كل من ذكره البخاري في تواريخته، ولم يطعن فيه، فهو ثقة، وكذا كل من حديث عنه مسلم، والنسائي، وأبو داود، أو سكت عنه أبو داود فهو ثقة أيضا⁽²⁾.

40-الخوارج صادقون:

وبعد ما نقدم، فقد حللت مسألة لزوم قبول روايات بعض علماء أهل السنة الكبار، الذي اتهموا بالتشيع، بسبب روایتهم بعض فضائل علي وأهل بيته «عليهم السلام»، أو انتقدوا معاوية وأضرابه، وقبلت أيضاً روايات بعض الشيعة أو الرافضة، التي جاءت منسجمة مع النهج الفكري الذي يتزمه غير الشيعة أيضاً، ثم قبلت أيضاً روايات الصحاح؛ البخاري، ومسلم، والنسائي، وأبي داود، ولكن ذلك كله لا يكفي أيضاً، بل لا بد من تصحيح رواية كل خارجي وناصبي، مع أنهم يدعون: أن هؤلاء أهل بدعة قد ترك أهل السنة حديثهم⁽³⁾.

ص: 268

1- ميزان الاعتدال ج 4 ص 410.

2- لخصنا ذلك من كتاب: قواعد في علوم الحديث للتهانوي ج 2 ص 428.

3- ميزان الاعتدال ج 1 ص 3 ولسان الميزان ج 1 ص 7 و 12.

ومع أن فيهم من يدعوا إلى بدعته، ومن كان داعية إلى بدعته لا تقبل روايته [\(1\)](#).

ومع أنه قد تقدم: أن الخوارج معروفون بوضع الحديث، وقد ترك الناس الرواية عنهم في البداية لذلك.

فعالجووا هذا المشكّل بدعوى: أن «الخوارج أعلم بكثير من الرافضة، والخوارج أصدق من الرافضة، بل الخوارج لا - نعلم عنهم أنهم يتعمدون الكذب، بل هم من أصدق الناس» [\(2\)](#).

وقال أبو داود: «ليس في أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج» [\(3\)](#).

وقال التهانوي: «الخوارج لا يكادون يكذبون، بل هم من أصدق الناس مع بدعتهم وضلالهم» [\(4\)](#).

وقال ابن تيمية: «الخوارج مع مروقهم من الدين فهم أصدق الناس، حتى قيل: إن حديثهم أصح الحديث» [\(5\)](#).

وعمل بعضهم صدقهم بأنهم يقولون بأن مرتكب الكبيرة كافر [\(6\)](#).

ص: 269

1- راجع تفصيل ذلك فيما تقدم وفي لسان الميزان ج 1 ص 10.

2- قواعد في علوم الحديث للتهانوي ص 443.

3- ميزان الاعتدال ج 3 ص 236 والعتب الجميل ص 121 وفتح الباري (المقدمة) ص 432 وج 2 ص 154.

4- قواعد في علوم الحديث ص 444-445.

5- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 29.

6- المصدر السابق ص 28.

ولا ندري كيف صح له هذا التعليل.

وهؤلاء الخوارج أنفسهم قد قتلوا عبد الله بن خباب، وارتكبوا جرائم الزنى، وغيرها مما هو مسطور في تواريχهم؟!

41-الاعتراض، والعداء لأهل الحديث

وحيث طغت مدرسة أهل الحديث، ونشروا في الناس الكثير من الأمور التي يلها العقل والوجدان، والفطرة، وتخالف القرآن.

مثل: نفي عصمة النبي «صلى الله عليه وآله» إلا في التبليغ، عقيدة الجبر، التجسيم والتسيّه، لزوم الخضوع للحاكم الظالم، والمنع من الاعتراض عليه، وغير ذلك من أمور أدخلوها في عقائد المسلمين، وفي تاريχهم، وهي مأخوذة في الأكثر من أهل الكتاب.

ثم واجههم المعتزلة، وغيرهم، ولا سيما الشيعة بالأحاديث الصحيحة والصريحة، التي رووها هم أنفسهم، فأحرجوهم في كثير من الواقع، وفندوا مزاعمهم وأقاويلهم، سواء بالنسبة لكثير من الجهات العقائدية، أم بالنسبة لبعض ما يزعمون أنه أحداث تاريخية، أو غيرها.

فإنهم التجأوا إلى أسلوب التجريح، والمقاطعة على الصعيد الفكري، وقررروا بالنسبة إلى الشيعة رد رواية كل من فيه رائحة التشيع.

وأما بالنسبة للمعتزلة الذين كانوا يتمتعون بالتأييد من قبل عدد من الحكماء، فقد قرروا:

أنه إذا كان الروايني معتزلياً، يناسب أهل الحديث العداء، فلا يسمع كلامه، ولا يعتمد به، لأن كونه معتزلياً، مخالف لأهل الحديث، يجب

ضعفه، وسقوط ما يأتي به!⁽¹⁾

42-خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء:

و من الذين يسمح لهم بالحديث على نطاق واسع عائشة أم المؤمنين، التي نشرت في الناس ألف الأحاديث، التي تصب في اتجاه معين، لا يتلاءم كثيراً مع خط علي «عليه السلام» وأهل بيته.

إن لم نقل: إنه يؤيد الاتجاهات المخالفة له في كثير من الأحيان.

و منعاً لأي ريب أو اعتراض، فقد جاءت الضابطة على صورة حديث منسوب إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يقول: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء»⁽²⁾.

43-أبا هريرة راوية الإسلام:

و من المعلوم: أن أبا هريرة الدوسى يستأثر بأكبر رقم من الروايات التي ينسبها إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، حيث إن له منها، حسب إحصائية ذكرها العالمة أبو رية رحمه الله 5374 حديثا⁽³⁾.

ونحن نجد الطعون تتوجه إلى هذا الرجل، أعني أبا هريرة من كل حدب وصوب، وقد ألفت في ذلك الكتب⁽⁴⁾، وكتبت البحوث.

بل إنك تجد في الطاعنين عليه من هو من كبار الصحابة أيضا؛ وقد قال

ص: 271

1- السنة قبل التدوين ص 443.

2- أضواء على السنة المحمدية ص 127.

3- راجع: كتابه أضواء على السنة المحمدية.

4- راجع كتاب: أبو هريرة لشرف الدين، وكتاب: أبو هريرة شيخ المضير، لأبي رية.

إبراهيم بن سيار النظام: أكذبواه: عمر، وعثمان، وعلي، وعائشة [\(1\)](#).

ورد سعد على أبي هريرة مرة، فوقع بينهما كلام حتى ارتجت الأبواب بينهما [\(2\)](#).

وروي عن عمر بن الخطاب قوله: أكذب المحدثين أبو هريرة [\(3\)](#).

وقد ذكر الذهبي نصوصاً عديدة تقييد: أنهم كانوا يتتجنبون حديث أبي هريرة، ويتكلمون في إثاره من الحديث [\(4\)](#).

وإن أدنى مراجعة لكتاب أبو هريرة شيخ المضيرة للشيخ محمود أبي رية، وكذا كتاب أبو هريرة للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، تغنينا عن ذكر النصوص الكثيرة لذلك.

وبعد كل ما نقدم نقول: لقد رأوا: أن هذه الطعون التي توجه إلى أبي هريرة من كل حدب وصوب، قد تؤدي إلى إحداث خلل كبير في البنية الفكرية لتيار كبير من الناس، فلا بد إذن من مواجهة هذه الهجمة بهجمة مماثلة، ولا مانع من أجل تثبيت الأصول والقواعد من استعمال أسلوب التخويف، والتهويل، بل والسباب، ثم الاتهام بكل عظيمة، وإن لم ينفع ذلك كله في دفع غائلة تلك التجريحات والطعون، فبالإمكان الالتجاء إلى أسلوب تحريض الحكم على أولئك الناس، إذا ما حاولوا التذكير بأقوال

ص: 272

1- تأويل مختلف الحديث ص 132 و السنة قبل التدوين ص 455.

2- سير أعلام النبلاء ج 2 ص 603.

3- السنة قبل التدوين ص 455 عن: رد الدارمي على بشر المرسي ص 132.

4- راجع: سير أعلام النبلاء ج 2 ترجمة أبي هريرة.

السلف و مواقفهم من أبي هريرة راوية الإسلام.

ولعل خير ما يجسد هذا الاتجاه هي أقوال ابن خزيمة التي جمعت ذلك كله، حيث قرر:

أن من يطعن في أبي هريرة: إما معطل جهمي.. وإنما خارجي يرى السيف على أمّة محمد، ولا يرى طاعة خليفة، ولا إمام، أو قدرى، أو جاھل [\(1\)](#).

هذا كله عدا عن رمي الطاعنين على أبي هريرة بالانحراف، والضلالة، وبكثير من أنحاء التوهين والتھجین، والإخراج من الدين، كل ذلك إكرااماً لأبي هريرة، فلأجل عين ألف عين تکرم.

44- لا يعرض الحديث على القرآن:

ومن أجل مواجهة الحالة الناشئة من وجود أحاديث كثيرة، حتى في الصحيحين تخالف القرآن الكريم وتنافيها، الأمر الذي من شأنه أن يخرج القائلين بصحة كل ما في الصحيحين، وكذا ما جاء في غيرهما من أحاديث بأسانيد معتبرة وصحيحة، حسب تقديراتهم، من أجل ذلك، قرروا:

أن الحديث أصل قائم برأسه [\(2\)](#) ولا يعرض على الكتاب العزيز، والأحاديث التي تلزم بعرض الحديث على القرآن هي من وضع الزنادقة، والسنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السنة. (وسيأتي ذلك مع مصادره في الفصل التالي إن شاء الله تعالى).

ص: 273

1- راجع: السنة قبل التدوين ص 467 و 468.

2- مقالات الإسلاميين ج 2 ص 251.

والأجل هذا نجد: «أن كثيراً من أهل الحديث استجازوا الطعن على أبي حنيفة؛ لرده كثيراً من أخبار الأحاديث العدول، لأنَّه كان يذهب في ذلك إلى عرضها على ما اجتمع من الأحاديث، ومعاني القرآن» [\(1\)](#).

45- موافقة أهل الكتاب:

أما ما نرى: أنه قد جاء موافقاً لأهل الكتاب، فهو لا يعني -بالضرورة- أنَّ أهل الكتاب قد تلاعبوها بهذا الدين، وأدخلوا فيه ترهاتهم.

وذلك لوجود ضابطة مزعومة تقول: إنَّ رسول الله ﷺ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ» كان يحب موافقة أهل الكتاب في كلِّ ما لم يؤمر به [\(2\)](#).

رغم أننا قد قدمنا: أنَّ الأمر كان على عكس ذلك تماماً، ولسوف يأتي في هذا الكتاب، حين الكلام حول صيام عاشوراء ما يثبت ذلك أيضاً إن شاء الله تعالى.

46- حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج:

أما بالنسبة للرواية عن بني إسرائيل، وإعطاء الفرصة لأهل الكتاب لبيت سموهم، والعبث بأفكار الناس، وتسريب عقائدهم، وأفكارهم، وحتى أحكامهم الفقهية إلى المسلمين، فليس الذنب في ذلك ذنبهم، وإنما كان ذلك انسجاماً مع الضابطة المقررة، وامتثالاً للمرسوم الذي يقول: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

ص: 274

1- أضواء على السنة ص 370 عن الانتقاء ص 149.

2- راجع: صحيح البخاري ط الميمنية ج 4 ص 67 و السيرة الحلبية ج 2 ص 132 و زاد المعاذ ج 1 ص 165.

وكان رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يحدث عن بنى إسرائيل عامَة ليله حتى يصبح، كما زعموا، وكل ذلك قد تقدم.

47-الحسن والقبح شرعاً لا عقلياً:

وتواجههم أحكام شرعية مزعومة، وأقاويل عقائدية، وأحاديث وأوامر وأمور غير معقوله، ولا مستساغة، من قبيل ما ذهب إليه جمهور الأشاعرة من أن التكليف بغير المقدور و ما لا يطاق صحيح و جائز، بل جوز بعضهم التكليف بالمحال أيضاً⁽¹⁾، واستدلوا على ذلك بما لا مجال لذكره هنا⁽²⁾، واستدل البعض بروايات بدء نزول الوحي أيضاً، كما سيأتي.

فمن أجل مواجهة الضجة التي ربما تشيرها أقاويل من هذا القبيل جاؤوا بضابطة عجيبة غريبة تقول:

إنه لا قبيح إلا ما قبّحه الشرع، ولا حسن إلا ما حسنه الشرع. أما العقل فلا دور له في هذا الأمر، لا من قريب ولا من بعيد، وهذا ما ذهب إليه الأشعري، و من وافقهم⁽³⁾ وبذلك تنحل عندهم كثير من العقد العقائدية، والتاريخية، والفقهية وغيرها، ولا نريد أن نناقش هذه المزعمة هنا، غير أننا نشير إلى أن الشوكاني- وهو من كبار علمائهم- قد اعتبر إنكار

ص: 275

1- راجع: نهاية السؤول (شرح منهاج الأصول) ج 1 ص 315-321 متنا و هامشاً، و ص 345 و 347 و 348 و 353 و إرشاد الفحول ص .(1)⁹

2- راجع: إرشاد الفحول ص 9.

3- راجع: إرشاد الفحول ص 7 و نهاية الأصول ج 1 ص 314 و ص 81 و 85.

48- صوافي النساء:

وقد قلنا في فصل سابق: إنهم من أجل تلافي الإعتراضات على بعض الفتاوى التي كانت تصدر من بعض الرموز الرئيسية، مما يخالفون فيها صريح النص القرآني أو النبوى، الأمر الذي قد يزعزع الثقة بهم، بالإضافة إلى سلبيات أخرى، إنهم من أجل تلافي ذلك، قرروا حصر الفتوى في القضايا السياسية والقضائية الهامة، بالأمراء، وسموها: صوافي النساء.

49- الفتوى لأشخاص بأعيانهم:

وأما سائر ما تبقى من أموره، فقد أوكلت إلى أنس بأعيانهم، وحضر على الآخرين-الذين لا يطمأن إلى ميلهم، أو أهليتهم في مجال تقوية الخط السياسي القائم- حظر عليهم أن يتصدوا للفتوى، أو للرواية، وقد قدمنا بعض ما يوضح ذلك فلا نعيد، ثم قرروا ضابطة أخرى وهي:

50- المنع من الحديث، من روایته، و من كتابته:

وكذا ضابطة:

51- المنع من السؤال عن معاني القرآن:

إلى غير ذلك: من معايير زانفة، وضوابط تهدف إلى حفظ الإنحراف والإحتفاظ به، لا يتسع المقام لذكرها، ولا تسمح الفرصة بتقصيها. ولعل فيما ذكرناه كفاية لمن أراد الرشد والهداية.

ص: 276

الفصل الرابع:

اشارة

الضوابط الصحيحة للبحث العلمي

ص: 277

لا بد من معايير و ضوابط:

وإذ قد اتضح لدينا: أنه قد كان ثمة خطة خبيثة، تستهدف النيل من شخصية النبي العظيم والكريم «صلى الله عليه وآله» ، و من المقدسات الإسلامية، و من كل رموز الإسلام و شعائره، و مبانيه و مآثره؛ فمن الضروري جداً-إذا أردنا تقييم النصوص الروائية والتاريخية النبوية، وكل قضايا الإسلام-أن نعتمد معايير و ضوابط قادرة على إعطائنا الصورة الحقيقية، والأكثر نقاء وصفاء، ثم هي قادرة على إبعاد ذلك الجانب الموبوء والمريض، والمزيف عن دائرة اهتماماتنا، ثم عن محيطنا الفكري، والعملي بصورة كاملة و شاملة، فما هي تلك المعايير؟

و ما هي حقيقة هاتيك الضوابط؟ !

إننا من أجل الإجابة على هذا السؤال نقول بایجاز و اختصار:

أدوات البحث الموضوعي و العلمي:

إن من الواضح: أن ما لدينا من علوم إسلامية، مثل علم الفقه وأصوله، وعلوم القرآن، والكلام، والتاريخ، والنحو واللغة، وغير ذلك قد استخدمنا في بعضه-جزئياً على الأقل-من إرشادات العقل وأحكامه، و من تتبع و دراسة اللغة العربية، من جهات و حيئات مختلفة، إلا

أن معظم ذلك قد جاء من خلال الاستفادة من النص القرآني الكريم، و معرفة حفاظه و دفاته، و سائر ما يرتبط به، ثم ما جاء على شكل روايات، نقلها لنا أناس عن غيرهم، و نقلها هؤلاء عن آخرين أيضاً.

و هكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى النبي «صلى الله عليه و آله» ، أو الإمام «عليه السلام» ، أو أي شخص آخر روى الحدث أو عاينه، أو صدر منه القول أو الموقف.

فإذا أردنا البحث في صحة أو فساد هذا المتنقول، فلا بد لنا من امتلاك أدوات البحث، واستخدام وسائله.

ونزيد أن نوضح هنا: أن وسائل وأدوات البحث العلمي لدى الوعيين من أهل الإسلام، لا تختلف عنها لدى غيرهم من عقلاه البشر جميعاً، فهم يعتمدون نفس المعايير والضوابط التي يعتمدتها سائر العقلاه والحكماء من الناس، إذا أرادوا الوصول إلى ما هو حق و واقع و صحيح، واستبعاد ما هو مزيف، أو محرف، أو مصطنع.

ونحن لا بد لنا من أجل استيفاء البحث من الإشارة إلى بعض تلك الأدوات والوسائل [\(1\)](#)، فنقول:

ص: 280

1- إن محط نظرنا في هذا الفصل وفي سابقه، هو-في الأكثر-النصوص المرتبطة بالنبي «صلى الله عليه و آله» ، والأئمة المعصومين «عليهم السلام» . وما عدا ذلك من قضايا تاريخية فإنه لا يهمنا كثيراً الآن. ونشير هنا إلى أن من المعلوم: أن التاريخ وكل قضايا التراث قد كتبت-في الأكثر-بأيدي غير أمينة، فلا يمكن المبادرة إلى عرضها على أنها تاريخ أو تشريع، أو غير ذلك إلا بعد دراستها بعمق، و تمحيصها بصورة كافية وافية. ونحن نتعرف في الوقت الحاضر أننا غير قادرين على القيام بمهمة بهذه.

قد قدمنا في الفصل السابق نماذج قليلة من معايير وضوابط مزيفة تهدف إلى حفظ الإنحراف، والإحتفاظ به، وترسيخه، وتبريه و تقريره.

ونستطيع أن نستخلص منها مجموعة من القواعد والمنطلقات، أو فقل: المعايير والأطر، التي لا بد من مراعاتها، والإلتزام والتقييد بها في مجالات و مراحل البحث العلمي الموضوعي والتزييه، في النصوص المختلفة التي تحدثنا عن الدين، والعقيدة والشريعة، والسيرة، والموافق الجهادية وغيرها، خصوصا ما كان منها مرتبطة بأقوال و مواقف و أفعال النبي الأكرم «صلى الله عليه و آله» ، والأئمة الطاهرين من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والنقاط التي ذكرناها في ذلك الفصل، وإن كنا لم نذكرها جميعها، وكانت كثيرة و متنوعة، إلا أنها نعيد التذكير ببعضها كنموذج يوضح ما نرمي إليه، فنقول:

1-ليس لأحد حق التشريع، ولا يؤخذ من أحد سوى الله ورسوله، ثم من أمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» بأخذ الشريعة منهم، وهم أهل البيت الأطهار «عليهم السلام» ، الذين هم سفيننة نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق و هوى، و هم أحد الثقلين اللذين لن يصل من تمسك بهما إلى يوم القيمة.

2-إنه لا سنة إلا سنة رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، وسنة الخلفاء الراشدين، وهم خصوص الخلفاء الاثني عشر من أهل بيته الأطهار، الذين أخبر «صلى الله عليه و آله» عنهم-كما رواه البخاري، و مسلم، و أبو داود

3- لا معصوم إلا الأنبياء، ثم الأئمة الاثنا عشر «عليهم السلام»، وكل من عداهم يجوز عليه الخطأ، والسلف، والنسيان وغيره، ولا يصح قولهم: إن الأئمة معصومة، فضلاً عن عصمة أي كان من الناس.

4- لا نبوة لأحد بعد رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، كائناً من كان، فلا يقبل قولهم: الإجماع نبوة بعد نبوة.

5- إنه لا اجتهاد لأحد مع وجود الرسول الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

6- لا اجتهاد في مقابل النص عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، والأئمة الطاهرين «عليهم السلام».

7- إن حديث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لا يعارض بفتوى أو عمل صحابي أو غيره، بل قول الرسول هو المعيار والميزان.

8- دعوى اجتهاد جميع الصحابة مردودة، بل فيهم العالِمُونَ الْجَاهِلُونَ، والذكيُّونَ الْغَبَّيُّونَ . فلا تقبل دعوى اجتهاد واحد منهم إلا بشاهد ودليل.

9- إنه لا قيمة للرأي ولا للاستحسان، ولا للقياس في التشريع، فضلاً عن تقديم أي من هذه الأمور على الآثار والسنن، فضلاً عن صحة نسبة ما دل عليه القياس مثلاً إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

10- يجوز مخالفة كل أحد - حتى أئمة المذاهب - إذا وجد النص عن

ص: 282

1- راجع كتابنا: الغدير والمعارضون ص 61-70.

النبي «صلى الله عليه وآله» على خلافه.

11-أئمة المذاهب كغيرهم من المجتهدين الآخرين، ويجوز لكل أحد أن يجتهد ويخالفهم، ولا يجب الوقوف عند آرائهم.

12-لا تقليد في الأمور الاعتقادية، ولا سيما الأمور الأساسية منها، ولا بد فيها من الدليل القاطع، والبرهان الساطع، ولا يكفي الظن والحدس، بل لا بد من تحصيل اليقين.

13-ليس الصحابة كلهم عدولًا ولا ببرة أتقياء، بل فيهم الورع التقى، وغيره، وما احتاج به البعض لإثبات ذلك لا يكفي، ولا يصح [\(1\)](#).

14-ما يفسق به غير الصحابي يفسق به الصحابي، فلا يصغى لدعوى: أن الصحابي لا يفسق بما يفسق به غيره.

15-مرسلات الصحابة كمرسلات غيرهم، فدعوى حجيتها دون سواها لا تستند إلى دليل معقول، ولا مقبول.

16-إن القرآن وحده هو الكتاب الصحيح مئة بالمائة، وكل كتاب سواه قد يوجد فيه الصحيح والضعيف، والمحرف، والمجهول.

17-لا تكفي صحة سند الرواية بأنها حقيقة واقعة، بل لا بد من ملاحظة سائر المعايير، ليمكن بعد ذلك كله إصدار الحكم عليها، نفياً أو إثباتاً.

18-إننا لا نرى أية قدسية لأي كتاب، إلا بملحوظة ما تضمنه من

ص: 283

1- راجع: صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد ص 70-74 و دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ج 2 ص 253-271 طبع إيران.

حديث الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» مع الالتفات إلى أنه ليس جميع ما في الكتاب كذلك، فقد يكون بعضه مزيجاً و مختلقاً، وبعضه محرفاً أو مصحفاً.

19-إذا كان ثمة حديث موافقاً لما عند أهل الكتاب، فإنه يصبح مشكوكاً فيه، ولا يصح قولهم: إن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان يحب موافقة أهل الكتاب في كل ما لم ينزل فيه شيء، بل عكس ذلك هو الصحيح.

20-دعواهم أن الخوارج صادقون فيما ينقلونه لا تصح، بل الصحيح هو عكس ذلك.

21-دعوى أن الشيعة والروافض يكذبون غير صحيح، وال الصحيح هو العكس.

22-دعوى أن من روى له الشیخان فقد جاز القنطرة ليس لها ما يبررها، بل هم كغيرهم من الرواة، فيهم الثقة، وغير الثقة.

23-الاعتزال والتسيع، والمخالفة لأهل الحديث لا يوجب رد رواية الراوي.

24-الحسن والقبح عقليان، وليسما شرعاً.

25-النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لا يجتهد من عند نفسه.

وبعد ما تقدم نقول: إننا نضيف إلى ما تقدم طائفة من الضوابط التي لا يمكن تجاهلها لأي باحث في التراث الإسلامي؛ وهي التالية:

1- دراسة حال الناقلين:

إن أول ما يطالعنا في الحديث المأثور، أو في النص المزبور هو سنته، الذي يتمثل بمجموعة أسماء تدل على الذين نقلوا الحديث أو الحدث،

لا حق عن سابق. وطبعي أن يكون اهتمام الباحث بادئ ذي بدء منصبا على دراسة حال الناقلين للنص، لتحصيل درجة من الوثوق والاعتماد، ليكون ذلك عذرا أمام الله لو كان خطأ، ولتكون حجة لله تعالى عليه لو أصاب، وليرضى بذلك الوجдан، ويطمئن القلب والضمير له، لو أريد الإقدام والإحجام على أساسه، حيث تكون ثمة حاجة إلى ذلك.

و واضح: أن من عرف عنه: أنه يكذب في خبره، أو لا يدقق ولا يتحقق فيه، فلا يمكن الاعتماد على ما يخبر به إلا بعد تأكيد صحته من مصادر وجهات أخرى.

وكذا الحال بالنسبة لخبر من عرف عنه: أنه ينساق وراء هواه السياسي أو المذهبي، أو يستسلم لمشاعره العرقية، أو يتعصب لبلده، أو لطائفة أو غير ذلك، الأمر الذي يحتم علينا دراسة حالة الرواية لمعرفة ميلهم، وارتباطاتهم السياسية والمصلحية وغيرها، على أن من الضروري الالتفات إلى أن ضعف سند الحديث، لا يعني بالضرورة أنه مكذوب و مجعل، بل ما يعنيه هو أن الخلل في السندي قد أدخل بدرجة الوثيق والاعتماد على النص، فلا بد لتحقيل الوثيق به من طرق ووسائل أخرى.

2-التزام النهج البياني الصحيح:

ومن جهة أخرى، إذا فرض: أن النص صادر عن رئيس الفصحاء والبلغاء؛ فلا بد من التأكد من سلامته في مبنيه اللغوية، وفي أدائه على النهج العربي الصحيح، من حيث التركيب، والتزام قواعد الإعراب، ومراعاة ضوابط الفصاحة والبلاغة فيه، على نحو يليق بمن صدر عنه، وينسجم مع لغته، ونهجه البياني.

3-الانسجام مع الأطروحة و النهج:

وإذا كان النص يتعرض لبيان فكري، أو سلوكي، أو عقيدي، فلا بد أن لا يتعارض مع النهج الفكري، والعقيدي، والسلوكي الذي يلتزم به ذلك الذي أطلق النص، أو صدر عنه الموقف، ما دام أنه عاقل حكيم؛ فمن ينزعه الله عن الجسمية مثلاً لا- يمكن أن يصف الله بأن له أضراساً، ولهوات، وأصابع، وساقاً، وقدماً، وغير ذلك على نحو الحقيقة، كما هو للإنسان وغيره من المخلوقات.

4-الشخصية في خصائصها و مميزاتها:

وإذا كان النص يحكي سلوكاً لشخصية ما، فلا بد أن يكون بحيث يمكن أن يصدر ذلك الفعل أو الموقف من تلك الشخصية، من خلال ما عرف عنها من مميزات وخصائص، ثبتت بالدليل الصحيح والقطعي؛ فلا ينسب الجبن والعبيّ مثلاً لعلي بن أبي طالب، والشح والبخل لحاتم الطائي، والرذيلة والفجور لأنبياء الله سبحانه وآله وأصحابه، ولأنئمة الدين، وأولياء الله.

إذن، على الباحث في السيرة النبوية المباركة: أن يبادر إلى تحديد معالم الشخصية النبوية، ومعرفة ما لها من مميزات وخصائص؛ فإذا ثبت لديه بالدليل: أن هذه الشخصية في أعلى درجات الحكمـة، والعصمة، والشجاعة، والطهر، والحلم، والكرم، والحرم، والعلم، وغير ذلك، متحلّياً بكل صفات النبل والفضل، وجاًعاً لمختلف سمات الجلال والجمال، والكمال، ولسائر المزايا الإنسانية المثلـى-إذا ثبت ذلك، فلا بد من جعل كل ذلك معياراً لأي نص يرد عليه، ويريد أن يسجّل قوله، أو فعلـاً، أو موقفـاً له «صلـى الله عليه وآله» .

فإذا جاء النص منسجماً مع الوضع الطبيعي للشخصية النبوية المثلى، بما لها من خصائص فإنه يكون مقبولاً، بعد توفر سائر شرائط القبول، وإنما علينا إذا رددناه جناح.

فالنص المقبول إذن هو ذلك الذي يسجل الحقيقة كل الحقيقة، دون أن يتأثر بالأهواء السياسية، والمصلحية، ولا بأي من العوامل العاطفية وغيرها، فكما أنها لا يمكن أن تقبل أن يكون مرجع ديني، معروف بالورع والتقوى، قد ألف أغنية أو لحنها، للمغنية الشهيرة فلانة، فكذلك لا يمكن أن تقبل نسبة ما هو مثل ذلك أو أقبح وأشنع منه، إلى ساحة قدس الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله».

5- عدم التناقض بين النصوص:

و مما يفيد في استجلاء بعض نقاط الضعف في النصوص المنقوله، بل وفي حصول اليقين بوجود تصرف سهوي أو عمدي فيها، هو وجود التناقض والتنافي فيما بينها؛ فإن ذلك يشير إلى وجود نص مجعل، أو تعرضه لتصرف فيه، أزاله عن وجنته الصحيحة، الأمر الذي يستدعي مزيداً من الانتباه، وبذل المزيد من الجهد لمعرفة الصحيح من السقيم، وال حقيقي من منها.

6- أن لا يخالف الواقع المحسوس:

و مما يفيد في الاقتراب من واقع النص، مراقبته من حيث موافقته، أو مخالفته لما هو مشاهد محسوس، كما لو ادعى النص: أن أقرب طريق من مكة إلى المدينة يمر عبر الأندلس، أو ادعى: أن مدينة مكة تقع في سنغافورة، أو ادعى أن الشمس تطلع كل يوم من المغرب، أو في وسط الليل، وما إلى

ذلك، مما يدل على أنه نص مكذوب، أو محرف، لا مجال لقبوله، ولا يصلح للاعتماد عليه.

7-أن لا يخالف البديهيات:

و من الواضح: أن هناك بديهيات وضرورات عقلية ثابتة، لا يمكن الإخلال بكل شيء في هذه الحياة، فإذا جاء النص مخالفًا لهذه الضرورات، فلا بد من رده ورفضه، وذلك كما لو ادعى: أن الثلاثة زوج، أو أن الأربعة نصف الخامسة، أو أن الصدرين قد اجتمعا، وما إلى ذلك من أمور، فإن ذلك كله يكون دليلاً على كذب ذلك النص و عدم صدوره من إنسان عاقل واع، فضلاً عن أن يكون صادراً من نبي أو إمام معصوم.

وذلك لأن الإسلام قد أكد على لسان نبيه، ونطق القرآن: أن العقل هو الميزان والمعيار، وقد اهتم بمخاطبته، وإثارته، وجعله الحكم الفصل في الأمور والقضايا، ونعني على كل من لا يهتدى بهداه، ولا يسترضي بنوره في موارد كثيرة و مختلفة.

و مما يلفت النظر هنا: أن هذه المخالفات للضرورات العقلية تكثر في الأمور العقائدية، وفي بعض قضايا التاريخ وغيرها.

و من ذلك قولهم: إن الله عادل حكيم، ولكنه يجبر عباده على أفعالهم، ثم يشينهم أو يعذبهم عليها.

وقولهم: إنه تعالى لا يحده مكان، ولا جهة، ثم يقولون: إن له ساقاً، وقدماء، وأصابع، ولهوات، ونواخذن، إلخ! وأمثال ذلك كثير و خطير؛ فراجع ولاحظ.

8-أن لا يخالف الحقائق الثابتة:

ولا يمكن أيضاً قبول نص يخالف الحقائق العلمية الثابتة بالأدلة القطعية، كالنص الذي يقول: إن الأرض تقوم على قرن ثور. وكذا لو جاء نص يقول: إن الأرض مسطحة، وليس كروية.

ومن ذلك ما لو خالف النص حقيقة ثبتت في علم الرياضيات، أو نحوه، فإنه يرفض ويرد، مهما كان سنته صحيحاً، وحتى إعلامياً أيضاً. وأما إذا خالف نظرية قد شاعت وذاعت، ولكنها لم تصل إلى درجة الشبه القطعي، فإن ذلك لا يكون دليلاً على ضعف النص المنقول، بل يكون وجود هذا النص، من أسباب وهن تلك النظرية، وتقليل احتمالات الوثيق بها، والاعتماد عليها.

9-الإمكانية التاريخية:

أما إذا حمل النص الذي هو مورد البحث تناقضاً مع ما هو الثابت تاريخياً، بصورة قطعية، فإن ذلك يدعو إلى رفضه ورده أيضاً، فإذا كان من الثابت أن الإسراء والمعراج قد حصلا قبل الهجرة، بل حصلاً في السنوات الأولى منبعثة، وثبت أن عائشة إنما انتقلت إلى بيت رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بعد الهجرة؛ فلا يمكن -بعد هذا- تصديق النص الذي ينقل عن عائشة نفسها، أنها قالت: ما فقدت جسد رسول الله في تلك الليلة؛ يعني ليلة الإسراء والمعراج.

ويدخل في هذا أيضاً ما لو ادعى الراوي: أنه سمع أو رأى رجلاً، قد مات قبل أن يولد ذلك الراوي، أو أنه قد ولد بعد وفاته.

والأمثلة التي تدخل في هذا المجال وسابقه كثيرة جداً ومتعددة، كما يعلم بالمراجعة والمقارنة.

10- موافقة الأحكام العقلية و الفطرية:

وإذا كان الكل يعلم: أن جميع ما جاء به رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، و ما صدر عنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وعن الأئمة «عليهم السلام» لا يخالف العقل، ولا يختلف معه، ولا يخالف قضاء الفطرة، ولا يشذ عنها.

فمعنى ذلك: أننا إذا رأينا نصاً ينسب إلى الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، أو إلى أحد الأئمة «عليهم السلام» ، مما يرفضه العقل، وتباه الفطرة السليمة والمستقيمة، فإننا سوف نشك في صحة ذلك النص، حتى إذا لم نجد له تأويلاً مقبولاً، أو معقولاً؛ فإننا لا نتردد في رده ورفضه من الأساس.

ومن ذلك حكم العقل بوجوب أن يكون النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، والإمام «عليه السلام» معصومين من الخطأ، مبررين من الزلل؛ فالنص الذي يريد أن ينسب إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» والإمام «عليه السلام» خطأً أو زلة، لا نتردد في رفضه، ولا نشك في أنه من وضع أعداء الدين، وأصحاب الأهواء، فتصبح العصمة، وسائر أحكام العقل والفطرة حول الذات الإلهية، ومواصفات الشخصية النبوية، وغير ذلك، معايير وضوابط يعرف بها الصحيح من السقيم، وال حقيقي من المزيف، والسليم من المحرف.

11- الانسجام مع الأجواء و المناخات:

وإذا استطاع الباحث أن يكتشف المناخات والظروف، وأن يتعرف على الأجواء السياسية، أو الاجتماعية، وغيرها، وفق ما تتوفر لديه من

وسائل، وإمكانات، فإنه يستطيع أن يكتشف من خلال ذلك انسجام أو عدم انسجام كثير من النصوص مع الواقع الذي استطاع أن يتلمسه، وأن يطلع على خصائصه و مزاياه، وعناصره و خفاياه، ويصبح هذا الفهم أيضاً أحد وسائل المعرفة التي يمكنه الاستفادة منها، والاعتماد عليها، والاستناد إليها في نطاق البحث العلمي والموضوعي.

12-المعيار الأعظم والأقوم:

اشارة

وإذا ثبت لأي من الناس: أن كتاباً ما صحيح كله، ولا يتطرق إليه أي ريب أو شك، فإنه سوف يجعله معياراً لكل ما يرد عليه، فيقبل ما وافقه، ويرد ما خالفه، سواء كان ذلك الكتاب يتحدث عن علم الكيمياء، أم الفيزياء، أم الرياضيات، أم علوم الدين والشريعة، أم أي شيء آخر..

ولا ريب في أن القرآن هو ذلك الكتاب الذي أحكمت آياته، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو المعيار الأقوم، وهو الميزان الأعظم لا يرتاب في ذلك ذو مسكة، أو شعور قوي و سليم، فضلاً عن ذلك، فإن النصوص قد تواترت و تضافرت على الأمر بالعرض على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالفه فاتركوه.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : ما لم يوافق كتاب الله فهو زحرف [\(1\)](#).

ص: 291

1- أصول الكافي ج 1 ص 55 و في الباب روایات كثيرة أخرى، فمن أرادها فليراجعها.

ومن دعاء الإمام السجاد «عليه السلام» عند ختم القرآن: «وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضل من أمم قصد سنته» [\(1\)](#).

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: «إذا حدثكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله» [\(2\)](#) ومثل ذلك كثير عن أهل البيت «عليهم السلام» من طرق شيعتهم.

وأما ما رواه غيرهم في هذا المجال، فهو كثير أيضاً، ونذكر من ذلك النصوص التالية:

1- روى عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال:

تكثر لكم الأحاديث بعدي، فإذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله، فاقبلوه، وما خالف فردوه [\(3\)](#).

2- عن ابن عباس: إذا سمعتموني أحدث عن رسول الله، فلم تجدوه

ص: 292

1- راجع: الصحفة السجادية، الدعاء رقم 42.

2- الميزان في تفسير القرآن ج 3 ص 176 عن الكافي.

3- عن أصول الحنفية للشاشي ص 43 وراجع: كنز العمال ج 1 ص 176 عن ابن عمر عنه «صلى الله عليه وآله». وص 175 و 160 عن ثوبان عنه «صلى الله عليه وآله». والنقل في الجميع عن الطبراني، ومجموع الزوائد ج 1 ص 170 عن ثوبان عنه «صلى الله عليه وآله»، وأصول السرخسي ج 1 ص 315 وج 2 ص 68، مستدلاً به على عدم جواز نسخ الكتاب بالسنة ونهاية السؤل، تعليلات محمد بخيت المطيعي ج 3 ص 173.

في كتاب الله، أو حسنا عند الناس فاعلموا أنني كذبت عليه [\(1\)](#).

3- و عن ابن مسعود: فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه [\(2\)](#).

4- و عن أبي بكر في خطبة له: فإن كانت للباطل غزوة، و لأهل الحق جولة، يغول لها الأثر، و تموت السنن، فالزموا المساجد، و استشروا القرآن [\(3\)](#).

5- عن ابن أبي كريمة، عن جعفر، عن رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، أنه خطب، فقال: إن الحديث سيفشوا علىي، فما أتاكم عنِي يوافق القرآن، فهو عنِي، و ما أتاكم عنِي يخالف القرآن فليس عنِي [\(4\)](#).

6- و عن علي «عليه السلام» : ستكون عنِي رواة يرون الحديث، فاعرضوه على القرآن، فإن وافق القرآن فخذوه، و إلا فدعوه [\(5\)](#).

7- و عن أبي هريرة عن النبي «صلى الله عليه و آله» ما يقرب من ذلك أيضا فراجع [\(6\)](#).

ص: 293

1- سنن الدارمي ج 1 ص 146.

2- المصنف للصنعاني ج 6 ص 112 و راجع خطبة ابن مسعود في ج 11 ص 160 و جامع بيان العلم ج 2 ص 42 و حياة الصحابة ج 3 ص 191 عنه.

3- عيون الأخبار لابن قتيبة ج 2 ص 233 و البيان والتبيين ج 2 ص 44 و العقد الفريد ج 4 ص 60.

4- الأم ج 7 ص 308 وأضواء على السنة المحمدية ص 367.

5- كنز العمال ج 1 ص 176 عن ابن عساكر. وفي تهذيب تاريخ دمشق حديث آخر عن علي «عليه السلام» حول عرض الحديث على القرآن.

6- الكفاية في علم الرواية ص 430.

8- وعن أبي بن كعب رحمة الله، فيما أوصى به رجلاً: اتّخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكماً الخ. .[\(1\)](#)

9- وعن معاذ: فاعرضوا على الكتاب كل الكلام، ولا تعرضوه على شيء من الكلام.[\(2\)](#)

هل السنة قاضية على الكتاب؟ ! :

فما نقدم هو حكم النبي الأعظم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وصحبه، حيث أوجبوا جعل القرآن حكماً ومرجعاً، وميزاناً، يميز به الحق من الباطل، وذلك هو ما يحكم به العقل السليم، والفترة المستقيمة، بعد قيام الدليل القطعي على أن القرآن هو كتاب الله المنزل على نبيه المرسل.

ولكننا وجدنا في مقابل ذلك محاولات جادة و مصراً للمنع عن العمل بالقرآن، وعن الرجوع إليه، وعن اتخاذه حكماً، وميزاناً ومعياراً في كل الأمور، بل لقد منعوا حتى عن السؤال عن معانيه كما هو معلوم، بل لقد جعلوا الحديث المروي مقدماً على كتاب الله، وحاكموا عليه.

وقالوا: «السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة»[\(3\)](#).

ص: 294

1- حلية الأولياء ج 1 ص 253 وحياة الصحابة ج 3 ص 576.

2- حياة الصحابة ج 3 ص 197 عن كنز العمال ج 8 ص 87 عن ابن عساكر.

3- تأويل مختلف الحديث ص 199 وسنن الدارمي ج 1 ص 145 ومقالات الإسلاميين ج 2 ص 324 وج 1 ص 251 وجامع بيان العلم ج 2 ص 234 و 233 وعون المعبد ج 12 ص 356. وراجع: الكفاية للخطيب ص 14 وميزان الاعتدال ج 1 ص 107 ولسان الميزان ج 1 ص 194 ودلائل النبوة للبيهقي ج 1 ص 26 والجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 38 و 39 وراجع: المعتصر من المختصر من مشكل الآثار ج 2 ص 251 ونهاية السؤال للأسنوي ج 2 ص 579-580 وبحوث مع أهل السنة والسلفية ص 67 و 68 عن بعض ما تقدم.

رغم أن الحديث المروي لم يثبت أنه من السنة. . و حتى مع ثبوت ذلك، فإن هذه القاعدة مرفوضة من الأساس.

الأدلة الواهية:

و مما ذكروه في وجه ذلك ما قاله أبو بكر البهقي: «والحديث الذي روی في عرض الحديث على القرآن باطل، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن» [\(1\)](#).

وقال الخطابي عن حديث عرض الحديث على القرآن: «هذا حديث وضعته الزنادقة» [\(2\)](#).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث، يعني ما روی عنه «صلی الله علیه وآلہ» أنه قال: ما أتاكم عنی فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فأنا قلت، وإن خالف كتاب الله فلم أقله، وإنما أنا موافق كتاب الله، وبه هداني الله.

و هذه الألفاظ لا تصح عنه «صلی الله علیه وآلہ» عند أهل العلم ب الصحيح النقل من سقیمه، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم وقالوا:

نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله: قبل كل شيء، و نعتمد على ذلك؛

ص: 295

1- دلائل النبوة للبيهقي ج 1 ص 26.

2- الخلاصة في أصول الحديث للطبيبي ص 85.

فلما عرضناه على كتاب الله، وجدناه مخالفًا لكتاب الله؛ لأنّا لم نجد في كتاب الله: ألا يقبل من حديث رسول الله إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به، والأمر بطاعته، وكذا المخالفة عن أمره جملة على كل حال» [\(1\)](#).

وقال أبو عمر: «قد أمر الله عز وجل بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً مجملأ، لم يقيّد بشيء، كما أمرنا باتباع كتاب الله، ولم يقل: وافق كتاب الله، كما قال بعض أهل الزيف» [\(2\)](#).

وقال يحيى بن معين: عن حديث ثوبان عن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، الأَمْرُ بِعِرْضِ الْحَدِيثِ عَلَى الْقُرْآنِ: «إِنَّهُ مَوْضِعٌ، وَضَعْتُهُ الْزَنَادِقَةَ» .

وقال الأوزاعي: «الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب» .

وقال ابن عبد البر: «إنها تقضي عليه، وتبين المراد منه» .

وقال يحيى بن أبي كثير: «السنة قاضية على الكتاب» [\(3\)](#).

المناقشة:

كان ما تقدم هو كل ما لدى هؤلاء من جهد لرد حديث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، الذي وافقه أبو بكر، وابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ، وابن عباس.

ص: 296

-
- 1- جامع بيان العلم ج 2 ص 233 وإرشاد الفحول ص 33 وراجع هذا النص وغيره، في كتاب: بحوث مع أهل السنة والسلفية ص 67 وسلم الوصول (مطبوع مع نهاية السؤال) ج 3 ص 174.
 - 2- جامع بيان العلم ج 2 ص 233.
 - 3- إرشاد الفحول ص 33. وراجع: سلم الوصول (مطبوع مع نهاية السؤال) ج 3 ص 174.

ورواه عن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» على «عليه السلام»، وأبو هريرة، وثوبان، وجعفر، وابن عمر، هذا عداؤما روي عن أئمة أهل البيت الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد رأينا: كيف لم يتمكنوا من السيطرة على مشاعرهم وانفعالاتهم، وهم يبادرون إلى الحكم على الحديث بالوضع، ثم اكتشفوا الواقعين -بزعمهم- فكانوا هم الزنادقة والخوارج.

ولأندرني متى عقد الخوارج والزنادقة اجتماعهم الذي قرروا فيه وضع هذا الحديث واحتلاقه! كما أنها لا ندرني أين تم هذا الاجتماع! وبرئاسة من من الناس؟ .

ومن الذي أخبر هؤلاء بما دار في ذلك الاجتماع، وبما تمخض عنه! كما أنها لم نستطع معرفة مبررات اتخاذهم قراراً كهذا.

وهل إن عرض الحديث على القرآن يفيد الزنادقة والخوارج؟ ! وكيف؟ ! .

وهل إن عدم عرضه يضرهم؟ ! وكيف؟ !

وأيا كانت الإجابة على الأسئلة الآتية الذكر؛ فإننا نقول:

إن ما ذكره هؤلاء على أنه مبرر لرد حديث عرض الحديث على القرآن، لا يصلح للتبرير، بل هو محض معالطة ظاهرة البطلان، وذلك لما يلي:

أولاً: إن عدم وجدانكم الحكم في كتاب الله لا يعني بالضرورة أن يكون الحكم الذي تعرض الحديث له مخالفًا للكتاب! فلعله يوافقه ولو لعموماته- وأنتم لا تعلمون.

ولأندرني إن كتمت تعتقدون: أن كل الأحكام كلية وجزئية، في أدق

تفاصيلها يجب أن تذكر في القرآن صراحة ونصاً!

أو أنكم ترون لزوم ذكر نص الحديث في القرآن، ليصبح موافقاً له! وإذا كنتم تعتقدون ذلك، فلا-ندرى كم سوف يكون حجم القرآن حينئذ؟! وهل يمكن لأحد حفظه؟! أو حتى الاستفادة منه؟! وكيف؟![\(1\)](#).

ثانياً: إن هذا الحديث ناطر إلى قبول المواقف ورد المخالف، أما ما لا يوافق ولا يخالف، فهو باق تحت أدلة حجية الأخبار.

ثالثاً: إن وجوب قبول الخبر إنما يثبت فيما تحقق أنه صدر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالسماع منه، أو بالتواتر.

أما وجوب عرض الحديث على القرآن، فإنما هو في الحديث الذي يوجد ثمة شك وتردد في ثبوته عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ هو المراد من قوله: إذا روي لكم عني حديث [\(2\)](#) الخ..

ورابعاً: يقول الشافعي، وأكثر أصحابه، وأكثر أهل الظاهر، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل: إن السنة لا تنسخ القرآن، وبه قال الصيرفي، والخلفاف [\(3\)](#).

وروي عن عبد الله بن سيد المنع من ذلك عقلاً.

ص: 298

1- لا بأس بمراجعة ما قاله السرخسي في هذا المقام. أصول السرخسي ج 1 ص 365.

2- سلم الوصول (مطبوع مع نهاية السؤل) ج 3 ص 174.

3- راجع: المستصفى للغزالى ج 1 ص 124 وفواحح الرحموت (مطبوع مع المستصفى) ج 2 ص 78 وإرشاد الفحول ص 191 ونهاية السؤل للأسنيوي ج 2 ص 579-580 متنا و هامشاً. وراجع ج 4 ص 457 وأصول السرخسي ج 2 ص 67-69.

وقال أبو حامد و أبو إسحاق، و أبو الطيب الصعلوكي بالمنع سمعا.

وقيل: ليس يمتنع، لا عقلا ولا سمعا، لكنه لم يقع.

وقال السّبكي: إن قول الشافعي لا يدل على أكثر من هذا [\(1\)](#).

أما نسخ الكتاب بخبر الواحد، فهو لا يقع إجماعا.

إذن، فما معنى أن تكون السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة؟ !!

دليل آخر على عدم العرض على القرآن! ! :

وقال الخطابي: وهو يتحدث حول ما ورد عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، أنه قال:

«لَا أَفْعِنْ أَحَدَكُمْ مَتَكَنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مَا مَرِتْ بِهِ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: مَا نَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ» [\(2\)](#).

قال الخطابي: «في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض

ص: 299

1- راجع نهاية السؤول للأسنوي ج 2 ص 579-580 متنا و هامشا.

2- راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج 1 ص 24 و مصابيح السنة ج 1 ص 158 و 159 و سنن ابن ماجة ج 1 ص 6 و 7 و مسنند أحمد ج 6 ص 8 و ج 4 ص 131 و 132 و مستدرك الحاكم ج 1 ص 108 و 109 و تلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) و الجامع الصحيح للترمذى ج 5 ص 37 و 38 و سنن الدارمى ج 1 ص 144 و سنن أبي داود ج 4 ص 200 و ج 3 ص 170 والإملاء والاستملاء ص 4 و كشف الأستار عن مسنند البزار ج 1 ص 80 و المصنف للصنعاني ج 10 ص 453 والأم ج 7 ص 310، والكافية في علم الرواية ص 8-8

على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» شيء كان حجة بنفسه.

فاما ما رواه بعضهم، أنه قال: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فخذلوه، فإنه حديث باطل لا أصل له.

وقد حكى زكريا الساجي، عن يحيى بن معين، أنه قال: «هذا حديث وضعته الزنادقة» [\(1\)](#).

و نقول: أولاً: إن الرسول الأعظم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إنما يستذكر رد ما اعلم أنه قوله و أمره، ولا يستنكرون عرض الحديث المشتبه به على القرآن للتأكد من صدوره منه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

ثانياً: لقد جاء هذا الحديث ليخبر عما سوف يكون حين وفاته «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وقد تحقق مصداق ما أخبر عنه، وذلك حينما طلب «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أن يأتوه بكتف و دواة ليكتب لهم كتاباً لن يصلوا بعده أبداً، فقال عمر بن الخطاب: «حسيناً كتاب الله» [\(2\)](#).

وهذا يعني: أن عمر بن الخطاب يرى: أن القرآن أصل برأسه، وأنه

ص: 300

1- عن المعبود في شرح سنن أبي داود ج 4 ص 356.

2- راجع: مسنـد أـحمد ج 6 ص 47 و 116 وج 1 ص 90 و 22 و 29 و 32 و 336 و 335 وج 3 ص 346 و صحيح مسلم ج 5 ص 76 و صحيح البخاري ج 4 ص 5 و 173 وج 1 ص 22 والمصنـف لـالـصـنـعـانـي ج 5 ص 438 و 439 و تهذـيب تـارـيخ دـمـشـق ج 6 ص 451. و راجع بقية المصادر في كتابنا: صراع الحرية في عصر المفيد.

غنى عن السنة، وهذا لا يتلاءم مع ما يدعوه هؤلاء.

وثالثاً: إننا لا ندرى كيف نعمل مع هؤلاء؛ فهذا أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعاواية وغيرهم من خلفاء الأمويين، وقريش بصورة عامة لا يرغبون في كتابة الحديث ولا في روايته عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل إنهم يمنعون من ذلك أشد المنع، ويعاقبون من خالف ذلك، ثم يجمعون ما كتبه الصحابة عنه «صلى الله عليه وآله» ويحرقوه.

وذلك على أساس: أن كتاب الله كاف وواف، وعلى حد تعبير عمر بن الخطاب: حسبنا كتاب الله، على أن هؤلاء الذين أصرروا على الاكتفاء بكتاب الله سبحانه، تراهم قد منعوا من تفسيره، ومن السؤال عن معانيه و مراميه [\(1\)](#).

ثم جاء أتباعهم ليقولوا لنا: القرآن غير كاف ولا واف، بل هو إلى السنة أحوج من السنة إليه، ثم يقولون: السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السنة. فلما ذاك هو الصحيح؟

ومن هو المصيب؟

ومن المخطئ يا ترى؟!

فإن كان الكتاب أساساً، وكان كافياً ووافيما، فلما ذا المنع من السؤال عن معانيه، و مراميه؟!

وكيف تكون السنة قاضية عليه؟!

ص: 301

1- راجع: الغدير ج 6 ص 290-293 عن مصادر كثيرة، وكشف الأستار عن زوائد البزار ج 3 ص 70.

وإن كانت السنة مقدمة على الكتاب، فلماذا يمنع من الحديث عن النبي «صلى الله عليه وآله» ، ويعاقب من حدث عنه؟ .

وإذا كان كذلك، فما معنى اجتهاد الصحابة، واجتهاد غيرهم، وما هي وسائل الإجتهاد التي يمكنهم من خلالها كشف الواقع، والوصول إلى أحكام الله سبحانه ما دام أنه لا مجال للإستفادة من القرآن، ولا من السنة؟

ماذا جرى للقرآن؟ !

ولا بعد إذا قلنا: إنه ربما تكون السياسة التي كانت تقضي بالمنع

من السؤال عن معاني القرآن و مراميه قد تركت آثارا عميقه في الناس عبر التاريخ، حيث أصبح الإهتمام بالقرآن يقتصر في الأغلب على الأمور الشكلية فيه، كتحسين الصوت إلى حد التغني به، والإهتمام ببعض حروفه وآياته، ومعرفة الحروف أو الكلمات الموجودة في هذه السورة، والمفقودة في تلك، وإجراء مقارنات وإحصاءات كثيرة ومتعددة في هذا الإتجاه، ثم جاء الإهتمام بالشكل، والخط، والورق، وكيفيات الكتابة، وبالحركات، والإشكال، والنقوش، وما إلى ذلك.

وكان القرآن لم ينزل إلا من أجل أن يتزعم به المقربون، ويردده المردودون بالنغمات الحسان، وبأبدع الألحان.. ويصبح تحفة من التحف، ومن الذخائر التي يتنافس أرباب المال، ورجال الأعمال على اقتتنائها، ثم أصبح القرآن كتاب موت، لا كتاب حياة، يقرأ في الفواتح وعلى القبور، أو يعلق من أجل البركة على الجدران والصدور.

وبعد هذا، فلا نdry أي فائدة تبقى لما اشتمل عليه القرآن من أوامر وزواجر، وقوانين، وتشريعات، سياسية، واجتماعية، وفقهية، وغيرها؟ !

وإذا كان الأمر كذلك، لم يعد كتاب هداية، كما لا يبقى معنى للتذير فيه، فلا معنى إذن لقوله تعالى: هُدٰيٌ لِّلْمُتَّقِينَ [\(1\)](#)، وقوله: يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ [\(2\)](#)، وقوله: أَفَلَا يَتَبَرَّوْنَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلٰى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ ! [\(3\)](#).

وهل يبقى بعد هذا معنى لجعل النبي «صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» القرآن أحد الثقلين اللذين لا يضل من تمسك بهما إلى يوم القيمة؟ !

ولماذا يكلف الله الناس بحفظ وتلاوة هذا القرآن، بما له من حجم كبير، ما دام أن لا ربط له بحياتهم، ودينهم، ومعاشرهم، ومعادهم؟ !

وأخيراً .

لما ذهبت العلماء والمفكرون بتفسير القرآن، وشرح ألفاظه، وبيان معانيه، وكشف مراميه؟ ! إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة، التي لن تجد لدى هؤلاء الجواب المقنع والمفيد والسديد.

قبل الخاتمة:

قد ذكرنا في هذا الفصل بعض الثوابت التي لا بد من الإلزام والالتزام بها في مجال البحث العلمي والموضوعي، إذا أريد الوصول إلى نتائج معقولة، ومحببة، ومرضية للوجدان العلمي والإنساني.

ول يكن ما ذكرناه، وسواء مما لم نذكره مما يقره العقلاة والمنصفون على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، واتجاهاتهم، هو المنطلق لنا في تعاملنا مع كل

ص: 303

1- الآية 2 من سورة البقرة.

2- الآية 9 من سورة الإسراء.

3- الآية 24 من سورة محمد.

ما يرتبط بقضايا الفكر، والعقيدة، والترااث، على كثرة ما فيه من تنوع واختلاف وشمولية.

وبذلك يكون موقفنا قائماً على أساس واقعية، وقويمـة؛ فنرضى بذلك وجداـنا، ونتقرب به إلى ربنا، ونؤكـد به إنسانيـتنا، بالإضافة إلى أنـا نقدم به للأـمة، وللأـجيـال، وللبـشـرـية جـمـعـاء، خـدـمـات جـلـيـ، وفـوـائـد جـسـامـاـ، وـلـا يـضـيـع اللـه أـجـر مـن أـحـسـن عـمـلاـ.

ونعود إلى التذكـير، والـتأـكـيد، على أنـا ذـكرـناـه لـيـس هـوـ كـلـ شـيءـ، فـإـنـ كـلـ نـصـ يـحـمـل مـعـه مـفـاتـيحـ الـبـحـثـ فـيـهـ، وـيـشـيرـ إـلـىـ وـسـائـلـ الـتـعـاـمـلـ مـعـهـ، وـذـلـكـ بـمـلـاحـظـةـ مـاـ فـيـهـ مـنـ عـنـاصـرـ، وـمـاـ تـوـفـرـ فـيـهـ مـنـ خـصـوصـيـاتـ، رـبـمـاـ لـاـ تـوـفـرـ فـيـ نـصـ آـخـرـ، بـلـ ذـاكـ يـحـمـلـ مـعـهـ عـنـاصـرـ آـخـرـ وـيـحـتـاجـ إـلـىـ وـسـائـلـ وـأـدـوـاتـ مـنـ نـوـعـ آـخـرـ.

خاتمة المطاف:

وـبـعـدـ.. إـنـا نـسـتـطـيـعـ بـمـلـاحـظـةـ تـلـكـ الـأـسـسـ مـجـتمـعـةـ أـنـ نـعـرـفـ مـدـىـ قـيـمـةـ تـلـكـ النـصـوصـ الـكـثـيـرـةـ، الـتـيـ تـحـاـولـ أـنـ تـظـهـرـ نـبـيـنـاـ الـأـعـظـمـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـأـلـهـ»ـ بـذـلـكـ الـمـظـهـرـ الصـبـيـانـيـ، الـعـاجـزـ وـالـجـاهـلـ، وـالـمـزـرـيـ وـالـمـهـيـنـ، وـتـعـطـيـ عـلـىـ هـذـاـ الـأـسـاسـ حـجمـهاـ الـطـبـيـعـيـ، وـتـجـدـ مـكـانـهاـ الـحـقـيـقـيـ، فـيـمـاـ بـيـنـ النـصـوصـ الـمـزـيـفـةـ وـالـمـخـتـلـقـةـ.

وـلـاـ تـجـدـ لـهـ بـعـدـ هـذـاـ فـرـصـةـ لـلـتـسـلـلـ بـطـرـيقـةـ أـوـ بـأـخـرـيـ إـلـىـ تـارـيخـ وـفـقـهـ، وـعـقـائـدـ الـمـسـلـمـينـ، بـحـيثـ تـعـطـيـ اـنـطـبـاعـاـ خـاطـئـاـ، لـاـ يـنـسـجـمـ مـعـ رـوـحـ الـإـسـلـامـ وـمـبـادـئـهـ، وـلـاـ مـعـ وـاقـعـ الـمـسـلـمـينـ وـتـارـيخـ نـبـيـهـمـ الـأـكـرمـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـأـلـهـ»ـ، وـالـأـئـمـةـ الـطـاهـرـيـنـ، وـسـائـرـ الشـخـصـيـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ عـبـرـ التـارـيخـ.

أن يـمـكـانـنـا أـن نـقـدـم لـلـأـمـة الـتـرـاث الـنـقـي الـذـي يـكـون بـحـق مـصـدـر فـخـر و اـعـتـزـاز و إـعـجـاب الـمـسـلـمـين جـمـيعـا، و لـلـإـنـسـان أـيـنـما وـجـد و لـأـي فـتـة اـنـتـمـى، و لـنـسـتـفـيدـ منـ ثـمـ الـكـثـير الـطـيـب الـذـي يـسـاعـد عـلـى اـكـتـشـاف عـنـاصـر الـضـعـف و الـقـوـة فـي وـاقـعـنـا الـراـهـن، و الـخـطـأ و الـصـوـاب فـي مـوـقـعـنـا الـحـاضـرـة، مـن أـجـل الـبـنـاء السـلـيـم و الـقـوـي لـلـمـسـتـقـبـل الـمـشـرـق الرـغـيدـ. إـن شـاء اللـه تـعـالـى.

وفي ختام هذا البحث لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر للذين يتحملون عناء قراءته، و يصبرون على ما يواجهونه من صعوبات فيه، سواء من الناحية الفنية، أو من حيث الإجمال في نصوصه، والاختصار فيها، الذي يصل أحيانا إلى درجة الإخلال بإعطاء الصورة الواضحة التي يراد تقديمها لهم، وعرضها عليهم.

كما أني أتقدم لهم بعذر، إذا كانوا يرون أنني قد اقتصرت في إيراد النصوص والشهادة، ولم أتعمد استبعابها، ولا تكثيف مصادرها.

فإن المقصود من طرح هذا البحث هو مجرد تسجيل إشارات لموضوعات هامة و حساسة، قلما حظيت من الباحثين والمؤلفين بما تستحقه من بحث و تمحیص.

كما أنها لم تجد من يتوكى الصراحة و الواضح في عرضها و هي الحقائق الخطيرة التي توفرت الدواعي، ولا تزال، على إخفائها، و إبعادها عن الأضواء، بل و طمسها و التخلص منها بصورة أو بأخرى.

ثم إنني اعتذر للقارئ إذا وجد في هذا البحث بعضنا من الصراحة، التي قلما توجد في بحوث الآخرين التي تناولت هذا الموضوع بالذات،

وآمل أن يتسع صدره لذلك، بل وينشرح ويتهج له، ويكون لي من المشجعين، لا من المثبطين.

وفقنا الله لقول كلمة الحق واعتماد الصراحة والصدق. فإن أئمتنا الأطهار أول من علمنا ذلك.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

والحمد لله، والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطاهرين.

لبنان-25/2/1414هـ.ق.

جعفر مرتضى العاملي

ص: 308

الفهارس

1-الفهرس الإجمالي

2-الفهرس التفصيلي

ص: 309

الفهرس الإجمالي

تقديم 5-14

القسم الأول: مدخل إلى دراسة السيرة

الباب الأول: تدوين التاريخ بين الدوافع والأهداف

الفصل الأول: صفات النبي صلى الله عليه وآله 19-52

الفصل الثاني: سياسات تستهدف الجذور 53-86

الفصل الثالث: أين؟ وما هو البديل؟ 87-132

الفصل الرابع: القصاصون يشقون الناس رسمياً 133-154

الباب الثاني: تدوين التاريخ الآثار والنتائج

الفصل الأول: آثار ونتائج 157-200

الفصل الثاني: لا بد من إمام 201-216

الفصل الثالث: إجراءات وضوابط مشبوهة 217-276

الفصل الرابع: الضوابط العلمية للمبني العلمي 277-308

الفهارس 309-326

ص: 311

2-الفهرس التفصيلي

تقديم الكتاب 5

تنبيه: 8

تقديم 9

بداية: 9

مهمة التاريخ: 10

ونحن هل نملك تاريخا؟! 10

دراسة التاريخ: 11

ماذا نريد؟! 12

ميزات أساسية في تاريخ الإسلام المدقون: 12

البداية الطبيعية لتاريخ الإسلام: 13

القسم الأول: مدخل إلى دراسة السيرة

الباب الأول: تدوين التاريخ بين الدوافع والأهداف

الفصل الأول: صفات النبي صلى الله عليه وآله

صفات النبي صلى الله عليه وآله: 21

أتري هذا هو الرسول؟ ! 21:

ص: 313

سياسات ضد نبي الإسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:27

ما أشبه الليلة بالبارحة:31

سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمْ سَنَةٌ غَيْرُهُ؟ ! 32:

بعض قريش لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:34

ال الخليفة الأموي أفضل من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:35

على خطى الحجاج:37

نظرة الأمويين إلى الحرم والكعبة:38

مقام إبراهيم عليه السلام:39

زمزم أم الخنافس:40

بين الخليفة الأموي وإبراهيم الخليل:40

الحج إلى صخرة بيت المقدس:41

تحويل القبلة:42

تاویلات سقیمة:44

كعبة المتوكل في سامراء:45

الحجاج و القرآن:45

خليفة أموي ينتقم من المصحف:46

لا يجرؤ الناس على الصلاة:47

ما هو إلا ملك! 47:

التحالف على هدم الإسلام: 48

غيب من فيض: 48

الدّوافع والأهداف: 49

الفصل الثاني: سياسات تستهدف الجذور

الأسوة والقدوة: 55

الحث على كتابة الحديث: 56

الصحاباة وغيرهم يكتبون الحديث: 57

عمر و أبو بكر كتبنا الحديث: 59

علي عليه السلام و ولده و شيعته: 60

ملاحظة هامة: 62

في الاتجاه المضاد: 63

المنع من الحديث في عهد الرسول صلّى الله عليه و آله: 64

دّوافع هذه السياسة: 65

المنع عن الحديث بعد وفاة النبي صلّى الله عليه و آله: 65

أهداف هذه السياسة: 66

البادرة الأولى: حسبنا كتاب الله: 66

البادرة الثانية: 67

ذرورة هذه السياسة: 67

إحرق حديث رسول الله صلّى الله عليه و آله: 68

ص: 315

الصلبيون والتراث العلمي الإسلامي: 71

حجۃ عمر تصبح حديثاً نبویاً!: 72

التقلید والمحاکاة: 74

المنع من العمل بالسنة أيضاً: 75

حبس كبار الصحابة في المدينة: 77

الخلف عن السلف: 78

لا قرآن، ولا سنة: 79

قراءة القرآن أيضاً مرفوضة: 80

الدقة في التنفيذ: 81

إلى متى؟ !: 83

الفصل الثالث: أين؟ .. وما هو البديل؟ !

من الذي يفتي الناس؟ !: 89

حصر الفتوى في نوعين من الناس: 90

أولاً: الأمراء: 91

ثانياً: المسموح لهم بالفتوى من غير النساء: 92

1-عائشة: 93

منافسون لعائشة: 94

2-زيد بن ثابت: 94

3-عبد الرحمن بن عوف: 95

ص: 316

4-أبو موسى الأشعري: 95

5-السماح لأبي هريرة بعد المنع: 97

محاولة فاشلة لهم مع علي عليه السلام: 98

من له الفتوى بعد عهد الخلفاء الثلاثة: 98

حظر الرواية على ابن عمر، و ابن عمرو: 99

أسباب المنع: 100

شواهد أخرى: 101

لا بد من أساليب أخرى: 103

تشجيع الشعر والشعراء: 104

تعلم الأنساب: 105

أسرار الأعذار: 107

البديل الأكثر نجاحاً والأمثل: 108

نظرة العرب إلى أهل الكتاب: 109

الإسلام يرفض هيمنة أهل الكتاب: 110

مدارس «ماسكة»: 112

الإصرار إلى حد الاغضاب: 113

كل ذلك لم ينفع: 114

عود على بدء: 115

المرسوم العام: 115

ص: 317

أصل الحديث: 117

خطوة أخرى على الطريق: 117

افتراض لا يجدي: 118

شيوخ الأخذ عن أهل الكتاب: 118

الإرجاعات الصريرة: 120

زاملتا عبد الله بن عمرو بن العاص: 120

لماذا كثرة تلامذة كعب الأحبار؟! 121!

أبو هريرة يروي عن كعب: 122

كعب الأحبار حكمًا: 123

بردة كعب: 124

رشوات كعب: 125

ألف: كعب وخلافة علي عليه السلام: 125

ب: لقب الفاروق: 126

ج: كعب يقرض أبا هريرة: 127

د: محاولة رشوة ابن عباس: 127

ه: كعب يقرض ابن عمرو بن العاص: 128

سحرة بنى إسرائيل يركزون على التوراة: 128

تعظيم وتقديس التوراة: 130

إصرار مسلمة أهل الكتاب على العمل بالتوراة: 131

ص: 318

الفصل الرابع: القصاصون يثقفون الناس رسميا

القصص الحق: 135

الطريقة الذكية: 136

إعطاء الشرعية: 137

حتى النساء: 141

اهتمام الحكم بالقصاصين: 141

القصاصون في خدمة سياسيات الحكم: 144

جرأة القصاصين وسيطرتهم: 146

القصاصون على حقيقتهم: 148

مع تفاصيل أخرى: 150

موقف علي عليه السلام من القصاصين: 151

السائرون على نهج علي عليه السلام: 152

الباب الثاني: تدوين التاريخ . الآثار و النتائج .

الفصل الأول: بين الدوافع والأهداف والآثار و النتائج .

آثار ونتائج: 159

نصوص وشواهد: 161

الهاشميون في زمن السجاد: 164

لا مبالغة ولا تهويل: 164

فضائح لا طلاق: 165

ص: 319

و مما يضحك الشكلي: 169

التركة الموروثة: 171

نظريّة التطوير عند أهل الحديث: 173

الوضع والوضاعون: 176

الحاجة أم الاختراع: 177

الفقه والفقهاء: 178

يعترفون . ثم يتهمون: 179

التجمي على العراقيين: 180

السبب هو السياسة والانحراف عن علي عليه السلام: 181

فشل المحاولات: 182

خلاصات لا بد من قراءتها: 183

لا معايير ولا ضوابط: 183

إنفلات الزمام: 184

أهل الكتاب يمارسون دورهم: 184

إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن الساحة: 184

الالتجاء المبكر إلى الرأي وقياس: 186

أصدق الحديث: 188

الدوفع والأهداف: 188

1-للحليفة مقام الرسول: 189

ص: 320

2-إحراجات لا بد من الخروج منها: 191

3-التأثير بأهل الكتاب: 196

بغضهم لعلي عليه السلام سب آخر: 199

الفصل الثاني: لا بد من إمام

ضرورة وجود الإمام: 203

موقف الأئمة عليهم السلام من رواية الحديث وكتابه: 204

موقف الأئمة عليهم السلام من الإسرائيليات ورواتها: 206

الشيعة في مواجهة الفكر الإسرائيلي: 207

علي عليه السلام يواجه القصاصين بالحقيقة: 209

علي عليه السلام يضرب القصاصين ويطردتهم: 211

موقف سائر الأئمة عليهم السلام من القصاصين: 213

شرط الإجازة للقصاصين: 215

إمتحان القصاصين: 216

الفصل الثالث: اجراءات وضوابط مشبوهة

معايير لحفظ الإنحراف: 219

نماذج يسيرة: 220

1-الصحابة كلهم عدول: 220

لفت نظر: 222

2-من هو الصحابي؟: 222

ص: 321

3- صحابية المرتد: 223

4- السكوت عما شجر بين الصحابة: 224

5- من ينقد الصحابة زنديق: 225

6- لا يفسق الصحابي بما يفسق به غيره: 226

7- حتمية توبة الصحابي: 226

8- ذنب البدرى يقع مغفورا: 227

9- الصحابة مجتهدون: 227

10- إجماع الأئمة المحدثين: 230

11- رأى الصحابي حيث لا نص: 231

12- الاجتهد في مقابل النص كرامة للصحاباة: 232

13- الصحابة يشرعون وفتواهم سنة: 232

لفت نظر: 233

14- سنة الشيوخين والخلفاء سوى على عليه السلام: 233

15- سنة كل إمام عادل: 236

16- سنة وفتوى كل أمير: 236

17- رأى الصحابي أقوى في رأي غيره: 237

18- قول الصحابي يعارض الحديث الصحيح: 238

19- عمل الصحابي يوجب ضعف الحديث: 239

20- مراسيل الصحابة: 240

ص: 322

21- تصويب الصحابة وغيرهم في اجتهاد الرأي: 241

22- النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ وَيَخْطُئُ: 243

23- سهو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: 244

24- عصمة الأمة عن الخطأ: 244

25- الإجماع: نبوة بعد نبوة: 245

26- ظن المعصوم لا يخطئ: 246

27- اجتهاد الفقهاء يقدم على النص: 247

28- القياس، والرأي، والاستحسان: 248

29- ما دل عليه القياس ينسب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: 250

30- لا اجتهاد بعد اليوم: 250

من ترك التقليد خرج من الإسلام: 252

تكريس المذاهب بالأموال: 253

التمهيد للتقليد: 254

مع تبريرات وجدي: 255

لا اجتهاد عند الفريسيين في اليهود: 256

31- التقديس الأعمى حتى للحديث المكذوب: 256

32- أصح الكتب بعد القرآن: 257

33- هذا الإجماع ظن لا يخطئ: 258

رواية الصحاح عن الخوارج و المبتدةعة: 259

ص: 323

الرواية عن الرافضة والشيعة: 260

التناقض في المواقف: 261

ألف: الخوارج: 261

ب: أهل البدع: 262

ج: الشيعة و الرافضة: 262

العلاج المتتطور: 264

34- رد روایات الشیعه فی المطاعن و الفضائل: 264

35- الرافضة لا إسناد لهم: 264

36- روایة ما لا يضر: 266

37- حديث الداعية إلى البدعة يرد: 266

38- حجم البدعة: 267

39- من روی له الشیخان، جاز القنطرة: 267

40- الخوارج صادقون: 268

41- الاعتزال، و العداء لأهل الحديث: 270

42- خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء: 271

43- أبو هريرة روایة الإسلام: 271

44- لا يعرض الحديث على القرآن: 273

45- موافقة أهل الكتاب: 274

حدثوا عنبني إسرائيل ولا حرج: 274

ص: 324

الحسن والقبح شرعيان لا عقليان:275

48-صوافي الأمراء:276

49-الفتوى لأشخاص بأعيانهم:276

50-المنع من الحديث، من روایته، و من كتابته:276

51-المنع من السؤال عن معانى القرآن:276

الفصل الرابع: الضوابط الصحيحة للبحث العلمي

لا بد من معايير وضوابط:279

أدوات البحث الموضوعي والعلمي: }279

مما سبق:281

1-دراسة حال الناقلين:284

2-التزام النهج البياني الصحيح:285

3-الانسجام مع الأطروحة والنهج:286

4-الشخصية في خصائصها ومميزاتها:286

5-عدم التناقض بين النصوص:287

6-أن لا يخالف الواقع المحسوس:287

7-أن لا يخالف البديهيات:288

8-أن لا يخالف الحقائق الثابتة:289

9-الإمكانية التاريخية:289

10-موافقة الأحكام العقلية و الفطرية:290

ص: 325

11- الإنسجام مع الأجراء والمناخات 290

12- المعيار الأعظم والأقوم 291

هل السنة قاضية على الكتاب؟ 294

الأدلة الواهية 295

المناقشة 296

دليل آخر على عدم العرض على القرآن!! 299

ماذا جرى للقرآن؟ 302

قبل الختام 303

خاتمة المطاف 304

كلمةأخيرة 307

الفهارس

الدليل الإجمالي للكتاب 311

الدليل التفصيلي للكتاب 313

ص: 326

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التجوید : 41)

منذ عدة سنوات حتى الان ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتحصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمي: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم 129، الطبقه الأولى.

عنوان الموقع : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 . 09132000109 شؤون المستخدمين



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

وللإيصال من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩

